

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 56 DECEMBER 1981.

العدد (٥٦) ـ صفر ١٤٠٢ هـ السنة الخامسة ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١ م

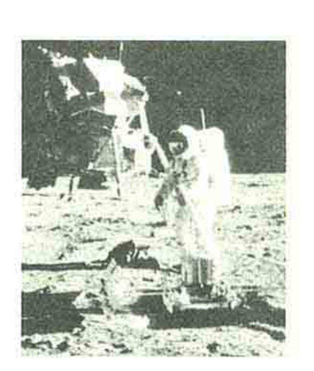
بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

في هذا العدد



★ يجمع العلماء اليوم على تسمية عام ١٩٧٩ م، بعام المجموعة الشمسية. في هذا العام نجحت بعض المركبات الأمريكية في تزويدنا بكميات هائلة من المعلومات عن ثلاثة من أهم وأغرب الكواكب في مجموعتنا الشمسية. طالع ص (١١٢) ★



★ «الأساطير الشعبية» .. تلك الحكايات التي تحوي أحداثاً غريبة أو أفكاراً ساذجة كانت ولا زالت رسالة الأجداد إلى الأحفاد. طالع ص (١٠٧) ★



★ للحيوان مقدرة عجيبة على إدراك وقياس التغيرات الطبيعية المحيطة به. إنه يمتلك ساعة داخلية تسمى «الساعة البيولوجية» تساعده في رصد الليل والنهار. طالع ص (١١٧) ★

د . حسين جمعة



★ من مواليد « حتا » في فلسطين عام ١٩٤٠ م .

★ دكتوراه لغات وآداب .

★ يجيد اللغات الإنجليزية والروسية ، مع الإلمام باللاتينية والألمانية .

★ له عدد من الأعمال ، إلى جانب مجموعة من المقالات والدراسات المنشورة في المجلات .

★ عضو رابطة الكتّاب الأردنيين .

★ يعمل حالياً رئيساً لقسم الدوريات ، ورئيساً لتحرير مجلتي « أفكار » ، و« الشباب » .

د . عبد الله مبشر الطرازي



★ من مواليد مدينة « كابل » في أفغانستان عام ١٩٣٨ م .

★ دكتوراه في الحضارة الإسلامية .

★ يجيد اللغات : العربية ، والفارسية ، والتركية ، والأردية ، والتركستانية ، والإنجليزية .

★ عمل في حقل التدريس الجامعي في عدد من الجامعات العربية ، في مجال اللغات الشرقية الإسلامية ، والآداب الإسلامية المقارنة ، والتاريخ الإسلامي ، واللغة العربية وآدابها ، والحضارة الإسلامية .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية الآداب ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة .

★ اشترك في عدد من المؤتمرات العلمية .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة ، إلى جانب دراسات وأبحاث نشرت في المجلات والصحف العربية .

د . محمد جليل مصطفى الملّي



★ من مواليد العراق عام ١٩٣٠ م .

★ دكتوراه في النقد الأدبي ، والأدب المقارن .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية والروسية .

★ عمل مدرساً للغة الإنجليزية ، ومترجماً بوزارة الخارجية .

★ يعمل حالياً أستاذاً لمادة النقد الأدبي ، والأدب المقارن ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد .

★ اشترك في عدد من المؤتمرات .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة ترجمة وتأليفاً ، وله مساهمات في الكتابة للصحافة .

عز الدين بليق



★ من مواليد بيروت ـ لبنان ، عام ١٩٣٠ م .

★ مدير دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت .

★ مندوب المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط .

★ مؤلف كتاب (منهاج الصالحين من أحاديث وسنّة خاتم الأنبياء والمرسلين) ومؤلف كتاب (انقذوا أندونيسيا يا مسلمون) .

★ له تحت الطبع : (موازين القرآن والسنّة) ، وكتاب (دفاعاً عن كرامة الإنسان والإسلام) .

بهاء الدين الزهوري



★ من مواليد حمص ـ القصير ـ سورية عام ١٩٤٧ م .

★ إجازة في الآداب ـ قسم اللغة العربية .

★ عمل مدرساً لمادة الأدب العربي .

★ يعمل حالياً موجهاً تربوياً في مديرية التربية بحمص .

★ شارك في دورات تربوية عديدة .

★ له دراسات تربوية وأدبية نشرت في الصحف والمجلات .

محمود رداوي



★ من مواليد دير الزور ـ سورية عام ١٩٣٥ م .

★ إجازة في اللغة العربية وآدابها .

★ عمل موجهاً ومدرساً في منطقة الفرات ، ومدارس دير الزور ودمشق الثانوية ، ورئيساً للبعثة التعليمية السورية في الجزائر .

★ يعمل حالياً مدرساً لمادة اللغة العربية في مدينة الرياض .

★ له عدد من الأعمال المخطوطة في القصة القصيرة ، والرواية ، والدراسات الأدبية والنقدية .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



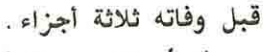
- وفاة الأديب السعودي عبد السلام الساسي .
- إنشاء جمعية سعودية للهجات والتراث الشعبي بالرياض .
- عقد ندوة عن (الأمية) بقطر ، وأخرى عن الأدب التونسي بالجزائر .
- إقامة أسبوع ثقافي للمكفوفين بالبحرين .
- وفاة الشاعر السوري عمر أبو قوس .
- الإعلان عن مسابقة للتشكيليين العرب بالعراق .



- إقامة مركز ثقافي إسلامي في ألمانيا .
- إنشاء جمعية دولية باسم «الإسلام والغرب» في جنيف بسويسرا .
- كشف أثري بجوار جسر لندن ببريطانيا .
- صدور كتاب في لندن عن أحداث الأعوام السبعين الماضية .
- وفاة الشاعر والمترجم والصحافي الإيطالي «أوجيانيو مونتاليه» .



★ عبد السلام الساسي ★



السعودية

وفـاة الساسي

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء ٢٣ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٠١ هـ (٢٢ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨١ م) **الأديب السعودي المعروف الأستاذ «عبد السلام طاهر الساسي»** عن عمر ناهز الستين عاماً، والمعروف أنه من مواليد **المدينة المنورة عام ١٣٣٦ هـ**، وفيها تعلم القراءة والكتابة في «**كُتَّاب» الشيخ محمد بن سالم رحمه الله**، وفي عام ١٣٤٦ هـ، انتقل إلى **مكة المكرمة** إذ درس **بمدرسة الفلاح** وحفظ القرآن الكريم فيها، ثم درس الابتدائية **بمدينة «جدة»**، عاد بعدها إلى **مكة المكرمة** ليبدأ حياته العملية، إذ عمل في **إدارة الشرطة العامة**، ثم انتقل إلى **إدارة سيارات الحكومة في جدة**، كما عمل كاتب آلة **بوزارة المالية**، ثم كاتباً **بإدارة جمرك «أم رضمة» بمنطقة الأحساء**، ثم كاتباً في ممثلية الحكومة لدى **شركة كاليفورنيا بالدمام (المنطقة الشرقية)، وفي عام ١٣٦٠ هـ، عاد إلى المنطقة الغربية فعمل بديوان المحاسبة بوزارة المالية**، فمحرر أول وملاحظ التعقيب **بديوان التحريرات**، ثم تنقل في وظائف أخرى إلى أن لقي ربه، ذلك ما يتعلق بالجانب العملي من حياته.

أما فيما **يتعلق بالجانب الأدبي**، فقد عرف الأستاذ الساسي كاتباً نشيطاً يكتب في أغلب صحف المملكة، وكانت له مشاركات أدبية ونشاطات مستمرة، كما كانت له علاقات حميمة بأبرز الكتَّاب في عصره مثل: **شحاته، والعواد، والعمودي، وعرب، والآشي، وعزيز ضياء** وغيرهم.. وقد عرف عنه قدرته على الحفظ والرواية خاصة لشعر شحاته والعواد.

من أعماله المطبوعة الكتب التالية:

★ نفثات من أقلام الشباب الحجازي.

★ شعراء الحجاز في العصر الحديث.

★ الشعراء الثلاثة.

★ دراسات في الشعر المعاصر.

والأهم من ذلك موسوعته الأدبية عن أدباء المملكة العربية السعودية، إذ أخذ على عاتقه إصدارها، وقد **صدر منها قبل وفاته ثلاثة أجزاء.**

وأخيراً، كان رحمه الله **أحد أعضاء نادي مكة المكرمة الثقافي.**

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته، وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

جمعية سعودية للهجات والتراث

ستنشأ في جامعة الرياض، بالرياض، **جمعية سعودية للهجات والتراث الشعبي**، وذلك بناء على موافقة **المجلس العلمي بجامعة الرياض**، والهدف منها تحقيق تنمية الفكر العلمي في مجال تخصص الجمعية وتطويره وإتاحة الفرصة للعاملين في مجالات اهتمامات الجمعية للإسهام في حركة التقدم العلمي في هذا المجال، مع تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال اهتمامات الجمعية بين الهيئات والمؤسسات المعنية داخل المملكة وخارجها، وتقديم المشورة، والقيام بالدراسات اللازمة لرفع مستوى الأداء في مجالات اهتمام الجمعية في المؤسسات والهيئات المختلفة إلى غير ذلك من النشاط الذي ستقوم به مثل عقد المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية لبحث القضايا المتصلة بمجالات اهتمام الجمعية.

مسابقة ثقافية

أعلنت عمادة شؤون الطلاب بجامعة الرياض عن مسابقة ثقافية للجامعات العربية في دول الخليج، وقد تضمنت عدداً من الموضوعات يختار الطالب أحدها وهي:

★ دور الجامعات في تطوير المجتمع في دول الخليج العربي.

★ دور الطالب الجامعي المسلم أمام الأطماع الأجنبية في دول الخليج.

★ الصهيونية العالمية: أطماعها، أساليبها، كيفية مواجهتها.

وقد اشترطت عدة شروط للاشتراك في هذه المسابقة أهمها، أن يكون الطالب جامعياً منتظماً، وأن يكون البحث من إنتاجه، وأن يكون بخط واضح. هذا وقد حدد موعد **غايته نهاية شهر محرم عام ١٤٠٢ هـ**، لتقديم الإنتاج وقد وضعت عدة جوائز للفائزين.

دليل المدينة المنورة

أصدرت الكلية المتوسطة بالمدينة المنورة كتيباً خاصاً باسم «دليل المدينة المنورة» للحاج والزائر لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث شمل العديد من المعلومات مثل الموقع الجغرافي، ونبذة تاريخية عن بعض الآثار، ونبذة قصيرة عن مداخلها، كما احتوى الكتيب على أسماء الفنادق والبنوك وعناوينها، كذلك خدمات الشرطة والهاتف والإسعاف والمواصلات ومواضيع أخرى تهم الزائر.

معرض جماعي للفنون التشكيلية

أقيم في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية المعرض الجماعي الخامس للفنون التشكيلية، وذلك بمقر قاعة المعارض بمبنى معهد الإدارة، شارك في المعرض الذي استمر سبعة أيام، ثلاثون فناناً وفنانة من الفنانين التشكيليين بأعمال تمثل تراث المنطقة الشرقية، هذا وقد منحت في نهاية المعرض جوائز نقدية للفائزين، وذلك بعد تقويم لوحاتهم من قبل لجنة خاصة.

* كتب جديدة *

● «**معجزة القرآن الكريم البيانية**»، تأليف **الدكتور محمد حسن باجودة**، صدر عن **نادي الطائف الأدبي**.

● «**الأمثال في القرآن**»، تأليف **محمود عادل شريف**، صدر عن **نادي الطائف الأدبي**.

● «**مدغشقر ـ بلاد المسلمين الضائعين**»، تأليف **الشيخ محمد ناصر العبودي**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

● «**فواصل بين الغناء والموت**»، **ديوان شعر** للشاعر **نسيم الصهادي**، صدر عن **وكالة تبر للدعاية والنشر والإعلام بالرياض**.

ستصدر الكتب التالية عن نادي الطائف الأدبي:

★ «**تذكرة عبور**»، تأليف **عبد الله سعيد جمعان**.

★ «**ولا ليلك ليلي**»، تأليف **عبد العزيز الصقعبي**.

★ «**الحب الكبير**»، تأليف **ناصر الجرش**.

كما **ستصدر الكتب التالية:**

★ «**البيوع المنهي عنها**»، تحقيق **الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري**.

★ «**الأمة الواحدة**»، **للشيخ أحمد جمال**.

★ «**الجهاد في الإسلام**»، **للشيخ محمد الهوشي**.

★ «**من أحاديث المنبر**»، **للشيخ عبد العزيز بن الشيخ**.

● «**بنو تميم في بلاد الجبلين ـ منطقة حايل**»، تأليف **عبد الله بن علي بن صقيه**، صدر عن **دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر**.

● «**الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابات المستشرقين**»، تأليف **نذير حمدان**، صدر عن **رابطة العالم الإسلامي** ضمن سلسلة «**دعوة الحق**».

● «**الأعمش الظريف**»، تأليف **الدكتور أحمد محمد الضبيب**، صدر عن **دار الرفاعي** ضمن سلسلة «**المكتبة الصغيرة**».

● «**أفكار صحفية**»، تأليف **خليل إبراهيم الفزيع**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

كلمة

وداعاً .. عام المعوقين

في الشهر الأخير من **عام الطفل الدولي** .. الذي التزمت هذه المجلة أن يكون حضورها كاملاً، في كل عدد من أعدادها طوال العام ١٩٧٩ م، نشرت في زاويتها «**كلمة**» ودعت فيها عام الطفل .. واختتمت كلمتها الوداعية بالعبارة التالية:

«إذا كانت هذه المجلة ـ **مجلة الفيصل** ـ قد واكبت عام الطفل كاملاً في كل أعدادها من خلال الدراسات التربوية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفنية، التي نشرتها، فإن هذا لا يعني أن دورها انتهى بنهاية عام الطفل .. بل ستظل من حين لآخر تثير قضايا تهم الطفولة، لأنها جزء هام من اهتماماتها الأساسية.

«إذا رحل عام الطفل .. فنحن من أجل الأطفال سوف نستمر في القيام بواجبنا، لأننا كما قلنا أكثر من مرة إن أطفال العالم هم مستقبل العالم، والمستقبل ليس أياماً محدودة، إنه مرتبط بكل الأيام القادمة، مزروع في الحاضر، وممتد مع كل الأجيال القادمة».

واليوم، ونحن نودع عام المعوقين الدولي ماذا يمكننا أن نقول؟ هل يعني أن قضية المعوقين في العالم انتهت بنهاية الاحتفالات والتظاهرات الإعلامية العالمية بهذا العام؟.

هل تنبه العالم لقضية المعوقين الإنسانية .. وكرس جهوده للاهتمام بها .. والتعاون دولياً على توفير الحياة الكريمة لهذه الفئة المغلوب على أمرها؟.

إن حجم القضية أكبر من العام الدولي .. ومن كل الأسئلة .. والحزن يفترش الطريق ـ كما يقول أحد الشعراء ـ .. وسيبقى العالم مزوداً بكثير من المآسي، ومنها مأساة المعوقين في العالم ما دامت دول العالم مشغولة بالتسلح .. والتلويح من حين لآخر بقيام حرب نووية تدمر المعوقين، وغير المعوقين، حرب تأكل الأخضر واليابس، وتحرق الزرع والضرع.

ونحن لا نبالغ إذا قلنا إن كل إنسان في هذا العالم هو مخلوق «معوق» بشكل، أو بآخر .. لأن الإعاقة لا تعني «**الإعاقة الجسمانية**» وحدها .. لكنها تشمل أيضاً «**الإعاقة النفسانية**» .. وإذا كان الإنسان يعيش حياته قلقاً، وخوفاً فكيف له أن يكون إنساناً سوياً؟.

وحري بهذا العصر ـ رغم كل ما حققه من تقدم مادي باهر ـ أن يطلق عليه «عصر المعوقين» .. وهذه مأساة!!.

إذن .. فقضية المعوقين قائمة قيام أسبابها .. وباقية بقاء سباق العالم على تكديس السلاح من أجل الحرب والموت.

لهذا .. فإن المجلة سوف تطرح من حين لآخر قضية المعوقين لأنها قضية الإنسان المعاصر مثلها مثل الجوع، والجهل، والحرية، والسلام، والأمن.

كل ما في الأمر أننا سننزع الشعار الدولي لعام المعوقين، كما فعلنا بالنسبة لقضية الطفل، وننشر كل المواضيع الجاهزة التي لم يقدر لها أن تنشر خلال العام نظراً لكثرتها.

ولعل القارئ قد لاحظ عند قراءته للأعداد الأخيرة الصادرة من هذه المجلة كثافة المواضيع الخاصة بالمعوقين .. ذلك لأننا أردنا أن نطرح أكبر قدر ممكن منها أثناء اهتمام العالم بالعام الدولي للمعوقين من ناحية، ووفاء منا بالالتزام الذي تعهدناه طول العام من ناحية أخرى .. والله من وراء القصد.

«**المجلة**»



★ أحمد محمد جمال ★ ★ حبيب إبراهيم القريع ★



★ د. علي القاسمي ★

كما صدرت الكتب التالية عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض :

★ « اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى » ، تأليف الدكتور علي القاسمي .

★ « أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة » ، تأليف الدكتور إبراهيم يوسف عبد القادر .

★ « العربية ـ أصواتها ، حروفها » ، تأليف مصطفى عبد العزيز .

★ « مصادر اللغة » ، تأليف عبد الحميد الشلقاني .

★ « ابن هشام الأنصاري ـ آثاره ، مذهبه النحوي » ، تأليف الدكتور علي فوده نيل .

★ « الإعراب عن قواعد الإعراب » ، تأليف الدكتور علي فوده نيل .

★ « نظريات المعادلات التفاضلية » ، تأليف رحمي عبد الكريم .

● « التخطيط للدعوة الإسلامية » ، تأليف الدكتور علي محمد جريشة ، صدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ضمن سلسلة « دعوة الحق » .

● « رحلة الثلاثين عاماً ـ سيرة ذاتية » ، تأليف الدكتور زاهر بن عواض الألمعي ، صدر في الرياض وطبع بمطابع



في دائرة الضوء

● الكتاب : مشرَّفة بين الذرَّة والذروة .

● المؤلف : محمد محمد الجوادي .

● الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

أهمية هذا الكتاب مزدوجة ، شقها الأول مستمد من موضوعه ، وشقها الثاني مستمد من مؤلفه .

أما موضوعه فهو : حياة ومفاهيم وقدرات العالم المصري (**علي مصطفى مشرَّفة**) وقد قسَّم المؤلف دراسته إلى أبواب ثلاثة :

★ **الباب الأول** : أوجز فيه سرداً تاريخياً لحياة الدكتور مشرَّفة التي امتدت اثنين وخمسين عاماً توافق تقريباً النصف الأول من القرن العشرين الميلادي .

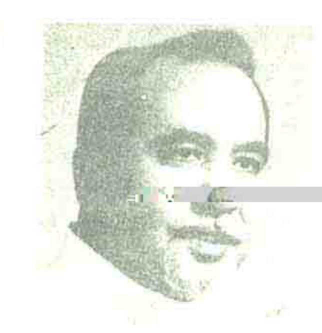
★ **الباب الثاني** : وهو عن مفاهيم الدكتور مشرَّفة الفكرية ، وعقب مقدمة هذا الباب فصَّل المؤلف أربعة عشر فصلاً عن آراء مشرَّفة في : العلم والدين ، الإنسان والكون ، العلم والأخلاق ، فلسفة تاريخ العلوم ، القوانين الطبيعية والمصادفة ، تأصيل العلم في مصر ، أثر العلم في الثقافة المصرية ، الجامعة ، البحث العلمي ، اللغة العلمية العربية ، دور العلماء في تحقيق التعاون الدولي ، مصر والذرَّة ، حماية الصناعات القومية ، العلم والحياة .

★ **الباب الثالث** : عن قدرات الدكتور مشرَّفة البيانية ، وملامحه الأدبية .

ثم اختتم المؤلف مجهوده ببليوجرافيا من فصلين عقد لهما الباب الرابع : **الفصل الأول** : مؤلفات مشرَّفة ، **والفصل الثاني** : أعمال عن مشرَّفة .

والكتاب من ناحية موضوعه جدير بالقراءة لسببين ، الأول : لأهمية الدكتور مشرَّفة بصفته على المستوى الإنساني من أبرز علماء عصره في تخصصه في الرياضيات وعلوم الذرة والنظرية النسبية ، ثم بصفته على المستوى القومي أول عالم عربي يحصل على درجته العلمية (**دكتوراه العلوم** D. S. C.) ، وبصفته رائداً من رواد التعليم الجامعي والدراسات الطبيعية ومشكِّلي ملامحها ، ثم بصفته مواطناً ومفكراً تنبه ونبه إلى أهمية وضوح الصلة بين العلم والحياة والمجتمع ، وحوَّل تنبيهه من مجرد صيحة إلى تحديد قنوات تمتد فيها هذه الصلة ، وجمع في اتزان وتكامل بين القيم العلمية والأخلاقية والجمالية كأنما كل هذه زوايا يُنظر منها إلى كيان واحد هو الإنسان .

ولعل مما يدهش الكثيرين





★ د. عصام خوقير ★



★ عبد الله بوقس ★

الفرزدق .

● « **السعد وعد** » ، مسرحية تأليف **الدكتور عصام خوقير** ، صدرت عن **تهامة ضمن سلسلة « الكتاب العربي السعودي »** .

● « **فلسفة المجانين** » ، تأليف **سعد البواردي** ، **صدر في طبعته الثانية عن تهامة** ضمن سلسلة « **الكتاب العربي السعودي** » .

● « **الأصداف** » ، تأليف **الشاعر الراحل أحمد قنديل** ، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة « **الكتاب العربي السعودي** » .

● « **المذهب الاقتصادي في الإسلام** » ، تأليف **الدكتور محمد شوقي الفنجري** ، صدر عن **دار عكاظ للنشر والتوزيع بجدة** .

● « **التوعية الشاملة في الحج** » ، تأليف **عبد الله بوقس** ، صدر عن **رابطة العالم الإسلامي** ضمن سلسلة « **دعوة الحق** » .

سورية

وفاة الشاعر أبو قوس

انتقل إلى رحمة الله تعالى **الشاعر السوري عمر أبو قوس** عن عمر يناهز الثامنة والستين ، فهو من مواليد حلب عام ١٩١٣ م ، له رحمه الله عدد من المؤلفات أهمها :

★ « حروف من نار » ديوان شعر مطبوع .

★ « وحي الليل » ديوان شعر مطبوع .

★ « العيون الخضر » ديوان شعر مطبوع .

★ « بعض أشعاري » مختارات شعرية .

★ « جراح قلب » ديوان شعر غير مطبوع .

★ « نفحات الحب » ديوان شعر غير مطبوع .

عند قراءة هذا الكتاب أن يكتشفوا اهتمامات الدكتور مشرِّفة الموسيقية مثلاً ، ودراساته في هذا الميدان .

إنه التفوق والإتقان والشخصية المتكاملة ، سماتٌ أصبحنا نفتقدها كثيراً الآن .

والسبب الثاني هو أسلوب الكتاب في معالجة موضوعه ، فهو في كثير من صفحاته يتعرض لأفكار علمية أو فلسفية فلا يتجاوزها تجاوز غير المعنيّ ولا يستغرق فيها بالتفصيل استغراق المتخصص الشارد عن سياق الحديث ، هو يدنو منها فليس يدنيها بالتسطيح ولا يهرب منها بالخوف أو التعقيد ، كل ذلك في أسلوب أدبي عفوي وترتيب سلس مشوِّق .

أما مؤلف الكتاب فقد يدهش القارئ مثلي حينما يعلم من التصدير الذي كتبه **الأستاذ الدكتور محمد فوزي حسين** ومن المقدمة التي كتبها الأستاذ الصحفي **مصطفى أمين** أن **محمد محمد الجوادي** طالب بكلية طب قصر العيني — أو هو كان كذلك عند نشر الكتاب (١٩٨٠ م) ، ولعله لم يزل ، فإن إشارة إلى سنته الدراسية لم يوردها الكتاب — وهو الطالب المثالي بجامعة القاهرة ، لكن دهشة القارئ ستزداد بالتأكيد حينما يستعد — بعد مفاجأته بهذه المعلومة — لقراءة جهد طلابي متواضع يكاد ينحصر الهدف من قراءته في مجرد التشجيع أو التوجيه فيفاجأ مرة ثانية بأنه أمام عمل مفيد ومضيف وجهد ناضج ومتكامل وإنجاز مدروس ومتقن .

وتلفت نظره من هذا الطبيب ثقافة شمولية ومعلومات متسعة ، وينم له حديثه عن ميلاد كاتب لم يصرفه تخصصه الدراسي عن الإلمام الجاد بدائرة من المعرفة تمر بالدين واللغة والأدب والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضة والفلسفة والاجتماع ، وهو إلمام غير متسرع ، وغير استعراضي في وقت أصبحت كلمة التخصص فيه ذريعة للشخصية العرجاء والثقافة المبتورة والنظرة الجزئية ، وأصبحت من ناحية أخرى كلمة الثقافة العامة مبرراً للاستخفاف والعجلة وعدم الدقة .

ويكفي للدلالة على موهبة هذا الكاتب أن نشير إلى أن فصول الباب الثاني مع أنها في الغالب نصوص للدكتور مشرِّفة نفسه إلا أن طريقة عرضها تجعل حضور المؤلف دائماً على طول صفحات الباب فيشعر القارئ أن جلسته مع الدكتور مشرِّفة تضم طرفاً ثالثاً لا يختفي ولكنه لا يحدث ضجيجاً هو محمد الجوادي .

كما يكفي للتدليل على إتقان هذا الكاتب وعدم استخفافه أن نلاحظ إلى جانب اهتمامه بالجهد الكيفي في الأبواب الثلاثة الأولى دأبه على بذل جهد كمي واضح لإنجاز ببليوجرافيا في الباب الرابع ثم فهرس لأعلام كتابه .

وليت الناشر زود القارئ بترجمة موجزة لهذا المؤلف في غلاف كتابه — كما يجري على ذلك بعض الناشرين خاصة مع من لم تتسلط عليهم بعد دائرة الضوء — فلم يتركنا مع مجرد إشارتين موجزتين شبه عارضتين إليه في تصدير وتقديم الكتاب ، وددنا هذا لنعرف مزيداً عن هذا المؤلف ، لكن المزيد ستطلعنا عليه — كما أتصور — الأيام بإذن الله .

عصام الغزالي
الرياض



★ عمر أبو قوس ★

وقد شارك إبَّان حياته في عدة مؤتمرات أدبية وقومية داخل بلاده، كما شارك في عديد من الندوات الأدبية والثقافية، وبالنسبة لحياته العملية فقد كان معلماً في مدارس حلب عام ١٩٣٣م، ثم مديراً للمطبوعات في حلب فمديراً لإذاعتها عام ١٩٤٦م، فمديراً لناحية عام ١٩٦٠م، ثم أخيراً أحيل إلى التقاعد وبعد ذلك لقي ربه، رحمه الله وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* كتب جديدة *

● «**تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية** مع كتاب الطرق السنية في الآلات الروحانية من القرن السادس عشر»، تحقيق **الدكتور أحمد يوسف الحسن**، صدر عن **معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب**.

● «**رحلة إلى مجرة الأندروميدا**»، **مجموعة قصص للأطفال** تأليف **عوض سعود عوض**، صدرت **بدمشق بمعاونة اتحاد الكتَّاب العرب**.

● «**اللغة والدلالة**»، تأليف عدنان بن ذريل، صدر عن **اتحاد الكتَّاب العرب بدمشق**.

● «**نقوش وكلمات**»، **ديوان شعر للشاعر علي سليمان**، صدر عن **اتحاد الكتَّاب العرب بدمشق**.

● «**العصفور البشارة**»، تأليف **مهاة فرح الخوري**، صدر في **سورية**.

● «**وكان مساء**»، تأليف **مهاة فرح الخوري**، صدر في **سورية**.

● «**السياسة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة**»، تأليف **داعس أبو كشك**، صدر في **دمشق**.



معجم لمصطلحات الموارد المائية

أوصت **الندوة العربية الثانية للموارد المائية** التي انعقدت في (**الرباط**) خلال شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨١م، وشاركت فيها خمس عشرة دولة عربية وعدد كبير من المنظمات والمراكز العربية الدولية، **بإعداد معجم (عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي) للمصطلحات الخاصة بالموارد المائية** وذلك بالتعاون مع **مكتب تنسيق التعريب بالرباط**.

فلسطين

* كتب جديدة *

● «**فلسطين أرض وتاريخ**»، تأليف **الدكتور محمد سلامة النحال**، صدر في **فلسطين**.

● «**موسوعة التراث الشعبي الفلسطيني**»، تأليف **عبد الرحمن المزين**، صدر **الجزء الأول**.

● «**رجال من فلسطين ما بين بداية القرن حتى عام ١٩٤٨م**»، تأليف **عجاج نويهض**، صدر ضمن **منشورات فلسطين المحتلة**.

● «**بيتزا من أجل ذكرى مريم**»، **مجموعة قصصية** للقاص **رشاد أبو شاور**، صدرت عن **اتحاد الكتَّاب والصحافيين الفلسطينيين**.



ندوة حول الأدب التونسي

عقدت بمدينة (**وهران**) **الجزائرية** ندوة دار موضوعها **حول الأدب التونسي المعاصر**، شارك فيها محمد العروسي المطوي رئيس اتحاد الكتَّاب التونسيين، والقاص أحمد حمو، والشاعر نور الدين عزيزة.



* كتب جديدة *

● «**أشتات من أشتات**»، **ديوان شعر** للشاعر **منير صالح عبد القادر**، صدر عن **المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون بالخرطوم**.



* كتب جديدة *

● «**الإمارات العربية المتحدة وجيرانها**»، تأليف **الدكتور محمد مرسي عبد الله**، صدر عن **مركز الوثائق والدراسات بأبي ظبي**.

الكويت

* كتب جديدة *

● «تغذية الطفل ومشاكلها»، تأليف الدكتور **محمد صادق زلزلة**، صدر عن **دار الكتب الثقافية بالكويت**.

● «القطاف يأتي مباغتاً»، تأليف **ياسين عبد الرحيم**، صدر في **الكويت**.

● «حبيبتي أميرة السينما»، تأليف **السيد حافظ**، صدر في **الكويت**.

● «أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة»، تأليف الدكتور **عبد الله يوسف الغنيم**، صدر عن **قسم الجغرافيا بجامعة الكويت**.

● «الكويت في دليل الخليج»، ج ١، تأليف **ج.ج. لوديمر**، جمع وتعليق **خالد سعود الزين**، صدر في **الكويت**.

● «اتجاهات نظرية في علم الاجتماع»، تأليف الدكتور **عبد الباسط عبد المعطي**، صدر في **الكويت** ضمن سلسلة «**عالم المعرفة**».

● «الشرعية الفلسطينية والمستقبل الفلسطيني»، تأليف الدكتور **محمد عبد العزيز أبو سخيلة**، صدر في **الكويت**.

● «دعوة إلى الموسيقى»، تأليف **يوسف السيسي**، صدر ضمن سلسلة «**عالم المعرفة**».

● «أقلام خليجية»، تأليف **حافظ محفوظ**، صدر في **الكويت**.

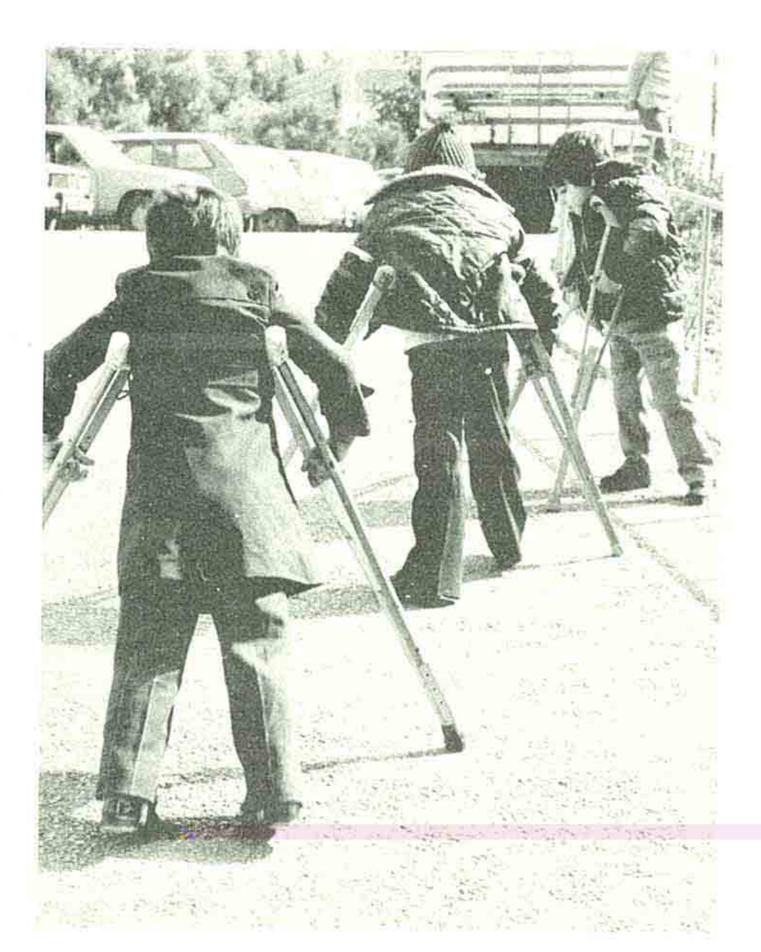
● «الخدمة الاجتماعية العمالية ومستوياتها العربية والدولية»، تأليف **فضيل التل**، صدر عن **مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع بالكويت**.



العراق

مسابقة للتشكيليين العرب

أعلن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ـ الذي يتخذ من بغداد مقراً له ـ **عن مسابقة للفنانين التشكيليين في الدول العربية** تحت اسم «**جائزة محو الأمية الحضارية لعام ١٩٨٢ م**»، وترمي هذه المسابقة التي تشمل الملصقات وتصميم الشعار والصور الفوتوغرافية إلى تجسيد الأمية بمعناها الواسع وإبراز الجهود المبذولة في مواجهتها بفرض إقامة معرض في بغداد في اليوم العربي لمحو الأمية وتعليم





وداعاً

عامنا «اليتيم» الدولي

الكبار الذي يصادف الثامن من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٢ م، وستكون قيمة الجائزة الأولى للفائز الأول ألف دولار أمريكي بجانب استضافة الفائزين الأوائل في بغداد لحضور المعرض، ويمنح العشرة الأوائل جوائز تقديرية.

* كتب جديدة *

● «أغان لفلسطين»، **مجموعة شعرية** للشاعر **نذير الحسامي**، صدرت عن **دار الرشيد ببغداد** ضمن سلسلة «**ديوان الشعر العربي الحديث**».

● «**معجم المؤلفين المغاربة**»، إعداد **الدكتورة إبتسام مرهون الصفار، والدكتور بدوي محمد فهد**، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام العراقية**.

● «**تطوير التشريعات المتعلقة بنشاط محو الأمية وتعليم الكبار**»، صدر عن **الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ببغداد**.

كما **صدرت الكتب التالية** عن **وزارة الإعلام العراقية**:

★ «**موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث**»، تأليف **الدكتورة خديجة الحديثي**.

★ «**المرأة في أدب العصر العباسي**»، تأليف **الدكتورة واجدة مجيد عبد الله الأطرقجي**.

★ «**الرحالة الروس في الشرق الأوسط**»، تأليف **بوريس وانتيخ**، ترجمة **الدكتور معروف خزنه دار**.

★ «**كبرى الحكايات العالمية**»، تأليف **لويس اونترماير**، ترجمة **غانم الدباغ**.

★ «**صنعة الرواية**»، تأليف **بيرسي لوبرك**، ترجمة **عبد الستار جواد**.

وستصدر الكتب التالية عن **مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة**:

★ «**العلاقات البريطانية العمانية بين عامي ١٧٩٨ ـ ١٨٥٦ م**».

★ «**النمو الصناعي في محافظتي البصرة ونينوى**».

★ «**النباتات المائية في العراق**».

★ «**ولاية البصرة**، ماضيها، حاضرها»، ج ١.

★ «**الصحفي ـ السياسي، المؤرخ سليمان بن صالح الدخيل**».

★ «**نصوص من الوثائق العثمانية عن تاريخ البصرة في سجلات المحكمة الشرعية في البصرة ١١٨٨ ـ ١٣٣٠ هـ**».

★ «**التنمية الزراعية في بعض أقطار الخليج العربي** ـ واقعها، آفاقها المستقبلية».

★ «**مملكة الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩٢٥ م** ـ دراسة في الأوضاع السياسية».

★ «**تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ ـ ١٩٣٢ م**».

★ «**العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية** وأثرها في الخليج العربي ١٩٤١ ـ ١٩٧٩ م».

نافذة

هذا الصنف من الناس!!

لا تزال تلح علي، رغم انقضاء سنين وسنين، صورة ذلك الأستاذ الدكتور المتخصص يقف محاضراً أمام جمع من الحضور، فيهزه الانفعال والامتعاض، ويتطاير الرذاذ من فمه، وهو يصرخ: أهي إنسانية هذه التي ينادي بها القرآن؟ ما ذنب الأعراب الكادحين كي يصب عليهم جام غضبه ويدمغهم بالكفر والمروق والنفاق، ويدعو إلى مقاطعتهم ثقافياً وعدم السماح بتعليمهم أصول الدين ومبادئه؟!.

وراح يتلو ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾.

وعبثاً حاول المستمعون إقناعه بخطأ موقفه، عبثاً حاولوا تهدئته ووقف رشاش الرذاذ المتطاير من فمه.

وانتهت المحاضرة وهو يردد العبارات إياها.. ولو أنه صبر قليلاً، **والصبر على القراءة أقل ما يقتضيه التخصص من أخلاق..** واطلع على (**أسباب النزول**) بصدد الآية المذكورة، وفهم ما تعنيه عبارة (**أجدر ألا يعلموا..**).. ولو أنه واصل قراءة الآيات التالية.. لعرف أن غضبه الجارف ليس له ما يبرّره على الإطلاق.. ولشهد بأم عينيه المقاطع التالية في السياق نفسه **﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم. ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند**

الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ ، ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم . خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم . ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

فها هو القرآن الكريم يعرض علينا قطاعات الأعراب الثلاثة . . يسلط ضوءه على هذه العينة الاجتماعية في كافة أبعادها ومساحاتها .

ولكنها معضلة الرؤية الأحادية قصيرة النفس التي ابتلي بها كثير من المتخصصين .

بعد مغادرة القاعة لحقت به . . حاولت أن أمزج معه الجدّ بالهزل علّني أصل إلى نتيجة بعد إذ عجز الجدّ وحده عنها . . سألته : **أصحيح ما يردده بعض الناس من أن القرآن قد شن حملة قاسية على المصلّين ، وتوعدهم بالويل والثبور ؟** .

قال ، وهو يفتح حقيبته الفارهة على منضدة مجاورة ، لكي يضع فيها رزمة من كتب ، لا أعتقد أنه قد قرأ منها شيئاً : لا يمكن ، لأن معنى هذا أن القرآن يناقض نفسه . .

ــ كيف ؟

ــ ألم يقل في إحدى آياته **﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾** ؟

ــ بكل تأكيد . . ولكن الحملة هنا منصبّة على المصلّين أنفسهم . .

ــ أتعني المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ؟

ــ إنني أعني ما أقول . . المصلّين ، لا المنافقين . .

ــ هات الدليل . .

ــ **ويل للمصلين !!**

وكأن الرجل ، وقد غارت الابتسامة في وجهه ، أحسّ بقصدي فأجابني بعصبية :

ــ ليس هذا وقت المزاح .

ــ ولكنك أنت الذي بدأت المزاح !

ــ أرجوك . . لقد كنت ألقي محاضرة جادة .

ــ عفواً . . فقد اعتقدت أنك تمزح وأنت تتحدث عن تنديد القرآن بالأعراب . .

ــ لم أقل إلا جدًّا . .

ــ فلماذا تتهمني ها هنا بالمزاح ؟

ــ ماذا تقصد ؟

ــ الحملة التي شنّها القرآن على المصلّين . .

ــ لا تمزج الجد بالهزل . . ثم إنني مرهق وليس لديّ أي استعداد للمزاح . .

ــ أبداً . . وكم كنت أتمنى ألا يكون لديك هذا الاستعداد حتى وأنت تلقي محاضرتك .

ــ ها قد عدنا من حيث بدأنا . .

ــ يا أخي . . إن إعلانك بأن القرآن قد ندّد بالأعراب هو كإعلاني بأنه قد ندّد بالمصلّين . . ولو أنك تريّثت قليلاً وواصلت تلاوة الشاهد القرآني لغيرت وجهة نظرك ، تماماً كما أن عبارة **(ويل للمصلين)** لا تعبّر عن معنى إلا بعد ربطها بما يليها . . بأن الذين ينصبّ الويل عليهم هم أولئك الذين يسهون عن الصلاة . . وشتان . .

إنها لعبة الاقتطاع القسري للشاهد . . انتزاعه من بيئته وسياقه لكي يخدم وجهة نظر ما قد تكون مغايرة تماماً للهدف النهائي من إيراده . . فإذا كانت اللعبة متعمدة وصمت بالخبث والمكر وسمي صاحبها خبيثاً ماكراً ، وإذا كانت غير متعمدة وصمت بالغفلة والجهل وسمي صاحبها غافلاً جهولاً . . وإني أربأ بك أن تكون أحدهما . .

لم يجبني الرجل . . ومضى لا يلوي على شيء .

د . عماد الدين خليل

البحرين

*** كتب جديدة ***

● « **فهرس التشريعات التربوية في البحرين** » ، **المجموعة الثانية** من إعداد **حكمت الهزيم** ، صدر **بالبحرين** .

قطر

ندوة عربية عن الأمية

نظم الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار (في الدوحة) ندوة عربية تهدف إلى وضع أسس الخطط الإعلامية للحملات الشاملة لمحو الأمية في الوطن العربي استمرت أسبوعاً ، نوقشت فيها أمور عديدة في مجالات الإعلام والتنمية ومحو الأمية ، وإصدار دليل عمل ليوضع في متناول العاملين في مجال الإعلام لمحو الأمية ، شاركت في هذه الندوة وفود عربية من إدارات محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي وخبراء عرب متخصصون في هذا المجال .

*** كتب جديدة ***

● « **السواعد السمر** ــ قصة النفط في قطر » ، تأليف **ناصر محمد العثمان** ، صدر عن **دانه للعلاقات العامة بقطر** .



*** كتب جديدة ***

● « **الشراع الكبير** » ، **قصة تاريخية** تأليف المرحوم **عبد الله الطائي** ، صدرت في **عُمان** .

فرنسا



★ كلود مونيه ★

ندوة عالمية عن مونيه

نظمت أكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية ندوة عالمية عن الرسام الفرنسي (مونيه) تحت عنوان «**مونيه وأفكار عصره**»، نوقشت في هذه الندوة الدراسات الحديثة التي تجرى حالياً بخصوص الرسام وأعماله، كما ألقي الضوء فيها على حياته ومدى تأثيره وتأثره بعصره، كما عقدت مقارنة بين منجزاته وأعمال الرسام (دوبوساي).

ومونيه رسام فرنسي ولد عام ١٨٤٠م، وتوفي عام ١٩٢٦م، وقد بدأ حياته برسم الكاريكاتير ثم التحق بأكاديمية سويسرا.

وفاة بلنسون

توفي في باريس الفنان الفرنسي «أندريه بلنسون» عن ٨٣ عاماً، ويعتبر بلنسون من كبار فناني المذهب الواقعي، وقد انفعل بالطبيعة التي عكسها في معظم لوحاته، وله أعمال عديدة في مجال تصميم ديكورات المسارح ورسم بورتريهات لعديد من المشاهير أمثال جي. دي. موبسان، جول فيرن، كما نال عدة جوائز منها جائزة الفن عام ١٩٣٣م.

* أحدث الكتب *

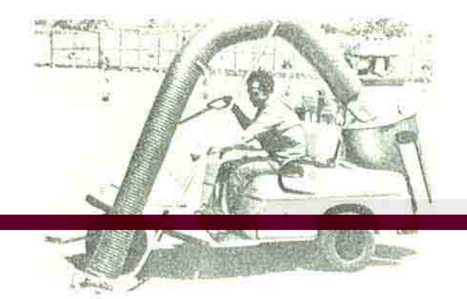
- «**الفن الفطري في فرنسا**»، تأليف **ماري كريستين هوغونو**، صدر عن **دار نشر سولوفان**.
- «**المستقبل بالكاريكاتور**»، تأليف **الفنان حبيب حداد**،

اليوم و الغد

سيجارة واحدة تقصر العمر ١٥ دقيقة

توصل إلى هذه النتيجة عدد من الباحثين في ألمانيا الغربية، كانوا يدرسون مشكلة التدخين. من نتائج هذه الدراسة بعض الأرقام التالية:

يموت في ألمانيا الغربية وحدها نتيجة لأمراض ناتجة عن التدخين بشكل مباشر أو غير مباشر حوالي (١٤٠) ألف شخص. كما تم حتى الآن اكتشاف حوالي (٦٠٠) مادة ضارة في نواتج الاحتراق. ويحتوي سم³ من الدخان حوالي (٢٠٠ ــ ٥٠٠) مليون جسيم من القطران (الهباب). والإنسان الذي يدخن ٢٠ لفافة يومياً يتجمع على رئتيه خلال ٢٠ سنة ٦ كغ من القطران. وبالطبع فإن بضعة كيلوغرامات من القطران تتجمع ــ في نفس الوقت ــ في الجهاز التنفسي للذين يعيشون مع المدخن أو يعملون معه.



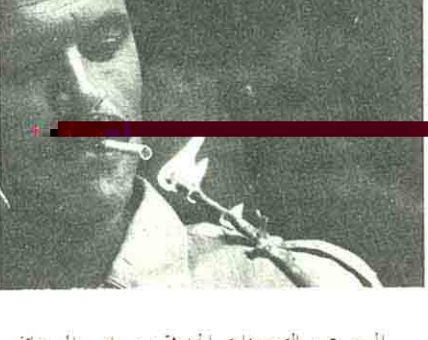
تنظيف الشوارع آلياً

تستخدم الآلة المبينة في الصورة، التي صممتها إحدى الشركات الأمريكية، في تنظيف الشوارع بالاعتماد على خرطومها ذي الفتحة الواسعة.

يقوم هذا الخرطوم بابتلاع جميع ما يصادفه، بما في ذلك علب المحفوظات والزجاجات والمواد البلاستيكية وغيرها، وذلك بفعل المروحة التي يديرها محرك بنزين قدرتها ٨ أحصنة، فيتشكل تدخن هوائي ساحب سرعته ٢٥٦ كم/ الساعة.

رادار يدوي

من المعروف أن مهمة شرطة السير الرئيسية تنحصر في مراقبة حركة المرور في شوارع المدن الرئيسية، وهم يسهرون على حسن تطبيق الأنظمة والقوانين. ويوضع تحت تصرف عناصر شرطة



المرور جميع التجهيزات الحديثة من راديو إلى هاتف إلى تلفزيون وحتى إلى طائرات مروحية (هيليوكوبتر).

في الآونة الأخيرة وضع تحت تصرف شرطة المرور جهاز جديد سوف يتعب حتماً هواة قيادة السيارات بسرعات تتجاوز السرعة المسموحة. والجهاز عبارة عن رادار يدوي يعمل استناداً إلى **مبدأ دوبلر**، إذ يحدد سرعة السيارة من معرفة فرق تردد الإشارة المرسلة والإشارة المستقبلة. ويمكن تحديد سرعة السيارة بدقة ١ كم، علماً أنه يبيّن هذه السرعة بشكل عددي على شاشة الرادار.

ويمكن تقديم هذه الأرقام إلى السائق المخالف كحقيقة لا جدال فيها. وبالطبع لن يستطيع السائق الاعتراض كما يفعل دائماً.

صدر عن **دار الناشرون العرب بباريس** .

● « **تاريخ فن الدعاية في العالم في الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٥ م** » ، تأليف **أنطوني رودز** ، صدر **بباريس** .

كما صدرت الكتب التالية عن **المركز الوطني للبحث العلمي** C.N.R.S. :

★ « **سورية اليوم** » ، تأليف **عدد من الباحثين** .

★ « **اللغات في العالم القديم والجديد (إفريقيا)** » ، بحث بإشراف **جان پيرو** .

★ « **الأطلس التاريخي العمراني في فرنسا ١٨١١ ــ ١٩٧٥ م** » ، إعداد **جوسلين لوران** .

★ « **دليل أقطار المحيط الهندي** » ، **المجلد السادس** ، تأليف **عدد من الباحثين** .

★ « **المطبعة في التربية والتعليم ــ من القرن الثامن عشر وحتى ١٩٤٠ م** » ، ج ١ ، **دليل تحليلي** بإشراف **پي كاسبار** .

★ « **دليل إفريقيا الشمالية** » ، **المجلد السابع عشر** .

★ « **الأعياد والاحتفالات في روسيا القديمة** » ، بإشراف **جان كلود روبيرتي** .

★ « **مجلة تاريخ النصوص** » ، ج ٩ .

★ « **الآثار الإفريقية القديمة** » ، ج ١٦ .

أمريكا

وفاة جوزيف هيرش

توفي الرسام الأميركي جوزيف هيرش عن (٧١) عاماً في نيويورك ، وهيرش رسام معروف فأعماله تعرض في المتاحف الأميركية وخاصة متحف « مترو بوليتان » بنيويورك ، كما أن له لوحات في الفاتيكان .

* أحدث الكتب *

● « **نظرة متفائلة لمستقبل الإنسانية** » ، تأليف **جيراك أونيك** ، صدر في **نيويورك** .



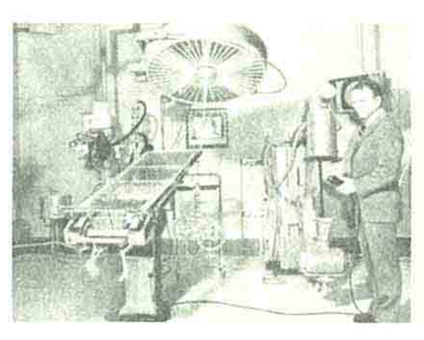
الليزر في الطب

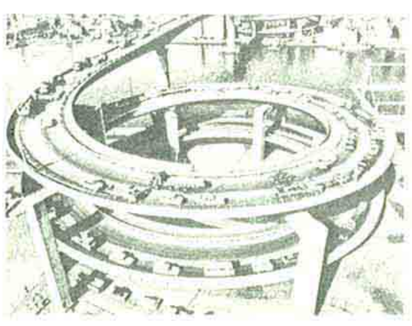
وضعت **تكنولوجيا الليزر** في يد الأطباء الجراحين أداة فريدة ، يمكنها إيقاف نزيف الدم في المعدة ، وبشكل خاص من القرحة ، دون الحاجة إلى شق الأغشية المعدية .

وقد انتشر حالياً في الأوساط الطبية « **الأندسكوب** » ، وهو جهاز يسمح بفحص الأعضاء الداخلية بواسطة هذه الأشعة . وبعد إجراء الفحص بواسطة « الأندسكوب » وتحديد مكان القرحة ، تسلط الأشعة ثانية على المعدة . وفي هذه المرة يطلق الجهاز أشعة لبزر ، التي تقوم ببساطة بحرق المكان المصاب . وهذه العملية قصيرة جداً وبدون ألم يذكر ، وأهم ما في الأمر أنها فعالة للغاية .

غرفة العمليات البرتقالية

أعلنت إحدى الشركات الهنغارية المنتجة للأوائل الطبية ، عن غرفة العمليات المبينة في





الصورة . ولا يستغرق تجهيز هذه الغرفة بشكل كامل ، بما في ذلك أرض الغرفة وجدرانها وسقفها ، أكثر من ٢٠٠ ساعة في أي طابق في المشفى .

وهذه الغرفة مشبعة كلياً بأجهزة التحكم الآلي ، وهي مزودة بمجموعة كاملة من التجهيزات الحديثة المصممة خصيصاً من أجل هذه الغرفة . ويمكن بواسطة لوحات مجاورة ــ بسهولة ــ ودون الاضطرار إلى إغلاق المركز الطبي من أجل الصيانة ، تجديد المشافي القديمة وتبديل القطع القديمة بأخرى جديدة .

وقد أطلق على غرفة العمليات هذه اسم « **البرتقالية** » حسب لون الجدران ، ولون جميع الأجهزة الموجودة فيها . وقد رأى الأطباء والمصممون والجراحون الذين عملوا في هذا المشروع أن هذا اللون هو الأنسب لعين كل من الطبيب والمريض ، وقد تم اختيار هذا اللون بشكل تجريبي . ويجدر بنا على الفور الإشارة إلى أنه يحدث لأول مرة في تاريخ الطب ، والصناعات الطبية صرف النظر عن اللون الأبيض التقليدي .

الطريق الحلزوني

عند إنشاء الطرق في المدن المكتظة بالسكان على الجزر اليابانية يحاول الإنشائيون الاستفادة من كل متر مربع من الأرض . وهذا فقد تم إنشاء جزء من الطريق المخصص للصعود إلى الجسر الذي يصل ضفتي نهر « كيتسوغافا » على شكل حلزوني . ويبلغ الطول الكلي للجسر ١٢٥٠ م . وقد بني على أحد أطراف الجسر ممر خاص للمشاة الراغبين في اجتياز الجسر مشياً على الأقدام ، إلا أن عدد هؤلاء « الرياضيين » قليل جداً ، لأن من يصعد الحلزون على رجليه سينهكه التعب .



بقلم: د. عمر الدقاق

لعل من أبرز سمات الحياة أنها متغيرة أبداً ، متطورة دائماً . إنها دائبة الحركة موارة بالحيوية ، لا يعتريها وقوف ولا سكون ولا ثبوت . وهذا شأن الكون ، ليل يعقبه نهار ، وشتاء يليه صيف ، والكائنات من النبات والحيوان والبشر ، تدور دورتها المقررة في هذا الوجود ، ثم تستوفي أجلها المعلوم ، فتتوارى أمام رتل جديد من نوعها يأخذ دوره في هذا الكون ويستأنف حمل شعلة الحياة وهاجة متألقة .

وما هذه الحركة الدائبة الموارة إلا واحدة من نعم الله على الطبيعة وعلى الإنسان ، إذ السكون يشابه الموت والثبوت يقارب الجمود . ولعل عقل الإنسان ، هذا القبس الإلهي الوهاج ، أبرز مثل على هذه الظاهرة . إنه في تجدد مستمر وتطور مطرد ، ويتطلع أبداً إلى آفاق لا تحد . فالعقل البشري لا يكف عن الاجتهاد والتدبر ، ولا يمل من التأمل والتفكر ، ما دام القلب يخفق ، والدم يتدفق ، وما دام الفلك يدور والكون يمور .

الثنائية في الحياة

وفي غمار هذه **الثنائية في الحياة** ، ثنائية الحركة والسكون ، والحياة والموت ، والوجود والعدم ، والجديد والقديم . . . تولدت في حياة الناس **ظاهرة الصراع** ، هذا الصراع الذي طالما اكتسب طابعاً حاداً في حياة المجتمعات ، وعلى كل صعيد ، في السياسة والاقتصاد وفي الفكر والأدب .

ولعل من أبرز مظاهر هذا الصراع ما يحتدم من صراع بين الأجيال ، بل داخل شطري الجيل الواحد ، وذلك من خلال معطيات الماضي ومقتضيات الحاضر . كما أن أكثر ما تتجلى ملامح هذا الصراع تجليها على الصعيد الاجتماعي ، ولا سيما في مجال الأفكار والآراء ، والنظم والأعراف ، والتقاليد والعادات .

وللفنون والآداب ـــ كما هو معهود ـــ نصيب وافر من هذا التصارع ، إذ قلما يتقبل جيل معاصر جميع ما آل إليه من أجيال سالفة . إنه يعمد من خلال هذا الموقف إلى توكيد شخصيته ، وتحقيق ذاته ، فيُعمل رأيه فيما بين يديه ، فيأخذ ما يأخذ ، ويدع ما يدع ، وهو في غمار ذلك دائب على التحليل والنقد والطرح والأخذ . وهذا ما تألفه المجتمعات عادة حين تنطوي على الصراع المرير بين أنصار القديم وأنصار الجديد ، ولعل أجلى صورة من هذه الظاهرة انشطار المثقفين في هذا العصر بين أنصار **الشعر العمودي** ودعاة **الشعر المرسل** على صعيد الأدب الحديث .

كذلك تتجلى هذه الثنائية في ازدواجية المفاهيم على الصعيد التربوي بين جيلين متعاصرين في المجتمع الواحد ، جيل الآباء ، وجيل الأبناء . فللوالدين أفكار وآراء وتقاليد وعادات . . إنهم ألفوها وأطالوا صحبتها ، حتى باتت وكأنها قطعة من كيانهم وعضد في تكوينهم . ولهذا يحرصون أشد الحرص على أن تسري إلى بنيهم وبناتهم كاملة غير منقوصة . أما الأولاد فكثيراً ما يتململون من هذه المفاهيم المطلقة ، ويجدون فيها قيوداً صارمة ، وقد يتمرد بعضهم في مرحلة نمو « الأنا » في نزعة فردية واستقلالية واضحة .

ومثل هذه الرغائب المتباينة قلما تلقى من الطرفين طريقاً ممهداً ، فيكون الصراع المعهود الذي قد ينقلب في بعض الأحيان إلى التنافر والتصادم ، ويؤدي إلى الجفاء والقطيعة .

والحق أن هذه الازدواجية أو الثنائية مغروسة في ذواتنا ، فنحن نألف الأمر ونعتاده ، حتى إذا ما طال عليه الأمد التصقنا بـه ، وازددنـا بـه تمسكاً . على أن النفوس المتفتحة الشابة قد تتطلع إلى الحياة من خلال منظار آخر يخيل إليها أنها تستشف من ورائه المجهول .

والمجهول يحوي في طياته عناصر الجدة والطرافة والإثارة ، ومن سمات مرحلة الشباب الرغبة في التغيير وحب المغامرة .

والحق أن الميل إلى التجديد ظاهرة قوية تعتمل داخل النفس الإنسانية المعقدة ، إلى جانب نزعاتها الأخرى المتعددة . فللجديد بريقه وبهجته ، وحلاوته ورواؤه ، وقديماً قال شاعرنا العربي :

لكل جـديد لـذة ، غـير أنـني
رأيـت جـديد الموت غـير لـذيذ

وهكذا ، فإن كل مجتمع لا بد أن يتحرك في أعماقه تياران قويان يتجاذبان جيله ، تيار الشد نحو الماضي بعراقته وأصالته ، وتيار الجذب تجاه الحاضر بحداثته وطرافته .

المصالحة التاريخية

وهذه المعضلة ، معضلة التوفيق بين الاتجاهين ، أو المصالحة بين الطرفين تواجه المجتمعات الناهضة بإلحاح ، وكثيراً ما تتباين حولها الآراء وتتشعب السبل . **والمجتمع العربي الإسلامي** واجه في فجر حضارته مرحلة انقلابية انطوت على تغييرات جذرية لقيت خلالها العقيدة الجديدة عنتاً كبيراً في سبيل إحلال قيم مثلى محل عادات رثة ومعتقدات ضالة .

ثم كان في المجتمع الإسلامي ، حتى في عهد منعته واستقراره ، شيء من رواسب الحقبة الجاهلية القديمة ، فكان لا بـد أيضـاً مـن تقـويم اعوجاجها . وعلى صعيد الحياة الجديدة الوطيدة بدأت تتشكل عناصر صراع أخرى ، عناصر لا تمس الجوهر ولكنها ذات صلة بشؤون العيش ومسائل التربية والأسرة . فحين **يقول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، « ربوا أولادكم على أخلاق غير أخلاقكم ، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم »** فإنه بهذه العبارة الجميلة يكشف عن وجود هذه القضية الأزلية الأبدية في كل مجتمع ، قضية القديم والجديد ، أو مسألة القدم والحداثة . وهو في الوقت نفسه ينبئ عن جانب من جوانب عظمته ، من خلال إدراكه العميق لكنه الحياة ، وحدسه الثاقب لطبائع النفوس . وهذه في حقيقة الأمر إحدى القضايا التربوية الملحة التي وفق عمر بتناولها ، والتي تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام المفكرين والآباء والمعلمين ، في كل عصر وكل جيل .

التحدي الحضاري

على أن المسألة في عصرنا آلت إلى معضلة معقدة التركيب ، وذلك بدخول عنصر مقتحم جديد ، وهو موضوع **الحضارة الغربية** الجديدة في طابعها المادي . فلم تعد الحداثة متمثلة ــ كما كانت في سالف العهد ــ في المفاضلة بين مفهومين من طبيعة واحدة ، ومن منطلق مشترك ، فالقضية تكتسب اليوم طابعاً مغايراً إذ باتت الحداثة تعني في جملة ما تعنيه تلك المفاهيم الوافدة والأفكار الدخيلة ، وأكثرها هجين لم ينبثق من حياتنا ولم تفرزه مجتمعاتنا .

ومثل هذا الوضع يجعل المجتمعات العربية والإسلامية أمام تحديات خطيرة ، ويضعها في ذروة المواجهة مع حضارة الغرب الطاغية .

وكان على المفكرين في العقود الماضية من السنين أن يواجهوا المعضلة الشائكة التي فرضت وجودها على العرب والمسلمين على نحو لم يعهدوه من قبل . وكان أن تعددت المواقف ، وتشعبت الآراء ، حتى بلغ الأمر بين رجال الفكر حد التنافر والتناقض . فعلى حين قال بعضهم بضرورة أخذ كل ما جاءنا من الأسلاف جملة ودون تمييز أو اصطفاء ، تطرف آخرون وذهبوا إلى حد المناداة بضرورة نبذ كل ما خلفه لنا الأجداد جملة أيضاً . وحجة الأولين أن آخر الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، أما حجة الآخرين فهي أن في الأخذ بالحضارة الغربية الحديثة اختصاراً للطريق ، وأن ما صلح لجماعة من الناس لا بد أن يكون صالحاً أيضاً لجماعة أخرى . وقد تولدت عن هذه الدعوة الخطيرة دعوات هدامة أخرى راحت تشكك بجدوى تراثنا وآدابنا وثقافتنا ، وأيضاً بلغتنا الفصحى ، بدعوى الحاجة إلى **استبدال العامية بها** ، وبطريقة كتابة العربية واستبدال اللاتينية بحروفها .

ولم تقف نار المعركة عند حدود **المشرق العربي** ، ولا سيما في **مصر ولبنان** ، بل امتد لهيبها إلى عرب المهاجر الأميركية . وقد انبرى في أحد المحافل **الشاعر فوزي المعلوف** وراح يقول :

خلّ البداوة : رمحَها وحسامَها
والجاهليةَ : نوقَها وخيامَها

وفي هذه القصيدة أنكر كل فضل للقديم ولم يجد أي جدوى له فيما آل إلينا من تراث . والذي حدث أن **الشاعر المهجري الياس فرحات** اعتلى المنبر نفسه وتصدى لرأيه بأبيات معارضة حامى فيها عن ماضي العرب وعده ركناً هاماً من أركان وجودهم :

حتى البداوة : نوقها وخيامها
والجاهلية : رمحها وحسامها
حيتك أطياف القديم وسلمت
فمن العدالة أن ترد سلامها
قد تبلغ النفس الطموح أشدها
ويظل يذكرها الولاء فطامها
لولا الجذور المطمئنة في الثرى
ما كانت الأغصان ترفع هامها

والحق أن الماضي الموروث ، سواء أكان بالنسبة للفرد أم للجماعة ليس كما توهمه ذلك الشاعر وأمثاله ، مما يمكن شطبه بنزوة ، أو إلغاؤه بعبارة ، وهو ليس كالثوب نرتديه حين نشاء ونخلعه حين نشاء . إنه شطر عزيز من وجودنا وقسم غالٍ من تاريخنا ، وهو حيّ في نفوسنا ، سار في دمائنا ، مؤثر في سلوكنا ، سواء وعينا ذلك بشعورنا ، أو غاب عنا في لا شعورنا .

لقد وقف العديدون من مفكري العرب والمسلمين في هذا العصر وقفة دارسة متفحصة أمام ذلك **التحدي الحضاري الغربي** ووجدوا أن من العسير عليهم أن يرفضون جملة ، وهو يضغط على حياة العرب والمسلمين وسائر أمم المشرق بقوة هائلة . وبدا لهم أن يتوسطوا بين الحالين ، فيمسكوا العصا من منتصفها . وهكذا مضوا في محاولات التوفيق بين متطلبات الماضي ، وبين مقتضيات الحاضر .

حضارتنا العربية والإسلامية

وفي رأينا أن في كل حضارة أسساً ثابتة وعناصر زائلة . هذه حقيقة ينبغي قبولها والإقرار بها . فالأجداد بشر ، وهم يحسنون وقد يسيئون ، والإنسان قد ينطوي على الإبداع ، ولكنه أيضاً مفطور على النقص وغير معصوم عن الخطأ . ولولا إضافة الأحفاد إلى ما أنجزه الأجداد لعادت المدنيّة القهقرى ، واضمحل السعي ، وساد التعطيل . ولا بد لنا أن نتبنى خير ما عندهم وهو بحمد الله غزير وفير ، وهو أيضاً جدير بأن يهدينا سواء السبيل .

ومع ذلك كله يبقى جانب من المعضلة قائماً دون أن يتهيأ له الحل المنشود . إذ السؤال الملح بصدد تلك المحاولات التوفيقية التي أطال أصحابها التخبط فيها ، هو كيفية الاهتداء إلى تلك الأسس الثابتة في الحضارة العربية الإسلامية وتمييزها من العناصر المتغيرة ؟ أو بعبارة أخرى كيف يتسنى لنا أن نفرز الثوابت المنشودة من تلك المتغيرات المزعومة ؟ . هذا هو في الحقيقة جوهر المحاولات التوفيقية التي خيل إليها يوماً أنها قريبة من إيجاد الترياق ، فإذا هي بعيدة عنه أو هو بعيد عنها بعد الأرض عن السماء .

إن الحضارة كيان ثقافي وروحي ومادي متكامل ، شأنه في ذلك كشأن الأعضاء المختلفة في الجسم الواحد ، إذ ليس بوسعنا أن نبقي على هذا ونستغني عن ذاك . وكل ما نحتاج إليه هو أن نتجاوز طور الانبهار بالغرب ، **وعلينا أن نقتنع بأن التكنولوجيا لا تجلب السعادة وإن جلبت الراحة . وأن التقدم المادي في الغرب إنما يتم على حساب تصدع المجتمع ، وتفسخ الجيل ، وتفتت الأسرة ، وانحلال الأخلاق ، وتشوه القيم ، وشيوع الجريمة ، وتفشي التلوث ، وغلبة الخوف .**

وما نحتاج إليه بعد ذلك أن نتسلح بثقة لا حدود لها بأنفسنا ، وبتراثنا ، معتمدين في ذلك على إيماننا بخالقنا وبغنى حضارتنا وسمو مثلنا وعظمة ماضينا .

أما ما نحتاج إليه أخيراً فهو فكر واع مستنير قادر على استكناه المعطيات الحية من خلال ماضينا المعطاء ، وتراثنا الحافل . **إن خير ما نستمده من ماضينا تلك الطاقة المعنوية الفعَّالة التي قادت أجدادنا إلى الفلاح . بل إنه بوسعنا التعلم حتى من أخطائهم فنعتبر من زلاتهم ، فندرك أنهم أضاعوا بلداناً بتفرقهم ، وتشتت شملهم حين اتبعوا هواهم .**

على أننا حين نستعيد ذكر الماضين فنشيد مثلاً **بخالد بن الوليد ، وصلاح الدين** ، فإننا نستلهم شجاعتهم وعنفوانهم ، وصلابة عقيدتهم ، لا أساليبهم في الطعان والضراب ، ولا طرقهم في الكر والفر . ومن علمائنا الأفذاذ نستمد دأبهم على البحث ، وقدرتهم على الدرس ، وليس ما قاموا به حقاً من فعل ، أو مارسوه من تطبيق أو عمل . ذلك هو الاشعاع الحي والنور الهادي ، ومن وراء ذلك يكون لنا حافز شديد وحماسة دائبة وهيجان خلاق .

إن الشجرة الوارفة مهما نمت وارتفعت ، وأزهرت وأثمرت ، فإنها لا تستطيع أن تتجاهل جذورها وتتعامى عن أصولها .

وإن المرء مهما يبلغ من الشأن والعمر ، والمنزلة والجاه ، فإنه لا يقوى على تناسي ذكرياته ومحو معالم طفولته ، لأن ذلك يعني إلغاء جزء من حياته ، وهدم شطر من كيانه .

وكذلك أيضاً حال الأمم ، إذ ليس بوسعها أن تشيح بوجهها عن ماضيها ، ولا أن تتنكر لتراثها ، لأن في ذلك طمساً لمعالم أصالتها ، وهدراً لأهم مقومات شخصيتها ، وتقويضاً لأعز دعائم وجودها .

إننا أبناء ذلك الماضي بقدر ما نحن أيضاً أبناء هذا الحاضر . فكل ماض عريق هو في حقيقته حاضر عتيد . وما الحياة في أطوارها سوى حلقات متصلة وسلسلة مستمرة . وقد عبر عنها شاعرنا العربي خير تعبير إذ قال :

إن ذلك القديم كان جديداً
وسيغدو هذا الجديد قديما

مشكلة نزيف العقول البشرية

★ منظمة الأوبك في إحدى اجتماعاتها ★



دول العالم الثالث

بقلم: د. محمد عبد العليم مرسي

لعله من المناسب أن نبحث بشيء من العمق فيما تعنيه ظاهرة هجرة العقول ، سواء بالنسبة للدول الأصلية التي هجرها أبناؤها بعد أن أنفقت على تعليمهم وتربيتهم وتأهيلهم وتدريبهم ، أو بالنسبة للدول المتقدمة التي قطفت هؤلاء العلماء في مرحلة من أخطر مراحل عمرهم الإنتاجي .. وهي مرحلة ما بعد الحصول على المؤهل .. والذي هو في الغالب الدكتوراه ...

الجامعات والمدارس ومعاهد التدريب ومؤسساته بمئات الآلاف من الخبراء والمختصين المدربين تدريباً عالياً كي يديروا حركة المصانع ويستجيبوا لمتطلبات السوق الأمريكية الاستهلاكية الضخمة ، وكذا السوق العالمية ، ولكن ثبت للمخططين هناك أن كل هذه المدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات لا تكفي للوفاء بالمطلوب من القوى البشرية اللازمة ، ومن هنا فإن هذا الجانب كان مسؤولا عن امتصاص أعداد كبيرة من المهاجرين .

ولقد عبَّرت صحيفة بريطانية عن هذا الوضع متخوفة عندما لاحظت أن ١٦ ٪ من الحاصلين على درجة الدكتوراه حديثاً من الجامعات البريطانية قد تسربوا مهاجرين إلى أمريكا . وقالت الصحيفة إن ملايين الجنيهات التي دفعها المواطن الإنجليزي على شكل ضرائب ورصدتها الحكومة البريطانية للتعليم الفني قد تحولت في نسبة كبيرة منها لتخدم عجلة الصناعة الأمريكية .

٧ ـ مستوى صحة الشعب الأمريكي

إن المستوى الصحي العالي الذي بلغه الشعب الأمريكي جعل كليات الطب الأمريكية لا تفي بحاجة ذلك المجتمع ، ومن هنا ظهرت الحاجة الماسة للأطباء الماهرين من جميع أنحاء العالم ـ ولا لوم على الولايات المتحدة في ذلك ـ فهؤلاء الأطباء هم الذين يندفعون في أعداد لا حصر لها يؤدون امتحان **رابطة الطب الأمريكية** American Medical Association المرة تلو الأخرى حتى يجتازوه نجاحاً كي يصرح لهم بالعمل هناك ، « إن بروفيسور كيلي ويست » Kelly West بكلية الطب بجامعة أوكلاهوما ، قد أثبت أن الولايات المتحدة كان عليها أن تبني وتدير اثنتي عشرة كلية للطب سنوياً ، كي تخرج الأعداد التي تحتاجها من الخارج سنوياً من بين أطباء أبناء الدول الأخرى . . . هذا العدد الذي يبلغ ١٢٠٠ طبيب في السنة .

ويمضي د . ويست في حساباته مستنتجاً أن هذا العدد من الأطباء يمثل معونة خارجية من دول العالم إلى الولايات المتحدة الأمريكية . . !!! وأن تكلفة هذه المعونة بحساب الدولارات إنما تعادل حجم المعونة الطبية التي تقدمها أمريكا لدول العالم المختلفة سواء كانت هذه المعونة حكومية أو خاصة . . وهي تصل إلى ١٠٠ (مائة مليون دولار)[٦] .

أما مجلة The U-S-S-and World Report فقد أوردت أرقاماً تفوق ما قدره د . ويست العالم الأمريكي هذا المجال ، وذلك حين قالت في عددها الصادر في شهر مايو (أيار) سنة ١٩٦٧م ، بأن عدد الأطباء العاملين في الولايات المتحدة إنما يعادل ما يتخرج سنوياً من ٣٠ (ثلاثين) كلية للطب[٧] .

٨ ـ هروب رأس المال البشري

إن العالم بعد أن انقسم بحدة إلى دول تعلم . . وأخرى لا تعلم ، إلى دول غنية . . وأخرى فقيرة ، إلى دول متقدمة . . وغيرها متخلف ، قد أصبح في حقيقة الأمر عالمين متميزين ، لكل منهما صفات معينة ، ولشعوبهما أنصبة من حظوظ الحياة متفاوتة . . وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد . . . إذ أتت كارثة النزيف البشري للكفاءات العالمية كي تكرس هذا الانقسام وتعمل على زيادة التقدم والعلم والتكنية . . وبالتالي الرخاء والرفاهية في طرف من أطراف المعمورة بينما يحرم الطرف الآخر من كل أولئك ، وبذلك خسر الذين كانوا ـ ولا زالوا يخسرون ـ في أشد الحاجة إلى ذلك الرصيد الهائل من أصحاب الكفاءات والذين كان قد عقد عليهم الأمل في الأخذ بيد مجتمعاتهم لانتشالها من وهدتها ، وكانت المكاسب لصالح الدول المتقدمة ـ ولعدد محدد منها فقط (**الولايات المتحدة ـ كندا ـ إنجلترا ـ فرنسا ـ أستراليا**) ، فأضافت بذلك علماً إلى علم وثراء إلى ثراء ، وبذا تباعدت الشقة بين العالمين ، وأصبح الأمل في التقارب واهياً . . إن لم يكن مستحيلاً .

٩ ـ الأهمية القومية لرأس المال البشري

يتحدث رجال الاقتصاد عن عدة عناصر لازمة للتنمية الاقتصادية من بينها رأس المال ، المواد الخام ، درجة التقدم الفني ، اليد العاملة الماهرة والمدربة ، والأسواق . . إلخ . . ولكن يبقى دوماً أن أخطر العناصر المطلوبة لذلك وهو **رأس المال البشري** ، ولعل الذي يوضح ذلك هو ما تحقق في دولتين من دول العالم هما : **اليابان وألمانيا** ، فهاتان الدولتان اللتان أصابهما الخراب والدمار في الحرب العالمية الثانية ، ذلك الخراب الذي لم تتعرض له دولة أخرى في العالم ، ورغم ذلك وبسبب أن هاتين الدولتين قد استطاعتا أن تستعيدا توازنهما وأن تقفا على أقدامهما فإنهما تعتبران الآن في مقدمة دول العالم في مجالات التنمية الاقتصادية ، وجاء تحليل العلماء ليقول بأنه على الرغم من أن هاتين الدولتين قد فقدتا تقريباً ٥٠ ٪ من قوتهما البشرية بسبب أعمال الحرب ، إلا أنه ثبت أن من بقي من الرجال والنساء قد عملوا بهمة لا تعرف الكلل في سبيل الوطن حتى تحقق لهما ما تحقق من تقدم وسبق . ولو أن هاتين الدولتين كانتا من الدول التي تعاني من مشكلة النزيف البشري للخارج لما قامت لهما قائمة ، وهكذا لعبت القوى البشرية المخلصة والمتحمسة لأوطانها دورها في انتشال تلك الأوطان من وهدتها حتى ولو كانت قرب الخراب الشامل وعلى حافة الإفلاس بسبب حرب عالمية ضروس .

١٠ ـ تضاعف حجم أعداد المهاجرين من الدول النامية

لعل مما يجعل مشكلة هجرة العقول أو هجرة أصحاب الكفاءات

العالية ذات تأثير بالغ الخطورة على خطط التنمية ، خاصة بين الدول النامية ، إن أعداد هؤلاء المهاجرين بالإضافة إلى زملائهم الممتنعين عن العودة ، أخذت تتضاعف في السنوات الأخيرة . فلو افترضنا أن أعدادهم كانت ثابتة إذن لكان جزء من العلاج هو في زيادة أعداد المتخرجين منهم من جامعات أوطانهم الأصلية ، ولكن ما الحل وهذه الأعداد [illegible] ثلاثة أضعافها في اثنتي عشرة سنة .. فقط .. ؟؟ ..

فـي تقرير علمي نشر بالولايات المتحدة في الستينات « نجد أن هجرة العلماء من الدول النامية قد تضاعف حجمها بسرعة ، فـي الفترة من عام ١٩٥٦ م ، وحتى عام ١٩٦٧ م ، نجد أن أعداد العلماء والمهندسين والأطباء (فقط هذه النوعيات الثلاث) قد ارتفعت من (٥,٣٧٣) حتى وصلت إلى (١٥,٢٧٢) » ...

وكمثال على تضاعف حجم المشكلة بالنسبة لدول العالم الثالث ، فإن خمسة أفراد فقط من المصريين الذين حصلوا على درجة الدكتوراه بالولايات المتحدة قد امتنعوا عن العودة إلى وطنهم مصر ... وكان ذلك في عام ١٩٦٠ م .. وكانت هذه هي بداية المشكلة كما جاء في الدراسة التي أجراها **أحمد فتحي بهيج** حول المبعوثين المصريين بالولايات المتحدة ، وكيف أن هذه البداية .. كانت مجرد نقطة صغيرة جداً ومحدودة ... ولكنها بدأت تتزايد وتتسع حتى وصلت إلى حوالي مائتين بحلول سنة ١٩٧٠ م[٨] .

وخلال الفترة من يونيو (حزيران) عام ١٩٧٠ م ، ـــ أي عشر سنوات ـــ امتنع ما يقرب من ألف (٩٥٠) من الدارسين المصريين الحاصلين على الدكتوراه من الجامعات الأمريكية عن العودة لمصر رغم أنهم قد أرسلوا في بعثات علمية قصد بها أن تسد حاجة الجامعات المصرية والمؤسسات الأخرى بالدولة ، وذلك حسبما أثبتته الدراسة التي أجراها كاتب هذه السطور والتي انتهى منها في شهر أغسطس (آب) عام ١٩٨٠ م[٩] .

١١ ـــ الفترة التي يتطلبها إعداد المهاجرين

الأسباب الأساسية لخطورة مشكلة النزيف البشري أن نوعية المهاجرين من العلماء والمهندسين والأطباء التي تتخذ قرارها بالهجرة إلى الخارج يتطلب إعدادها وتدريبها وقتاً أطول من غيرها ، وذلك بالإضافة إلى ارتفاع نسبة تكلفتها مقارنة إلى غيرها من النوعيات التي تخرجها الجامعة . ويكفي أن تذكر هنا أن إعداد باحث حاصل على الدكتوراه في مجاله يستغرق من العمر سنوات وسنوات ، ومعظم الباحثين يكون عمرهم ـــ في المتوسط ـــ بين سن الثلاثين والخامسة والثلاثين عندما ينتهون من دراستهم للدكتوراه .

وقد أثبت كاتب هذه السطور ، من خلال الدراسة التي أجراها ، أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تعودت ، خلال فترة المد العنيف لحركة هجرة العقول ، أن تستقبل مهاجراً من هذه النوعية ... كل ساعتين ... فقط .. أي كل ١٢٠ دقيقة .. !!! وبطبيعة الحال فإن القارئ لا يحتاج لإعمال الفكر كثيراً كي يستنتج أنه ليست هناك أية مقارنة على الإطلاق بين هاتين الساعتين وبين السنوات الطوال التي يحتاجها إعداد واحد فقط من هذه الكفاءات العلمية .

١٢ ـــ خسارة بلا تعويض

لعل الكارثة التي تصيب الدول النامية من جراء هجرة الصفوة من أبنائها من ذوي العقول النادرة والكفاءات العالية ، تكمن في أن هؤلاء الأفراد الذين لا تقدر خبرتهم بثمن يغادرون أوطانهم الأصلية التي تحتاج إليهم ويتجهون إلى بلاد أخرى أكثر تقدماً وثراء .. بلا ثمن .. !!! أي بالمجان .. بكل ما تحمله كلمة بالمجان من معنى .

إن كل شيء فيما يختص بالجوانب الاقتصادية أو في العلاقات التجارية بين الدول ، يباع ويشترى ويحدد له ثمن ... وتجرى الاتفاقات بشأنه واضحة محددة سواء كانت هذه المواد غالية القيمة ، عظيمة الأهمية مثل **المواد الخام كالبترول والكوبالت أو اليورانيوم** ، أو حتى كانت من المواد الخام الأخرى الأقل قيمة **كالمنجنيز أو الفوسفات** أو غيرها ... شيء واحد يذهب بلا ثمن ولا اتفاق ... ذلك هو عقول العلماء ومهارات وخبرات ذوي الكفاءات البشرية العالية المستوى من أبناء الدول النامية ، ومن هنا تذهب الجهود التي بذلت في إعدادهم عبر سنوات تعليمهم والتي تقدر بالعشرات هباءً ، ورغم كل الأموال التي رصدت لذلك التعليم والتي جمعت من عرق وتعب أبناء جلدتهم ، إلا أن كل ذلك أهدر تماماً ... وضاع العائد الاقتصادي الذي كان متوقعاً من عمليات تربيتهم وتعليمهم وإعدادهم وتدريبهم .

وإذا كان أساتذة اقتصاديات التربية المتخصصون يتحدثون عما تخسره دولة ما من جراء إهدار تعليم فئة من أبناء هذه الدولة عندما يتسربون من مرحلة التعليم الابتدائي مثلاً ، أو عندما يرتدون إلى الأمية بسبب هذا التسرب ، وما يصيب اقتصاد هذه الأمة من أضرار بسبب ذلك .. فماذا نقول عندما تخسر هذه الدولة الخلاصة من أبنائها ... بل خلاصة الخلاصة Cream of Cream كما يسميها أو يطلق عليها العلماء من دول العالم المتقدم بهجرة أبنائها من أعلى قمة هرمها التعليمي .. ؟؟ .

وللحق فقد حاول عدد من العلماء والمهتمين بهذا الموضوع أن يلمس هذا الجانب .. أي الجانب الاقتصادي الخاسر لمشكلة هجرة العقول ، محاولا أن يحفز الدول المتقدمة على أن تجمع نوعاً من الضرائب من هؤلاء المهاجرين التي ترسل مرة ثانية إلى أوطانهم الأصلية للمساعدة في خطط

التنمية ، أو لتعويضها على الأقل بسبب خسارتهم ، ولقد نوقش المشروع في عدة لقاءات علمية جادة ، ولكن عدم توحد الرأي . . رأي الدول النامية ، وعدم اتفاقها على من يجمع ممن . . ومن يتولى جمع ما يجمع . . ومن يستفيد من ذلك الذي يجمع . . . كل ذلك جعل المشروع يضيع ويدخل في متاهات أفلحت الدول المتقدمة في الهروب من خلالها . . . ومات المشروع رغم الجهود التي بذلت خلال أعمال جادة كان من بينها المؤتمر الذي عقد في **بيلاجيو** Bellagio بإيطاليا في الفترة من ١٥ ـ ١٩ فبراير (شباط) عام ١٩٧٥ م ، والذي شارك فيه لفيف كبير من رجال القانون والاقتصاد ، وساهمت فيه مؤسسات ذات سمعة دولية هي : **هيئة مشروعات روكفلر** The Rockefeller Foundations **ومعهد النظام الدولي بنيويورك** The Institute For World Order in N. Y. وكذلك **البنك الدولي** The World Bank .

وكان أوضح ما نوقش في هذا المؤتمر مقترحات تقدم بها العالم Bhagawati وزميله Dellalfar واللذان تقدما بمشروعهما في ورقة عمل على أساس أن تجمع هذه الضرائب من المهاجرين بعد أن يستقروا في أوطانهم الجديدة ، ويشترط لذلك أن يوقع المهاجر وثيقة في وطنه الأصلي ، قبل سفره ، يتعهد فيها بدفع تلك الضرائب بعد استقرار أحواله بموطنه الجديد .

ولقد اقترح أصحاب المشروع أن تخصم هذه الضرائب من كمية الضرائب التي قد يطالب بها المهاجر في وطنه الجديد حتى لا يقع تحت عبء دفع ضريبتين في آن واحد . . أي أن تصبح ضريبة مستقطعة مما عليه Tax Deauctable . ولكي يتم المشروع ، الذي نوقش على نطاق واسع ، اقترح صاحباه إما أن تجمع الأموال من المهاجرين مباشرة ، ثم ترسل إلى الدولة الأم كي تستفيد منها في شؤون التنمية ، تعويضاً لها عما فقدته بخسارة أبنائها المهاجرين ، وإما أن تجمع هذه الضرائب من جميع المهاجرين بصفة عامة . . دون التقيد بأوطانهم . . ثم هي من بعد ذلك ترسل إلى هيئة الأمم المتحدة U.N. كي تتولى توزيعها على الدول الأشد تخلفاً والتي هي في أشد الحاجة إلى المعونة .

المهم أن كل ذلك لم ير النور لأسباب كثيرة ليس هنا مجال ذكرها ، وبقيت الحقيقة المؤلمة واضحة وصارخة ، وهي أن الدول النامية ـ رغم خسارتها الفادحة ـ لم تستطع أن توحد جهودها أو تنظم صفوفها في موضوع حيوي وخطير كهذا . . . وبذا استمر الوضع في التردي . . . نحو الأسوأ . . .

هذه هي بعض نتائج هجرة العقول البشرية الخطيرة التي ترتبت على نزوح الأفراد ذوي الكفاءات العالية والتدريب النادر من مجتمعاتهم ، خاصة من الدول النامية ، إلى مجتمعات أخرى متقدمة . . بل في غاية التقدم . . فخسرتها الأولى ، وخسرت بذلك الشيء الكثير الذي قد يكون تعويضه أمراً صعباً . . إن لم يكن شبه مستحيل ، بينما استفادت منها الدول المتقدمة استفادة اعترف بها كاتبوها ومفكروها وراسمو سياساتها وكذا المشرفون على التخطيط بها .

وعموماً فإن الحديث عن الآثار الضارة لهجرة العقول البشرية إذا كان قد لقي كل هذه العناية من الكتّاب والمؤلفين في جميع أنحاء العالم تقريباً ، إلا أن هناك بعض الكتّاب الذين وجدوا فيها ـ أي في الظاهرة نفسها ـ شيئاً من النفع ، فليست كلها خسارة ـ كما يقولون ـ فالباحث في هذا الميدان يلحظ الآتي بهذا الخصوص :

(١) يقول بعض المفكرين إنه طالما أن هذه العقول لا تستغل في أوطانها الأصلية ، لسبب أو لآخر ، فإن هجرة أصحابها إلى الخارج واستغلال طاقاتهم وإبداعاتهم في مجتمعات أخرى ، هي في النهاية لصالح البشرية كلها . وهم يدعمون قولهم هذا قائلين بأن المخترعات والمبتكرات التي تتسم في جزء من المعمورة لا يقتصر خيرها ونفعها على هذا الجزء فقط ، بل هي تنتشر لتعم معظم دول العالم وشعوبه .

(٢) يشرح بعض العلماء موقفاً جديداً يقولون فيه إن الفضل في ظهور هذه العقليات على هذا المستوى لا يرجع فقط إلى أن أصحاب هذه العقول هم من المتميزين فكراً وعلماً وتدريباً ، ولكن لأن المجتمعات الجديدة التي هاجروا إليها بما فيها من إمكانات تنظيمية وقدرات علمية وخبرات معملية وتنظيمات مكتبية ومعينات على التجريب والبحث والنشر . . لا حدود لها ، هي العوامل الأساسية التي ساعدت على أن يظهر نبوغهم وتفوقهم وإبداعهم ، ويضربون مثلاً لذلك بعالم هندي في مجال الرياضيات مثلاً ، فلو أنه بقي بالهند عشر سنوات بعد حصوله على الدكتوراه لما كان تعدى أن يكون أستاذاً عادياً بإحدى الجامعات ، أو موظفاً كبيراً في شركة من الشركات . . بينما هو عندما هاجر إلى الولايات المتحدة ، وبفضل الإمكانات الخرافية التي وضعت تحت يديه في **وكالة أبحاث الفضاء الأميريكية** ، استطاع أن يضع بحوثه تحت التجريب ودخل ميدان المخترعين بفضل الجو العلمي المحيط .

(٣) يدعي البعض أن خروج هؤلاء العلماء من بيئاتهم الأصلية إلى مواطنهم الجديدة قد ساعد على نشر السلام العالمي ، وذلك عن طريق توضيح قضايا بلادهم في مجتمعاتهم الجديدة مما أتاح الفرصة أمام تفهم عالمي أوسع لها ، هكذا قال الباحثون الذين تولوا بحث مشكلة هجرة العقول من الباكستان ، وهكذا أيضاً قال **آدمز** Adams .

والواقع أن هذا القول يجب أن يؤخذ بشيء من الحذر وإعمال الفكر ، فحقيقة أن بعض المهاجرين يحاولون جاهدين أن يشرحوا قضايا بلادهم الأصلية في أوطانهم الجديدة ، ولكن ذلك يتم في نطاق محدود جداً . . أي في نطاق عملهم أو سكنهم فقط . . ولا يصل تأثيرهم إلى القطاعات العريضة من تلك المجتمعات التي تسيطر عليها وسائل الإعلام

الحديثة من صحافة وسينما وتليفزيون وراديو وكتب ونشرات .. إلخ .

وحتى نوضح هذا القول يكفي أن تذكر أن بالولايات المتحدة آلافاً من العلماء العرب الذين اتخذوها موطناً لهم ، ولا يستطيع إنسان أن يدعي بأنهم قد أثروا تأثيراً فعالا في قطاعات المجتمع الأمريكي بخصوص قضية العرب الأولى . . . وهي قضية فلسطين .

(٤) يقول الكاتبان **جروبل وسكوت** Grubel & Scott الكنديان ، ويؤيدهما **كوا** Koa الصيني الأصل ، بأن أعداداً كبيرة من هؤلاء العلماء يرسلون بصفة دائمة تحويلات مالية لأهلهم الذين تركوهم بالوطن ، وذلك من خلال ناتج عملهم في موطنهم الجديد ، ومن خلال هذا الدعم المالي المستمر فإن أسرهم بالوطن استطاعت أن تحيا حياة معقولة . ولقد قال بعض أفراد العينة التي قابلها «كوا» من العلماء ذوي الأصل الصيني (من تايوان) إنهم يرسلون لأهلهم مبالغ من المال تصل تقريباً إلى حجم مرتباتهم التي كانوا يتقاضونها في وطنهم الأصلي قبل هجرتهم .

(٥) يبدي الكثير من العلماء المغتربين استعدادهم لأن تترجم أعمالهم التي ألفوها ، وبحوثهم التي نشروها إلى لغاتهم الأصلية بالمجان حتى يستفيد منها أبناء وطنهم . ولقد أبدى عدد من العلماء المصريين استعدادهم لكاتب هذه السطور أن يذهبوا إلى مصر للتدريس بجامعاتها لمدة فصل دراسي .. وحتى لمدة عام .. حيث تتيح لهم ظروف عملهم ذلك ، شريطة أن تتكفل الجامعات المصرية بنفقات انتقالهم من مواطنهم الحالية إلى مصر وتحت الظروف التي تسمح بها أحوالها .

(٦) ينادي بعض الخبراء من دول العالم النامي ، وخاصة في مجال الدراسات العليا والإشراف على المبعوثين بالخارج بالاستفادة من وجود ذلك المخزون البشري الكبير من أبناء الوطن المهاجرين في تذليل الصعاب أمام المبعوثين الجدد ، ويقولون إن وجودهم يساعد في عمليات القبول بالجامعات ، وكذا في الأمور الاجتماعية الأخرى مثل الإسكان والتكيف مع المجتمعات الجديدة ، وإن ذلك يجعل الوافد الجديد يصرف معظم همه وجهده إلى البحث والدرس ، وهذا القول طيب ومعقول ، إلا أن له وجهاً آخر خطير . . . وهو أن أولئك الوافدين الجدد باتصالهم بالمهاجرين القدماء إنما تنفتح أعينهم ومداركهم على ظروف حياتهم في أعمالهم ومعيشتهم ، وعلى مدى ما يحققون من كسب مادي وعلمي وأدبي ، ومن هنا يقع المحظور حيث يبدؤون هم أيضاً . . ومبكرين . . بالتفكير في نفس الاتجاه . . أي اتجاه الهجرة أو البقاء بالخارج بعد الانتهاء من الدراسة ، ولقد أجريت بعض الأبحاث التي ثبت من خلالها أن الدارسين الذين لهم أقرباء في الوطن الثاني ، ساعدوهم على القبول بالجامعات أو في الحصول على بعض الأعمال كانوا أقرب لاتخاذ قرار بالبقاء بالخارج من غيرهم .

هذه هي بعض آثار هجرة أصحاب العقول وذوي الكفاءات الذين يتركون أوطانهم ، أو يرغمون على تركها تحت ظروف مختلفة ، وهي آثار لا يستطيع إنسان أن يقلل من خطورتها على خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المدى القريب أو البعيد ، ولقد حاولنا جهدنا في علاجها وتناولها من وجهات النظر المختلفة ، كما فندنا الآراء المتعددة التي بحثتها ، وخاصة تلك الآراء التي خرجت من مفكرين وعلماء وصناع سياسة في دول العالم الغربي وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة ذلك العالم وصاحبة أضخم مؤسسات علمية وتكنولوجية في العالم كله .

وإذا كان هؤلاء العلماء والكتّاب قد قالوا آراءهم وأدلوا بشهاداتهم بمنتهى الحرية وبغاية الموضوعية فإنه يبقى أن يهتم نظراؤهم في العالم الثالث بالموضوع نفس الاهتمام وبنفس القدر من الموضوعية والرؤية الصائبة . . . وذلك حتى تنهض دولهم وشعوبهم . . وحتى تستطيع أن تعوض شيئاً من الكثير الكثير الذي فاتها في الماضي . . ويفوتها كل يوم . . في كل مجال . . . ولكن هل يمكن أن يتم فهم هذه الظاهرة المتعددة الجوانب دون فهم الأسباب المؤدية إليها . . . تلك الأسباب التي قسمها العلماء إلى أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وأكاديمية وتربوية . . وغيرها . . . ؟ . . . بطبيعة الحال لا . . ولعل ذلك يكون موضوعاً لحديث آخر . . نرجو الله أن يعين عليه وهو خير موفق . . . وعليه دائماً قصد السبيل .

الهوامش

(1) Glasser, Willeam A &Christopher G. Habers, *The Brain Drain, Emigration and Return, Findings of Aunitar Multinational Comprehensine Survey of Professionals of Developing Countries Who Study Abroad*. (N-Y: Pergaman Press, 1978), P. 1.

(2) *The International Migration of Talent and Skills*. (Washington: Social Science Research, Inc., 1966), PP. 86-87.

(3) Ibid., P. 1.

(4) Ibid., P. 40.

(5) Adams, Walter, The Brain Drain (N. Y: The Macmillan Campany, 1968), PP. 2-3.

(6) Adams, op-cit., P. 2.

(7) Vas-Zoltan, op-cit., PP. 76-77.

(8) Bahig, Ahmed F. «Graduate Study Missions to the U. S. As Serving The National Interests of The U. A. R (Egypt)», (Unpublished Doctors Dissertatio, The latholic University of America, Washington, 1971).

(9) Morsy, Mohamed A. «Selected Demographic Characteristies and Perceived Reasons For The Non-Retion of Egyption Missions Members Who Secured Their Ph. Ds in The U. S. A.» (Unpuhlished Doctors Dissertation, University of Virginia, Charlottesville, 1980).



الخدمات التكنولوجية

بقلم: د. لطفي بركات أحمد

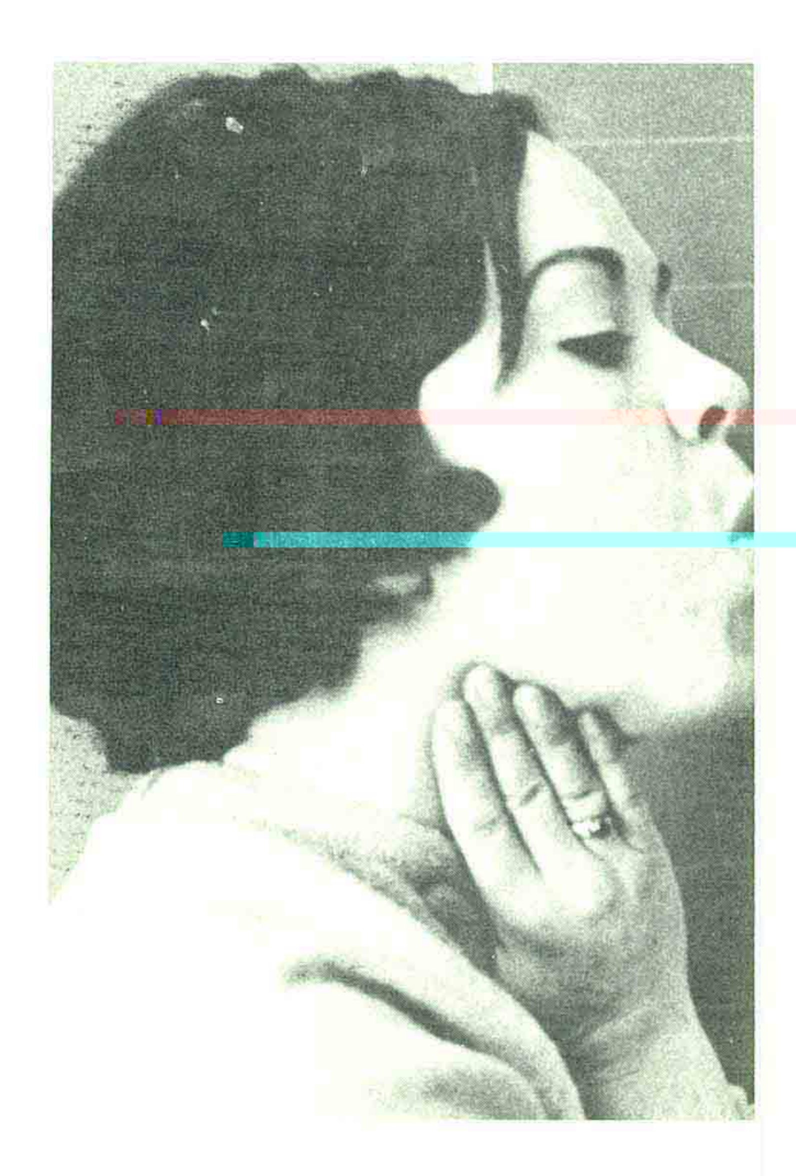
والحقيقة أن التكنولوجيا مفهوم واسع تعددت معانيها ، واختلفت تعاريفها تبعاً لاهتمامات الباحثين ؛ فهناك من يعتبرها « برنامجاً دراسياً » يدرس في المؤسسات المهنية والفنية ، غير أن هذه النظرة تجعل مفهوم التكنولوجيا أبعد ما يكون صلة بالعلوم الإنسانية[١] ، في حين يرى **ليزلي وايت** Leslie White أن التكنولوجيا هي أداة تحريك الثقافة ، لأن الثقافة في نظره تعتمد على المادة وتكييفها لكي تتواءم مع البيئة ، وبهذا المفهوم تصبح عاملاً مستقلاً Independent Variable والبيئة عاملاً معتمداً[٢] Dependent Variabl ؛ كما أبرز **أوجبرن** Ogburn العلاقة الدينامية التفاعلية بين التكنولوجيا وارتفاع مستوى الحياة في الجماعة الإنسانية[٣] ، كذلك أوضح **مالينوفسكي** Malinowski أثر التكنولوجيا وفاعليتها في تلبية الاحتياجات الرئيسية للإنسان[٤] . ولعل دراسة **كوتريل** Cottrel التي نشرها بعنوان « **الموت باختراع الديزل : دراسة حالة لرد فعل التغير التكنولوجي** » (Death by Dieselization, A Case Study in Reaction to Technological Change) تؤكد أثر التكنولوجيا في تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد[٥] .

وفي هذه الحدود ، سنحاول الإشارة إلى بعض الخدمات التكنولوجية التي تقدم للمعوقين من أجل ضمان حسن تكيفهم النفسي والاجتماعي وذلك على النحو التالي :

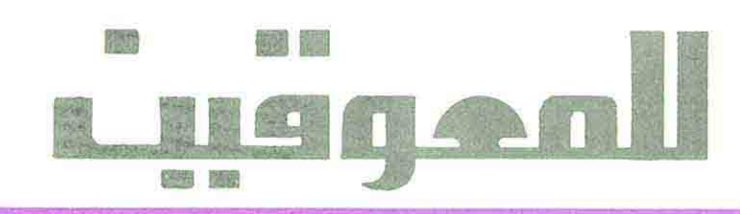
أولا : في مجال الإعاقة العقلية

استحدثت عدة خدمات تكنولوجية في رعاية المعوقين عقلياً بدأت **باختبار بينيه وسيمون** عام ١٩٠٥ م ، لاكتشاف ضعاف العقول وتقديم العون التربوي لهم ، ثم أدخلا عليه عدة تعديلات عام ١٩٠٨ م ، وعام ١٩١١ م ، وكان من خصائصه أنه مجموعة من العمليات المتنوعة تشتمل على مجموعة من الفقرات تعتبر ترجمة تطبيقية لمفهوم الذكاء ؛ ثم ظهرت له عدة مراجعات منها مراجعة **ياركز** Yerks Revision ، ومراجعة **هيرنج** Harring ، ومراجعة **كالمان** Kalman ، ومراجعة **تيرمان وميرل** Terman and Merrell التي أمكن في ضوئها الحصول على نسب ذكاء معدلة أكثر دقة وأعلا ثباتاً وصدقاً من نسب الذكاء العادية[٦] .

ومن أمثلة الخدمات التكنولوجية في هذا المجال أيضاً ، **اختبار وكسلر بلفيو** لذكاء الأطفال والمعروف باسم « **ويسلك** » (Wechsler Belvue Intelligence Scale For Children) والذي نشر عام ١٩٤٩ م ، وقام بترجمته إلى العربية **لويس كامل مليكة وعماد الدين إسماعيل** عام ١٩٥٧ م ، ثم عدلاه عام ١٩٦١ م ، وهو يتكون من أربعة عشر



إذا كان المفكرون قد أطلقوا مسميات عديدة على عصور الفكر الإنساني ، فكان هناك مثلاً عصر النهضة ، الإصلاح ، التنوير ، العقل ، وغير ذلك حسب سيطرة أحد عناصر الثقافة على روح العصر ومطالبه ، إذا كان ذلك كذلك ، فيمكننا أن نسمي العصر الذي نعيش فيه عصر التكنولوجيا .



اختباراً لقياس القدرات العقلية للأطفال .

وهناك أيضاً **اختبار جودانف** Goodenough لقياس ذكاء الأطفال الذي نشر عام ١٩٢٦ م ، حيث تتابعت الدراسات السيكومترية حوله في مختلف أجزاء الوطن العربي[٧] ؛ وهذه صورة من المفردات التي يتألف منها المقياس الأصلي .

وهناك أيضاً **اختبار القدرات السيكومترية** ، منها اختبار المهارة

مسلسل	المفردة	مسلسل	المفردة
١	الرأس	٢٦	صحة رسم الإبهام
٢	الساقان	٢٧	إظهار راحة اليد
٣	الذراعان	٢٨	مفصل الذراع
٤	الجذع	٢٩	مفصل الساق
٥	طول الجذع أكبر من عرضه	٣٠	تناسب الرأس
٦	ظهور الأكتاف بوضوح	٣١	تناسب الذراعين
٧	اتصال الذراعين والساقين	٣٢	تناسب الساقين
٨	اتصال الذراعين في المكان الصحيح	٣٣	تناسب القدمين
٩	الرقبة	٣٤	الذراعان والساقان من بعدين
١٠	اتساق خطوط الرقبة مع الرأس	٣٥	إظهار الكعب
١١	العينان	٣٦	التوافق الحركي لخطوط الرسم
١٢	الأنف	٣٧	التوافق الحركي لخطوط الرأس
١٣	الفم	٣٨	التوافق الحركي لخطوط الجذع
١٤	الأنف والفم من بعدين	٣٩	التوافق الحركي لخطوط الذراعين
١٥	إظهار فتحتي الأنف	٤٠	التوافق الحركي لخطوط الوجه
١٦	الشعر	٤١	وجود الأذنين
١٧	الشعر في الأماكن الصحيحة	٤٢	إظهار الأذنين في مكانهما
١٨	الملابس	٤٣	إظهار تفاصيل العين
١٩	وجود قطعتين من الملابس	٤٤	إظهار تفاصيل إنسان العين
٢٠	خلو الملابس من القطع الشفافة	٤٥	إظهار تفاصيل العين
٢١	وجود (٤) قطع من الملابس	٤٦	إظهار الذقن والجبهة
٢٢	وجود الملابس كاملة	٤٧	إظهار بروز الذقن
٢٣	الأصابع	٤٨	إظهار تفاصيل العين (اتجاه العين)
٢٤	صحة عدد الأصابع	٤٩	الرسم الجانبي
٢٥	صحة تفاصيل الأصابع	٥٠	الرسم الجانبي
		٥١	الرسم الجانبي

اليدوية ، واختبار مهارة الأصابع ، ويمكن وصف الاختبار الأول على النحو التالي :

« يتكون من لوحة خشبية مساحتها ١٠٠ × ٤٠ سم وتتكون من جزءين الجزء السفلي ثابت والجزء العلوي متحرك على الجزء السفلي وبه (٤٨) ثقباً مستديراً نصف قطره ٢ سم ، و (٤٨) قطعة خشبية أسطوانية الشكل نصف قطرها ١,٥ سم وارتفاعها ٣ سم وعند التطبيق تنزع القطع من اللوحة أمام المفحوص ويطلب منه إعادتها بسرعة ويسمح له بأربع محاولات تكون الأولى للتمرين » .

ثانياً : في مجال الإعاقة السمعية

ظهرت عدة تقنيات حديثة في هذا المجال منها **الأيديومترات الصوتية الفردية والجمعية** ، وسنقصر الحديث على الأيديومترات الصوتية الجمعية حيث إن عائدها التربوي أعم وأشمل ، وذلك لإمكانية تطبيقها على أربعين تلميذاً دفعة واحدة وخلال نصف ساعة واكتشاف ما يعاني منهم من إعاقة سمعية .

تشبه هذه الأيديومترات الحاكي وتتصل بسماعات فردية يصل عددها إلى أربعين سماعة ويصل صوت الأسطوانة إلى هذه السماعات بقوة واحدة والأسطوانة مسجل عليها أزواج من الأرقام مثل (٢ ـ ٥) (٣ ـ ٢) . . . إلخ ؛ ويطلب من التلاميذ وضع السماعة على الأذن اليسرى ويعطى لكل منهم ورقة خاصة ليسجلوا عليها ما يسمعون من أرقام وبعد التأكد من فهمهم لتعليمات الاختبار ، تدار الأسطوانة ، ويسجل التلاميذ ما يسمعونه ، ويتدرج الصوت من عال إلى منخفض حتى يصل إلى درجة لا يستطاع سماعه ؛ وهذه اللحظة هي التي تحدد درجة قصور السمع في الأذن اليسرى ؛ ثم يكرر نفس الاختبار على الأذن اليمنى[٨] .

ثالثاً : في مجال الإعاقة البصرية

سنحاول هنا توصيف بعض الشروط التقنية اللازمة في تجهيز فصل دراسي لضعاف البصر وذلك على النحو التالي :

(أ) **الإضاءة** :

للإضاءة علاقة قوية بصحة العين ، وأداء وظيفتها ويؤكد علم البصريات أن استمرار سلامة العين في أداء وظيفتها يعتمد على الكم والكيف للضوء ؛ ومن المعروف أن العين تقوم بوظيفتها بطريقة آلية مثل القلب ، ومن الطبيعي أن يؤدي عدم الاهتمام بتوفير الإضاءة الكافية إلى

★ اختبار قوة السمع لدى المعاقين بالصمم ★



انتشار الضعف البصري بين الأفراد بصرف النظر عن عامل السن وإن كانت النسبة تزداد بين المتقدمين في السن كما تشير إليه الإحصائية التالية :

★ **في المرحلة التعليمية حتى الثانوي نسبة ٢٠ ٪**
★ **في المرحلة الجامعية نسبة ٤٠ ٪**
★ **من سن الأربعين نسبة ٦٠ ٪**
★ **من سن الستين نسبة ٩٥ ٪**[٩]

(ب) **الأجهزة المختلفة** :

ينبغي توفير أجهزة تقنية مثل **الفانوس السحري** ؛ جهاز تسجيل المكتبة الخاصة به ؛ جهاز عرض سينمائي صغير ١٦ مم ، مطبعة « جستتنر » ولوازمها .

(جـ) **الوسائل التعليمية** :

يراعى أن تكون المصورات والخرائط واللوحات كبيرة ومبسطة وملونة بالألوان التي يستطيع التلاميذ تمييزها بسهولة كما يراعى طبع الكتب بصفة خاصة بالبنط العريض (٢٤) مع الاهتمام بالصورة التوضيحية ، ومراعاة عناصر الوضوح والألوان وخلوها من التفاصيل الكثيرة ، وأن يكون ورق الكتب من غير المصقول أو غير اللامع ، وأن تكون المسافة بين كل سطر وآخر من ٣/٤ بوصة إلى بوصة ؛ كما يفضل استخدام قلم الطباشير المربع الناعم الملمس الذي يسهل مسحه على السبورة ، وأن يتناسب لونه مع لون السبورة ؛ فلون الطباشير الذي يتناسب مع لون السبورة الرمادية ـ مثلاً ـ هو اللون الأبيض ، وذلك لوضوح التضاد والتمييز بين اللونين ؛ كما يفضل أن يستخدم ضعاف البصر الأقلام ذات



الحجم العادي على أن يكون رصاصها ثقيل سميك متوسط الطبع ، وأن يكون سن القلم غير مدبب ليكون الخط كبيراً وواضحاً عند القراءة .

رابعاً : في مجال الإعاقة البدنية

ظهر في هذا المجال تقنيات متطورة ومتعددة ؛ يمكن رصد بعضها على النحو التالي :

(أ) الجهاز التعويضي :

وهو الجزء المعوض عن نقصان أي جزء من أجزاء الجسم مثل الذراع أو الرجل ، ويعرف هذان النوعان **بالأطراف الصناعية** ، ويرجع نشأة هذه الأجهزة إلى عهد **قدماء المصريين** ، حيث عرف أول طرف صناعي وكان يطلق عليه لفظ **(دبوس)** ، ثم طرأت عليه عدة تطورات من ناحيتي الشكل والحركة الميكانيكية وذلك على يد **أخصائي الأطراف الصناعية الشهير « فيشينسكي »** الذي توصل إلى ابتكار ذراع صناعي إلكتروني يعمل بواسطة إشارات مباشرة من المخ عن طريق جهاز دقيق جداً يحول هذه الإشارات إلى ذبذبات كهربائية تحول إلى طاقة كبيرة تحرك الذراع الصناعي في شكل طبيعي تقريباً .

(ب) العلاج الحراري :

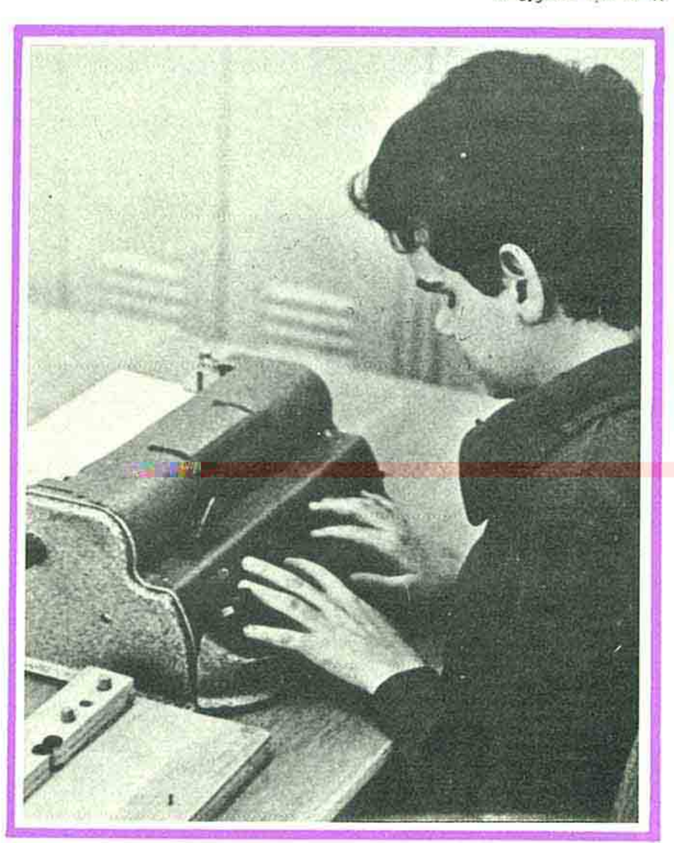
المعروف أن الطاقة الحرارية تنتقل بالجسم في درجة حرارة عالية إلى جسم آخر في درجة حرارة أقل عن طريق توصيل تيارات الحمل والإشعاع والتحويل ووسائل العلاج عن طريق التسخين تشمل الأشعة تحت الحمراء ، والموجات القصيرة ، والموجات الدقيقة ، وعند استعمال الأشعة تحت الحمراء عن طريق حمام علاجي ؛ فإن الأشعة الصادرة تؤدي إلى رفع درجة حرارة الجسم المعالج ، ولكي تصل الحرارة إلى الأنسجة العميقة لا بد من رفع درجة حرارة الأنسجة السطحية بمقدار ، وبهذا يمكن علاج الأنسجة السطحية والعميقة دون حدوث أي إضرار ؛ أما استخدام الموجات فوق الصوتية في العلاج فيستخدم فيه جهاز يصدر موجات صوتية بتردد عالي جداً وذلك للحد من الالتهابات والإصابات المزمنة خصوصاً المفاصل والأنسجة الصلبة .

(جـ) العلاج الضوئي :

ويشمل استعماله **الأشعة فوق البنفسجية** في حالات لين العظام وذلك للمساعدة على تكوين **فيتامين (د)** تحت الجلد ، وكذلك لالتئام القروح المزمنة .

(د) العلاج بالتيار الكهربائي :

ويشمل استعمال التيار التجلفنك المتقطع في علاج حالات شلل



الوحدة العصبية السفلى مثل إصابات جذور الأعصاب، والأعصاب الطرفية كالشلل العصبي، وضعف العضلات وحالات الهستيريا.

(هـ) العلاج بالوسائل الميكانيكية :

ويشمل التدليك والتمرينات العلاجية بغرض زيادة الدورة الدموية، وتحسين التضخم العضلي، ومواجهة الالتهابات المزمنة، وأمراض الجهاز الحركي والشلل وغيرها[١٠].

(و) العلاج بالتدريبات الرياضية :

وهذه التدريبات تزيد حركة المفاصل وليونتها، وتقوي العضلات، كما تزيد الدورة الدموية، وتساعد على حيوية ونشاط الجسم، ومن أمثلة هذه التدريبات اختبار اللياقة البدنية لشباب كليفلاند[١١] **واختبار لارسون** للتدريب العضلي[١٢] وغيرها.

(ز) العلاج المائي :

ويشمل استخدام الخواص الطبيعية المفيدة للماء في علاج معظم حالات الجهاز الحركي، إذ تغمر الجزء المعالج تحت الماء في حوض خاص. ومن مميزات هذا العلاج أنه يمكن استخدامه في رفع درجة حرارة الجزء المعالج عن طريق تسخين الماء، كما يمكن إجراء تدليك تحت الماء بواسطة جهاز خاص يوضع بحوض الماء وحيث تكون التمرينات العلاجية تحت سطح الماء أسهل للمريض وفقاً لقاعدة **أرشميدس**.

الهوامش

1- William, F; Ogburn–The Meaning of Technology and Social Change, edited by Francis, R;-Allen and Others, Appleton Century Crofts, N. Y. 1957; P. 3.

2- Leslie, A; White-The Science of Culture, Farr Strons, N. Y. 1949; P. 365.

3- William, F; Ogburn–Technology and The Standard of Living in The United States, American Journal of Sociology Vol LX, No, 4, 1953; PP. 380-386.

4- BRONSLAW Malinowski–A Scientific Theory of Culture and Other Essays, Chapel Hill University of North Carolina, 1944; P. 91.

5- E. L; Trist and K; W; Bam Forth–Some Social and Psychological Consequence of Long Wall Method of Coal Getting Human Relations, Vol 4; London, 1951; P. 8.

6- Terman, L; M; and Merrell, M; A;–Stanford Binet Intelligence Scale Manual For The Third Revision, 1960; London, George Harper and LTD, 1960.

٧ ــ في مصر، استخدم إسماعيل القباني هذا الاختبار في الفترة ما بين عامي ١٩٢٨ ــ ١٩٣٠ م، كمحك لحساب صدق اختبار الذكاء الابتدائي، ثم أعقبتها محاولات قام بها ميشيل إسكندر في الفترة ما بين عامي ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ م، وفي الأربعينات قام علي شلتوت بتعديل طريقة تصحيح الاختبار بما يتلاءم مع البيئة المصرية، وفي الخمسينات قام مصطفى فهمي بتعديل معيار الاختبار المذكور؛ وفي الأردن قام محمد بطانية بتعديلات لهذا الاختبار، كما قام مالك البدري في السودان بعمل تعديلات لهذا الاختبار؛ كما قام محمد نسيم رأفت في الكويت، وعبد السلام عبد الغفار في لبنان، وفتحي السيد عبد الرحيم في اليمن، وفؤاد أبو حطب بإدخال تعديلات جديدة على هذا الاختبار.

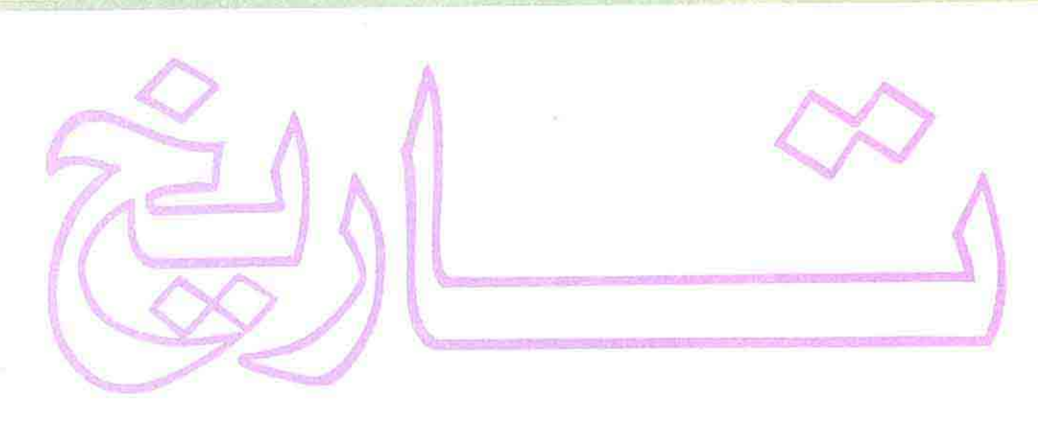
٨ ــ دكتور لطفي بركات أحمد: الفكر التربوي في رعاية الطفل الأصم، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧٨م، ص ص ٧٤ ــ ٧٨.

٩ ــ دكتور لطفي بركات أحمد: الفكر التربوي في رعاية الطفل الكفيف، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص ص ١٤٠ ــ ١٤٨.

١٠ ــ دكتور عادل نبيه عوض: العلاج الطبيعي، مجلة المكتبة، أبها ــ مايو (أيار) ١٩٧٩م، ص ص ٦٨ ــ ٦٩.

11- William Porkhurst–«Lets Have a National» «Fitness Test»–Journal of Physical Education, September; 1961; P. 17.

12- LARSON: Muscular Strength Test.



بقلم: د. عبد الله مبشر الطرازي

إن مطالعة تاريخ الحضارات لممتعة حقاً، ذلك أنها تعطينا فكرة عامة عن حياة كل مجتمع عظيم في كل ركن من أركان هذا العالم الكبير، وبالتالي تحيطنا علماً بالتطور البشري كله منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، وذلك بعد أن بدأ الإنسان حياته على صفحة هذه الأرض، ومر بمراحل مختلفة وهو ينتقل من عصر إلى عصر في طريق تطوره حتى استطاع أن يصل في النهاية إلى مرحلة حضارية تليق بمقامه الإنساني المكرم في هذا الوجود.

ويلاحظ أن معظم الحضارات القديمة بصفة عامة، قد نشأت على وديان الأنهار الكبيرة **كالنيل والفرات والسند**، وعليها ازدهرت حتى اشتهرت في الآفاق، ويرجع السبب في ذلك إلى **توافر العوامل الطبيعية والجغرافية والاقتصادية** التي ساعدت في بادئ الأمر على قيام مجتمعات كبيرة متقدمة في مثل تلك الوديان، وأدت إلى بذل الجهود الفكرية لقيام تلك الحضارات العظيمة بها.

على أن كل حضارة مثلما تقوم بالتدريج بفضل عوامل طبيعية وإنسانية، فإنها تزول أيضاً تدريجياً حين تضعف تلك العوامل، وذلك بعد ما تصل الحضارة إلى قمة الازدهار والمجد وتفي بكل متطلبات الحياة الكريمة، فعندئذ تقف الحركة الإيجابية للحضارة بسبب ما، لتتجه الحضارة بحركتها السلبية نحو الانحطاط شيئاً فشيئاً آخذة طريقها نحو الزوال.

وقد يرجع السبب في زوال الحضارة إلى حدوث خلل في تلك العوامل الطبيعية أو الاقتصادية أو الفكرية التي كانت قد ساعدت على قيامها من قبل، وبالإضافة إلى ذلك فإن **الحضارة قد تنتهي أحياناً لأسباب خارجية كالحملات والغزوات الكبيرة المدمرة التي تقضي عليها وعلى آثارها، أو لأسباب داخلية حين تكثر الحروب الأهلية وتزداد معها الأزمة الاقتصادية وتشتد الخلافات الفكرية والمذهبية، وتكثر المشاكل الاجتماعية في البلاد.**

حضارة وادي السند

إن حضارة **وادي السند** التي تم اكتشاف آثارها في المناطق الأثرية الكثيرة في بلاد السند مثل **منطقة موهنجود أرو وهريا وأمري وجنهود أرو وجهوكروكوت ديجي** وغيرها قد قامت وانتهت أيضاً بسبب نفس العوامل التي ذكرناها فيما سبق. وأهمية حضارة وادي السند من الناحية الإقليمية هي أنها تعتبر بمثابة اللبنة الأولى لتاريخ الحضارة الإنسانية في **شبه القارة الهندية كلها**، ومن الناحية الدولية فإنها لا تقل شأناً عن غيرها من الحضارات العالمية القديمة **كالحضارة المصرية والحضارة اليونانية والحضارة العراقية والحضارة الإيرانية**، وقد كانت حضارة السند هذه معاصرة لتلك الحضارات العظيمة بحيث **يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة**، وعلى ذلك فإننا إذا اعتبرنا **مصر** في القديم منبعاً للحضارة في القارة الإفريقية

الحضارة الإسلامية في بلاد السند

واعتبرنا **العراق** مركزاً للحضارة في آسيا ، فإن وادي السند بلا شك كان مصدراً للحضارة في شبه القارة الهندية ، وبذلك يكون وادي السند قد لعب دوره الفعال في تقدم ركب الحضارة العالمية نحو الأمام في تلك العصور الماضية البعيدة .

إن الآثار التي عثر عليها في مصر والعراق والسند متشابهة إلى حد بعيد وهي تدل على وجود العلاقات التجارية بين المناطق الحضارية في الأزمان القديمة ، ويمكن لنا القول بأن تلك العلاقات التجارية قد مهدت الطريق للروابط الفكرية والثقافية بين البلاد المتحضرة بصفة خاصة والبلاد الأخرى بصفة عامة ، بحيث انتقلت الأفكار والآداب والعلوم بواسطة التجار والسياح من بلدة إلى بلدة مما أدى بذلك إلى استفادة الشعوب بعضها من بعض في النواحي المختلفة . وكانت تلك الروابط في مجموعها بمثابة رابطة إنسانية شاملة تربط بين بني نوع الإنسان في أنحاء العالم .

سبق أن قلنا إن كل حضارة مثلما تقوم بفضل عوامل خلاقة لها فإنها تزول حين تضعف تلك العوامل ، وربما تقوم محلها حضارة أخرى إذا اكتملت العناصر الدافعة لقيامها مرة ثانية ولو بعد زمن بعيد ، وهذا ما حدث بالنسبة للحضارة في بلاد السند التي مرت بعد عهد حضارة موهنجود أرو بمراحل تاريخية كثيرة ، وكانت هذه المراحل التي دامت أكثر من ثلاثة آلاف سنة هي مراحل الانحطاط والتأخر والاضطراب ، وذلك بسبب الحالات الطبيعية والاقتصادية أحياناً ، وبسبب الظروف السياسية والحربية في كثير من الأحيان ، بحيث تعرضت بلاد السند قديماً لحملات خارجية كبيرة متتالية قام بها الغزاة الأجانب من الجهات المختلفة ، فقد **غزاها الآريون والهون والسيت والهنود واليونان والفرس** وغيرهم ، ولم يترك هؤلاء الغزاة أثراً طيباً في ميدان الثقافة والفكر أو في ساحة المدنية والحضارة ، بل كانوا عموماً يعملون لمصالحهم الخاصة ، مهملين شؤون البلاد ومصالح الشعب السندي ، ولذلك بقيت بلاد السند متأخرة في النواحي الكثيرة . وقد استمرت تلك السلسلة من الحملات والغزوات الكبيرة إلى القرن الخامس للميلاد حتى قامت ببلاد السند دولة بوذية ، وفي عهدها شعرت البلاد بشيء من الاستقرار والرفاهية ، ولكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً بسبب قيام الفتن الداخلية السياسية والمذهبية والاجتماعية . وكانت الحروب الأهلية الدامية جارية بين **الأحزاب السياسية** من جهة وبين **أصحاب المذاهب** المختلفة من جهة أخرى . وقامت نتيجة لذلك **دولة برهمية طاغية** في القرن السابع للميلاد وظلت قائمة إلى أن **فتح العرب بلاد السند في القرن الثامن للميلاد** (أواخر القرن الأول للهجرة) وحتى هذا التاريخ كان الشعب السندي لا يزال يعاني الكثير من المشاكل السياسية والخلافات المذهبية والمظالم الاجتماعية ، وكان يتمنى أن تقوم في البلاد وحدة سياسية وحرية دينية وحياة اجتماعية عادلة لينعم الشعب بالاستقرار والرخاء ، وتأخذ البلاد طريقها نحو التقدم والازدهار ، نحو إعادة بناء النهضة والحضارة .

وقد أحسن **المؤرخ توينبي** التعبير حين قال بأن التاريخ يعيد نفسه ، فما حركة الليل والنهار إلا كعجلة دائرة مستمرة تعبر عن حركة الحياة والتطور الإنساني مع تكرار الأحداث .

الدولة العربية الإسلامية

وكذلك أعاد التاريخ نفسه بالفعل في بلاد السند عندما قامت بها **الدولة العربية الإسلامية** بعد أن تم فتحها على يد البطل الشاب

محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هـ ، واستمرت حتى سنة ٤١٦ هـ ، وفي عهد هذه الدولة العربية الإسلامية عادت الوحدة والحرية والعدالة إلى حياة الشعب السندي . وقد اهتم العرب ببلاد السند وعرفوا كيف ينهضون بتلك البلاد التي يحكمونها والتي يعتبرونها جزءاً عزيزاً من وطنهم الكبير وهو الوطن الإسلامي ، فاهتموا بادئ الأمر بتأسيس حكومة منظمة عادلة لأول مرة في تاريخ هذه البلاد ، وحين اطمأنوا بأن الأمور الإدارية المختلفة قد أخذت وضعها الطبيعي في البلاد متجهة نحو الاستقرار ، اتجهوا بالاهتمام البالغ إلى نهضة البلاد من الناحية الفكرية والعلمية . فمن جهة قاموا بنشر الإسلام والعلوم العربية والإسلامية التي أتوا بها معهم ، ومن جهة أخرى عملوا على ازدهار العلوم الموجودة في البلاد حتى تكون النهضة شاملة . وكان من أهم الأعمال الفكرية والثقافية التي قام بها العرب في هذا الصدد هو أنهم أخذوا العلوم والثقافات المختلفة في العالم من ضمنها العلوم والثقافة المعروفة ببلاد السند ، وبعد دراستها والتحقيق فيها اختاروا منها ما يناسب تعاليم دينهم الإسلامي ، ثم مزجوها بثقافتهم العربية وأخرجوها في صورة جديدة تشتمل على جوهر الحضارات كلها ، فقدموها إلى شعوب العالم وإلى أهل السند والهند ، بالإضافة إلى قيامهم بنقل علوم الشعوب السندية والهندية إلى شعوب العالم في مشارق الأرض ومغاربها وفتحوا أبواب التعارف والتقارب بين تلك الشعوب المختلفة من جديد بعد أن كانت شبه القارة الهندية قد بقيت منعزلة عن العالم الخارجي زمناً طويلاً منذ زوال حضارة موهنجود أرو ، وبذلك أقام العرب رابطة فكرية عظيمة بين الشرق والغرب مرة أخرى ، استمرت إلى يومنا هذا .

ولم يمض أكثر من قرن واحد على حكم العرب حتى اشتهرت بلاد السند بالنهضة في جميع النواحي ولا سيما في **الناحية العلمية والثقافية** ، وقد برز العلماء السند ليشاركوا إخوتهم العرب في داخل البلاد وخارجها ، مشاركة فعالة في دفع عجلة النهضة العلمية نحو الكمال والمجد ، حتى صارت بلاد السند مركزاً للعلم ومعبراً هاماً للثقافات المختلفة في ذلك العصر ، ثم وصلت هذه النهضة بالتدريج إلى مرحلة حضارة يمكن تسميتها **بالحضارة العربية الإسلامية ببلاد السند** .

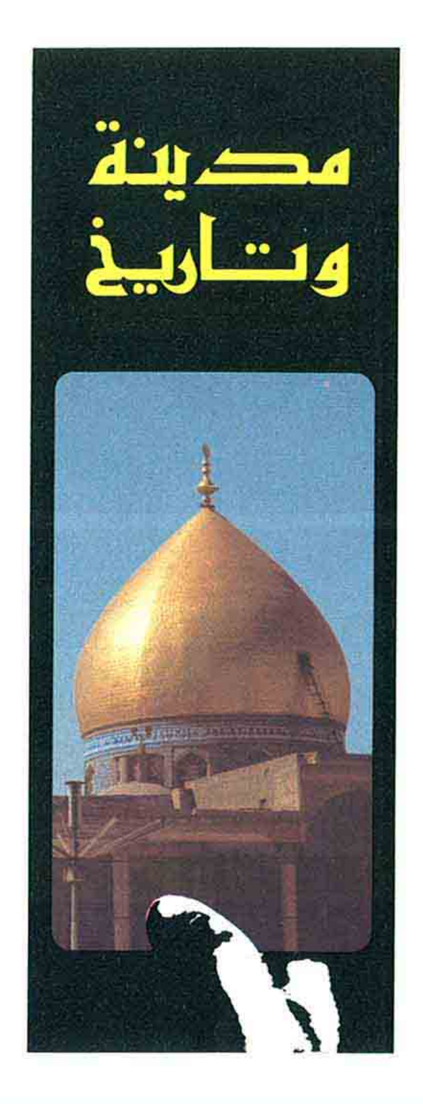
وبذلك أشرقت شمس الحضارة من جديد على بلاد السند والملتان مع فجر الإسلام ، بعد أن عاشت تلك البلاد نحو ثلاثة قرون من الزمن في الظلام والتأخر ، ويرجع الفضل في قيام هذه الحضارة وبقاء آثارها الخالدة في تلك البلاد حتى يومنا هذا إلى **تعاليم الإسلام** السامية التي تدعو إلى وحدانية الله وإلى الحق والخير والفضيلة ، وإلى طلب العلم والمعرفة ، وإلى المساواة والأخوّة ، وإلى العمل البناء لخير الإنسانية جمعاء ، ويرجع الفضل في ذلك أيضاً إلى سماحة العرب مع شعوب البلاد المفتوحة وحبهم الخير للجميع وتقديرهم للعلم والعلماء ، فالعرب أينما حلوا لم يحاولوا القضاء على الآثار الباقية للمدينة أو الحضارة التي وجدوها في البلاد المختلفة في ميادين الفكر والعلم والفن بل اهتموا بها وشجعوا على تقدمها وازدهارها وحاولوا الاستفادة منها أيضاً بقدر الإمكان ، ولذلك كانت حضارتهم العربية الإسلامية حضارة عالمية بمعنى الكلمة ومقبولة عند الجميع .

هكذا استطاع العرب أن يقيموا حضارة عظيمة ببلاد السند ، على أن هذه الحضارة أيضاً كغيرها من الحضارات تعرضت للأخطار وأخذت تفقد قوتها بسبب الظروف السياسية ، ولكن بالرغم من أن العهد العربي الذي بدأ في سنة ٩٢ هـ ، واستمر أكثر من ثلاثة قرون وانتهى في سنة ٤١٦ هـ ، فإن آثار العرب الفكرية والمذهبية والاجتماعية لم تنته ، بل بقيت مشرقة ، تنير العقول والقلوب بنور العلم والعرفان ، وبنور الهدى والإيمان ، وظلت معها العلاقات الروحية والعلاقات الثقافية قائمة بين العرب وإخوتهم السند ، وازدهرت قوة الأخوة الإسلامية بمرور الأيام والسنين .

السند باب الإسلام

وكان من نتائج تلك الآثار الإسلامية الطيبة التي تركها العرب ببلاد السند أن فتحت أجزاء من بلاد الهند الواسعة أيضاً على أيدي المسلمين بعد ذلك بزمن قصير في القرن الخامس الهجري ، وقامت بها سلطنة إسلامية عظيمة ، نتيجة للفتوحات الإسلامية التي قام بها **السلطان محمود الغزنوي** ، ومعنى ذلك أن انتشار الإسلام في بلاد الهند على أيدي الغزنويين اللاحقين ، لم يكن إلا امتداداً لانتشاره في بلاد السند على أيدي العرب السابقين ، ومن هنا أطلق أهل السند على بلادهم اسم **(السند باب الإسلام)** أي الباب الذي دخل منه نور الإسلام إلى شبه القارة الهندية كلها ، ويقيم أهل **باكستان** كل عام احتفالا كبيراً لإحياء ذكرى يوم الفتح العربي لبلادهم السند .

ويكفي أن نرى للفتح العربي الإسلامي المبارك ببلاد السند والملتان ثمرة عظيمة تتمثل في قيام **دولة باكستان الإسلامية** بها في ١٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٤٧ م ، تلك الدولة المسلمة العظيمة التي استمدت اسمها من روح الإسلام حين سميت باسم باكستان أي الأرض الطاهرة .



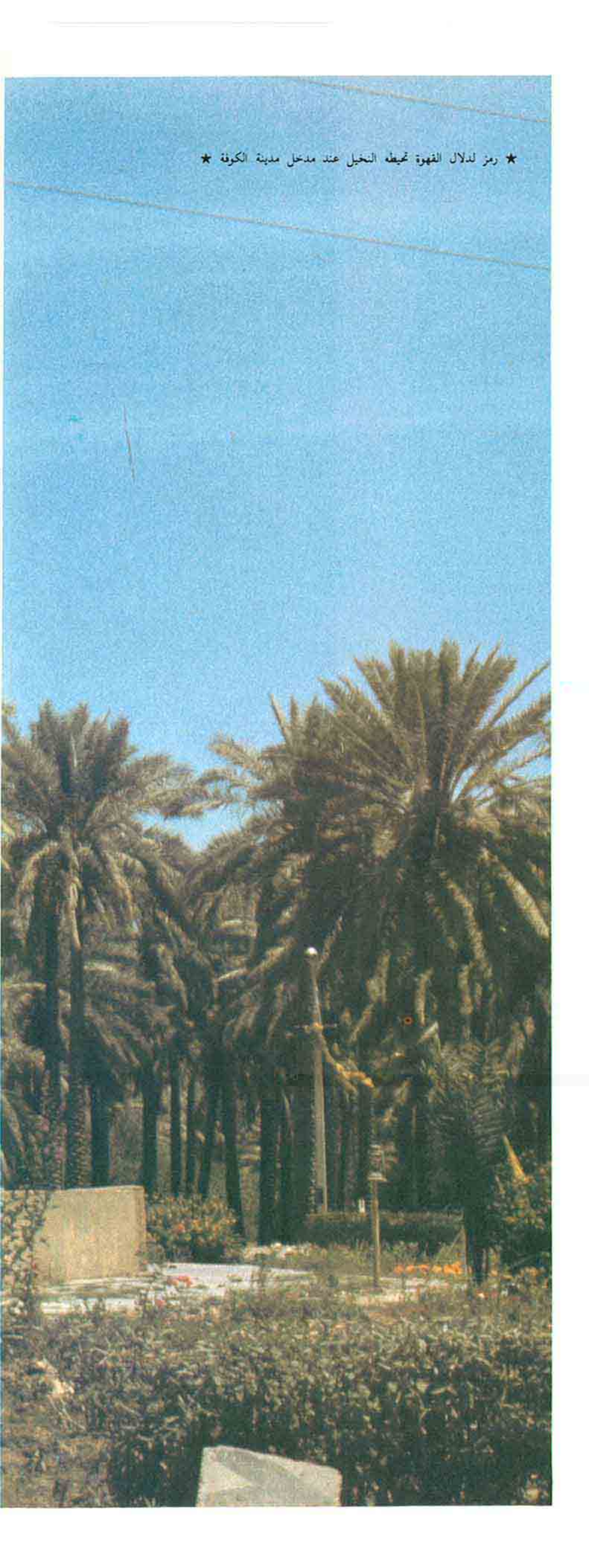
بقلم: حسن الدجيلي
تصوير: علي الكتاني
وعبد الجبار السامرائي

★ ساعة مسجد الكوفة
وتبدو فيها روائع النقوش ★



الكوفة
مدينة النحاة والقضاة والشعر

يحتضن وادي الرافدين، كما هو معروف، كثيراً من كبريات المدن الحضارية القديمة، ظل بعضها قائماً حتى اليوم، وتحول بعضها الآخر إلى خرائب وتلول تحكي أقاصيص الأولين وأساطيرهم ومآثرهم وإنجازاتهم. ففي سهول العراق الجنوبية والوسطى ومرتفعاته الشمالية قامت أور، مدينة أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبعدها بابل مدينة حمورابي، ثم نينوى عاصمة الآشوريين، ثم المدائن والحيرة.


★ رمز لدلال القهوة تحيطه النخيل عند مدخل مدينة الكوفة ★

مدينة النحاة والقضاة والشعر

وعلى شواطئ نهري دجلة والفرات ، ظهرت أهم المراكز الثقافية والعلمية في تاريخ العرب والمسلمين ، ظهرت البصرة والكوفة وبغداد والنجف والموصل ، فكانت ملتقى العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ومطمع الأمراء والخلفاء ، وهدف كل المغامرين والطامعين ، ومنطلقاً لكثير من التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها العالم الإسلامي .

من هذه المدن الإسلامية الكوفة — كوفة الجند — وهي مدينة جميلة ، تقع على الفرات الأوسط ، ويربط ضفتيها جسر حديث ، يمتد إلى الحلة شرقاً ، وإلى النجف غرباً ، وإلى كربلاء شمالا ، والحيرة جنوباً ، وأرضها سهلة خصبة ، وسكانها يعيشون على الزراعة والتجارة ، وفيها مصانع ومعامل حديثة ، وجامعة لم تكتمل كلياتها بعد ، وفيها قبل كل شيء مسجدها الجامع الذي شهد كل أحداثها التاريخية ومجالسها العلمية .

تأسيس الكوفة

أسسها الصحابي **سعد بن أبي وقاص** ، بأمر من الخليفة **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** سنة ١٧ للهجرة ، بعد انتصار المسلمين في **معارك القادسية والمدائن وجلولاء** ، لتكون قاعدة عسكرية ومقراً عاماً لقيادة جيوش المسلمين [illegible] المقاتلة . ثم تحولت هذه « القاعدة » إلى مدينة عظيمة في فترات قصيرة ، وصارت مناراً علمياً وأدبياً ، ومركزاً فكرياً وسياسياً لا نظير لها ، ولا سيما بعد أن جعلها **الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** « عاصمة » للخلافة ، ونمت نمواً متواصلاً ، فبلغت شهرتها الآفاق ، وصارت ملتقى طرق عسكرية وتجارية ، ومنطلقاً لحجاج بيت الله الحرام ، وسوقاً تجارياً كبيراً لعرب الجزيرة .

وقصة مدينة الكوفة لا تختلف كثيراً من حيث تأسيسها عن قصة مدينة البصرة ، بل أكثرها إثارة ومتعة . ويكفيها فخراً أنها **صارت دار سكن لكبار الصحابة والتابعين ، ومنتجعاً لأشراف العرب وطلائع قبائلهم القحطانية** . وحفل تاريخها ، ولا سيما في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، بأروع البطولات والتضحيات ، والإنجازات في اللغة والشعر والفقه والحديث والتشريع ، وبمستويات من الحضارة والحياة الجديدة ، جعلها سباقة في الفنون والعمارة ، وأرضاً خصبة للفتن والدسائس التي أسفرت عن سقوط **الحكم الأموي** في الشام وقيام **الحكم العباسي** في العراق .

وبتأسيس مدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ ، أخذت الكوفة تفقد قرناً بعد قرن كثيراً من رصيدها العلمي ، وتحولت إلى قرية صغيرة تسكنها الأشباح والذكريات ، وتطوقها الخرائب والآكام ، وتعصف بها رياح الزمن العاتية ، إلا مسجدها الكبير الذي ظل صامداً يقارع العاديات ليبعثها من جديد .

لقد ظل مسجدها الكبير ، شاهداً على عنفوانها وعظمتها ، وصار لها رصيداً روحياً ، ورمزاً للتضحية والاستشهاد ، واصطبغ أديمها بدماء الشهداء . ففي مسجدها اغتيل الإمام علي بن أبي طالب ، وفي أرض الطف القريبة استشهد الإمام الحسين بن علي وأهل بيته في **واقعة كربلاء** المروعة ، وفيها قتل وسحل وصلب حفيده **الإمام زيد بن علي بن الحسين** ، هذا فضلاً عن عشرات الشهداء الطالبيين وغير الطالبيين .

وقد أنجبت الكوفة[1] عدداً كبيراً من عباقرة العلم والشعر واللغة والأدب .. فقد أنجبت « **أبو الأسود الدؤلي ، وجابر بن حيان ، والأصمعي ، والكسائي ، والإمام أبو حنيفة النعمان ، والفيلسوف الكندي ،**



مدينة النحاة والقضاة والشعر

وأبو الطيب المتنبي ومئات أفراد آخرون ».

موقعها

تقع الكوفة على **نهر الفرات**، وعلى مسافة ثمانية كيلومترات من مدينة النجف، و ١٥٦ كيلومتراً من بغداد، وستين كيلومتراً جنوبي مدينة كربلاء. وأرضها سهلة عالية، ترتفع عن سطح البحر بـ ٢٢ متراً، وشاطؤها الغربي أعلى من الشرقي بستة أمتار تقريباً، مما يجعلها في مأمن من الفيضانات قديماً وحديثاً. وكلما سرنا غرباً ارتفعت الأرض عن سطح البحر تدريجياً لتصل إلى ستين متراً ونصف المتر. ثم تنحدر انحداراً شديداً نحو الجنوب الغربي تمتد إلى بحيرة مالحة ضحلة عرفت ببحر النجف غرباً.

لم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تعميرها، وليس في موقعها ما يشير إلى أنها كانت في يوم من الأيام مستوطناً من المستوطنات العربية أو العراقية القديمة. «ولم نعثر في حفائرها أو في أرضها على آثار أو أبنية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ أو بعده، وإنما كان موضعها جزءاً سهلياً من الضفة اليمنى للفرات الأوسط وإلى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة، ويدعى سورستان»[٢].

أسباب تعميرها

بعد انتصار جيوش المسلمين في موقعة القادسية الحاسمة، واندحار القوات الفارسية بقيادة **رستم**، اتخذ المسلمون «**المدائن**» (**طيسفون**) مقراً لقيادتهم ومركزاً لإدارة البلاد المفتوحة. وتقع المدائن في يومنا هذا على الضفة الشرقية لنهر دجلة إلى الجنوب من بغداد. وبما أن المدائن كانت تتعرض لفيضانات نهر دجلة الموسمية، انتشرت فيها المستنقعات وكثرت فيها الحشرات والأمراض، وأصبحت ظروفها الصحية تتنافى وطبيعة عرب الصحراء، وحيث إن نهري دجلة والفرات يؤلفان عائقاً مائياً كبيراً بين المدائن والجزيرة العربية، وجّه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطاباً إلى سعد بن أبي وقاص وقادة الجيوش ينصحهم فيه بالنزوح عن منطقة المدائن، والتحري عن موضع أمين بعيد عن حدود فارس، وحصين ضد أية اعتداءات متوقعة، ليكون قاعدة عسكرية تسيطر على جميع المناطق الشرقية الممتدة بمحاذاة نهر الفرات، من **مدينة الأنبار** شمالاً حتى البصرة جنوباً، ولتكون قريبة إلى خطوطهم الخلفية وتعزيزاتهم ومراكز إمداداتهم، وخالية من العوارض الطبيعية[٣].

سار سعد بن أبي وقاص من الأنبار بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الفرات، واتجه جنوباً ونزل أرض الكوفة، ولم ينزل الحيرة لغلبة النصرانية على أهلها. وكتب إلى الخليفة كما ذكر **الطبري** يقول: إني نزلت الكوفة منزلا بين الحيرة والفرات، برياً وبحرياً، ينبت الحلي والنصيّ، وخيّرت المسلمين بالمدائن. فمن أعجبه المقام تركته فيها كالمسلحة، فبقي أقوام من الأفناء وأكثرهم **بنو عبس**. وكان هذا الموضع سهلاً محصوراً بين الفرات شرقاً والبادية غرباً، وعلى الطريق المفضي إلى طيسفون (المدائن) عاصمة الفرس الشتوية.

أقر الخليفة عمر بن الخطاب الموضع المختار، وشرع سعد في بناء قاعدته العسكرية في شهر محرم سنة ١٧ هـ، على أحسن الروايات. **وتولى تخطيطها أبو الهيجاء الأسدي عمر بن مالك بن جنادة**.

تخطيطها وتعميرها

كان أول عمل قام به سعد بن أبي وقاص أن حدّد المواقع اللائقة لبناء المسجد الجامع، ودار الإمارة، وبيت المال. وخططت الكوفة وشيدت على غرار مدينة البصرة. وقد روعي عند تخطيطها أن يكون التنقل في أزقتها وطرقاتها سهلاً، وفي متناول جميع السكان. وتوافدت عليها القبائل من كل مكان، وبدأ العمران. ونزحت إليها من مناطق الحيرة المجاورة أقوام من النصارى والمجوس.

أولا ــ المسجد الجامع

لا تتوفر لدينا في الوقت الحاضر معلومات كافية عن الجامع، ولم تشرع الدوائر المختصة في العراق بالتنقيب والحفر في خرائب الكوفة، وما جاور المسجد ودار الإمارة إلا منذ عهد قريب. وقليل من الباحثين من كتب عن الكوفة وخططها، ومن هؤلاء **البلاذري** في كتابه «**فتوح البلدان**»، فأشار إلى اهتمام سعد بن أبي وقاص بتحديد **موضع القبلة** أولا، وكذلك فعل الطبري. ويبدو أن المسجد ظل فضاءً مكشوفاً ومن دون سور تقريباً، إلى أن قدم الكوفة **زياد بن أبيه**، فبنى حوله مجنبات ومؤخرة «وبقي المسجد على هذا الوضع إلى زمن **معاوية** (فزاد فيه **المغيرة بن شعبة** وبناه أيام ولايته). ولما ولي زياد بن أبيه الكوفة زاد في سعة المسجد عشرين ذراعاً، وجعله يتسع لستين ألف شخص. وأقام له أبواباً وجدراناً، كان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً»[٤]. أما **ياقوت الحموي** فقد أشار في كتابه (معجم البلدان) إلى سعته استناداً إلى خطاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص حيث قال: «إن اختط موضع المسجد على عدد مقاتليكم، فخطه على أربعين ألف إنسان». وجاء بأساطينه من الأهواز.

جهود زياد بن أبيه

يقول الطبري في الجهود التي بذلها زياد بن أبيه في تشييد عمارة المسجد، استخدم زياد بنائين من بنائي الجاهلية، فوصف لهم موضع المسجد وقدره، وما يشتهي من طوله في السماء. وقال: أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته. فقال له بنّاء قد كان لكسرى: لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبل أهواز، تنقر ثم تثقب، ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء، ثم تسقفه وتجعل له مجنبات ومؤخرة فيكون أثبت له. فقال: هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها! ثم اتخذ زياد في المسجد مقصورة لنفسه.

ويبدو أنه اتخذها حين حصبه أهل الكوفة، لما أمعن في تعذيب أهلها ابتغاء خضد شوكتهم لإقرار الأمر لبني أميّة... فبناه بناءً شاهقاً، وبلغ ارتفاعه ثلاثون ذراعاً، وزيّنه برخام جيء به من الأهواز، وشيد المقصورة الخاصة به.

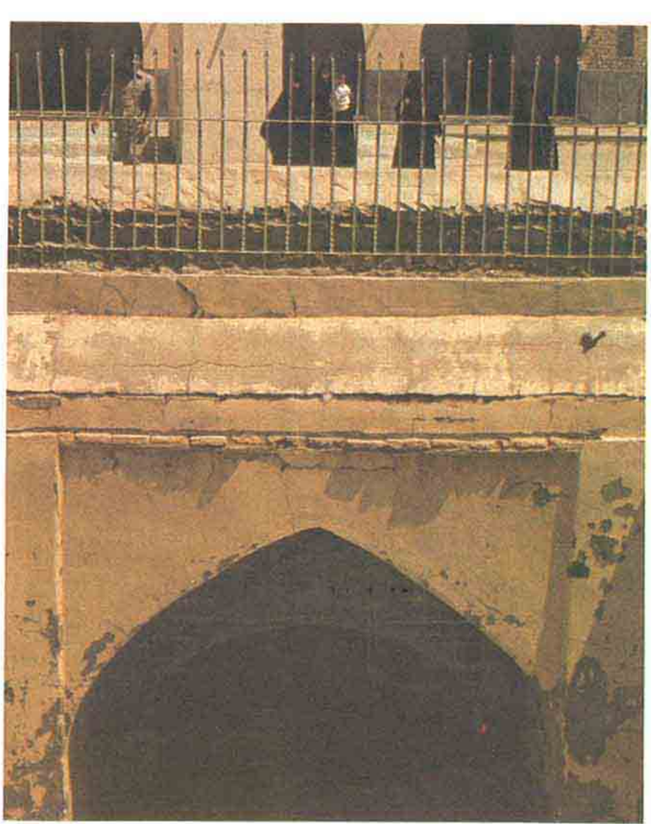
ومن الولاة الأمويين الذين أحدثوا زيادات وتجديدات في المسجد، **الحجاج بن يوسف الثقفي**. ويذكر ياقوت الحموي أن الحجّاج قام بهدم بعض جوانب المسجد المتداعية وأعاد بناءها سنة ٧٥ هـ. وكشفت الحفريات التي قامت بها **مديرية الآثار العامة في العراق** عن قطعة من أسطوانة، وتاجين لعمودين يرجعان إلى العهد الأموي.

ما شاهده الرحالة ابن جبير

وما نشاهد اليوم من بناء عبارة عن عمارة جددت ورممت عبر قرون طويلة، وقوامها الآجر الذي اقتلع من دار الإمارة المجاورة، أو خرائب المناطق السكنية القديمة لمدينة الكوفة. والرحالة العرب الذين زاروا المسجد في عصور مختلفة لم يقدموا لنا وصفاً وافياً عن عمارة المسجد إلا **الرحالة الأندلسي ابن جبير** (أبو الحسن محمد الكناني ٥٣٩ ــ ٦١٤ هـ). فقد زار الكوفة سنة ٥٨٠ هـ، وكتب



★ منظر لمسجد الكوفة من الداخل ★



★ موضع سفينة نوح والتنور.. كما تشير الروايات ★

يقول : « والجامع العتيق آخرها (آخر الكوفة) مما يلي شرقي البلد ، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق ، وهو جامع كبير . في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة ، وفي سائر الجوانب بلاطان . وهذه البلاطات على أعمدة من السواري المصنوعة من صم الحجارة ، المنحوتة قطعة على قطعة ، مفرغة بالرصاص ، ولا قسيّ عليها . . . وهي في نهاية الطول ، متصلة بسقف المسجد . فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها . فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ، ولا أعلى سقفاً . وبهذا الجامع المكرم آثار كريمة . فمنها بيت بإزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال إنه كان مصلى إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . وعليه ستر أسود صوناً له . ومنه يخرج الخطيب لابساً ثياب السواد للخطبة . فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه . وعلى مقربة منه ما يلي الجانب الأيمن محراب عليه محلق بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط ، كأنه مسجد صغير . . وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج . . . وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد إليه ، فيه قبر **مسلم بن عقيل بن أبي طالب** . وفي جوفي الجامع على بعد يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات فيها ثلاثة أحواض كبار . وذكر ابن جبير (٥) ، فضلاً عن ذلك مواضع أخرى ذات مكانة خاصة لدى المسلمين .

يتضح من وصف ابن جبير أن عمارة المسجد يومذاك تختلف عن عمارته الحاضرة ، « وأن ساحة المسجد لم تكن مكشوفة كما هي الآن ، بل كان وجهها القبلي سقف عريض يستند إلى خمسة صفوف من الأعمدة . وفي وجهاتها الأخرى سقف أقل عرضاً من ذلك محمول على صفين من الأعمدة . أما الصحن

المكشوف ، فكان منحصراً بالساحة الباقية خارجاً عن صفوف الأعمدة »[٦] .

فكيف تحول المسجد من حال إلى حال ، وما مصير الأعمدة والسقوف وهي من صم الحجارة؟ يصف مؤلف كتاب « مساجد الكوفة » فناء المسجد قديماً بما يلي :

(١) يوجد في أواسط الصحن في المحل المعروف باسم « مقام النبي » قطعة أسطوانية رخامية قائمة ، تستخدم شاخصاً لتعيين أوقات الصلاة . وقد وضعه **المجتهد الكبير العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم** ، وهو نموذج لأساطين المسجد العريق .

(٢) في جانبي الباب حجرتان كبيرتان ، كان يجلس عليهما الناس في بعض الأحايين حتى عام ١٩٤٠م . وعندما رفعت الأتربة والأنقاض لتسوية الساحة الواقعة أمام الباب ، ظهر أن كل واحدة من هاتين الحجرتين ما هي إلا رأس عمود حجري منحوت ومزخرف .

وأغلب الظن أن سبب اختفاء الأعمدة يعود إلى القرار الذي اتخذه العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم سنة ١١٨١ هـ ، « وذلك حفاظاً على أرض المسجد من وطء الزائرين والمارة بأرجلهم ، ومن المخلفات التي يتركها الزائرون والوافدون على أرض المسجد في مواسم الزيارة والمناسبات الدينية يصحبهم أطفالهم وصغارهم ، ومكوثهم عدة ليال في المسجد » .

الحفريات في الكوفة

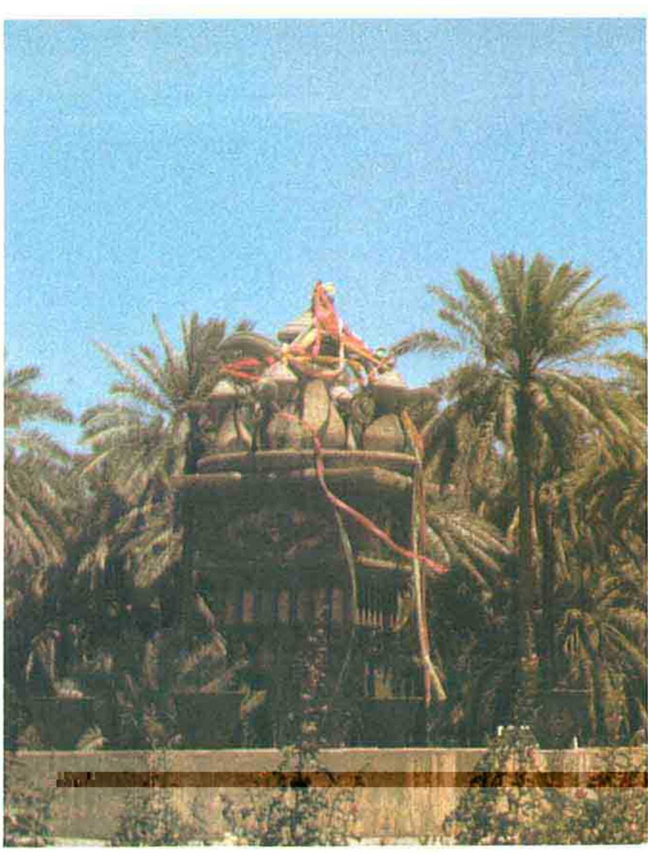
دلّت الحفريات التي أجرتها مديرية الآثار العامة في بغداد أن أرض المسجد مربعة الشكل تقريباً « بانحراف قليل عن زاوية القبلة بمقدار سبع عشرة درجة ، وكشفت المجسات سنة ١٩٣٨م ، أن بين جدران المسجد الأربعة فروق يسيرة . فالضلع القبلي منه يبلغ ١١٠م . . وكذلك وجد أن جدار المؤخرة المقابلة للضلع يبلغ ١٠٩م . . والجداران الآخران المجنبان يبلغ طول كل منهما ١١٦م . . ولوحظ أيضاً أن هذه الجدران الأربعة مرتفعة ، تدعمها من الخارج أبراج نصف دائرية ارتفاعها ــ بالجدران ــ يصل إلى نحو ٢٠م تقريباً . وأثبتت الكشوفات الأثرية أن هذه الجدران تنزل في الأرض إلى عمق أكثر من خمسة أمتار ونصف . . وعندما يصل الأساس إلى ارتفاع مترين وستين سنتمتراً يرجع الجدار إلى الوراء داخل المسجد تاركاً دكة مربعة عرضها ستون سنتمتراً وارتفاعها ثلاثة أمتار وستة وسبعون سنتمتراً ، عليها برج نصف أسطواني ، يرتفع بارتفاع جدران المسجد الأربعة بنسب متفاوتة[٧] . . .

المسجد كما هو اليوم

المسجد محاط في الوقت الحاضر بأربعة جدران عالية ، يدعمها ٢٨ برجاً نصف دائري ، وشيد في كل ركن برج واحد . ويتصل بالمسجد من الجهة الشمالية الشرقية بناء ذو فناء فسيح ، أقيم في طرفيه مسجدان للشهيدين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، **وهانئ بن عروة** ، رسول الإمام الحسين بن علي إلى أهل الكوفة قبل قدومه إلى العراق ، وبينهما مجاز يؤدي إلى ساحة المسجد الكبير ، تعلوهما قبتان مزينتان بالكتابات والقاشاني .

وللمسجد مدخل رئيسي كبير يقع في الجهة الشمالية الشرقية ، ركب عليه باب خشبي ، ويسمى « **باب الفيل** » . والمدخل مسقوف عند الوسط بآجر مزخرف ، وعلى هيئة وحدات ، تتألف كل واحدة منها من نجوم اثنتي عشرية ، ذات نسق هندسي متناظر ، ويشاهد الداخل زخارف آجرية بسيطة ، تتألف من وحدات على هيئة نجوم سداسية يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين .

وتعلو المدخل **مأذنة حديثة** ، شيدت سنة ١٩٥٦م ، مكان المأذنة القديمة التي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين ، ويبلغ ارتفاعها ١٢ متراً . وعلى مقربة من باب الفيل في الضلع الشمالي استحدث باب جديد سمي **بباب**



★ صور لدلال القهوة . . رمز للضيافة العربية ★

الرحمة . وأرض المسجد غير مبلّطة ، وعليها محاريب ومقامات كثيرة ، ويتوسطها مكان منخفض يعرف بـ « **سفينة نوح** » . وتقول الروايات إنه المكان الذي أقلعت منه سفينة نوح إبان الطوفان الكبير .

والمنخفض مبني على شكل مثمن ، ينزل الزائر إليه بسلّم يؤدي به إلى فناء مكشوف ، يقود الزائر إلى حجرة صغيرة ، فيها محراب صغير ، بعقد مدبب . أما فناء « السفينة » فيتألف من إيوانات ذات عقود مدببة غير نافذة ، ترتفع بارتفاع أرض المسجد[٨] .

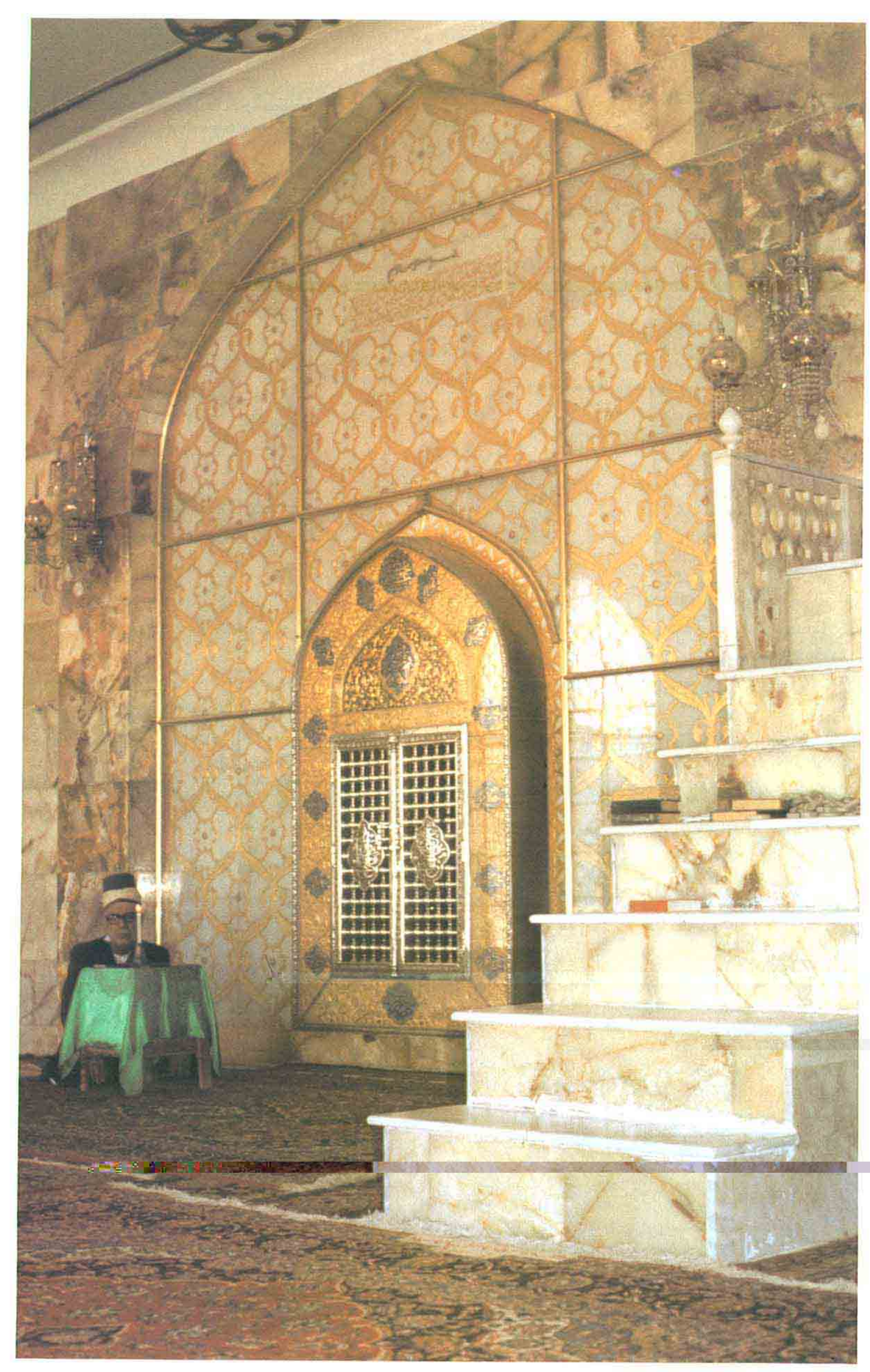
مقام الإمام علي

أما الجدار القبلي فيشتمل على بيت للصلاة أغلبه مجدد ، وفيه محراب أقيم محل **المحراب الأصلي** ، مزين بالقاشاني الملوّن ، كتب في أعلاه : « هذا مقام أمير المؤمنين » علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو المقام الذي استشهد فيه الإمام وهو يصلي على يد الخارجي **عبد الرحمن بن ملجم** . ويعد هذا المحراب من أجلّ المحاريب التي يضمها المسجد . وعلى يمين المحراب بوابة برونزية ذات نقوش مفرغة بها زخارف جميلة بالقاشاني الملوّن ، في أعلاها آية قرآنية **﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾** وعلى يمين المحراب أيضاً **منبر صغير** مشيد من الرخام[٩] .

ومع أن المسجد قد أدخلت عليه مستحدثات كثيرة عبر التاريخ لكنه لا يزال يضم مجموعة من الإيوانات ، ولكل إيوان غرفة لنزول الزائرين في المواسم الخاصة ، وأحياناً تُستخدم للاعتكاف .

ثانياً ــ دار الإمارة

شيدت « **دار الإمارة** » إزاء الجانب القبلي من المسجد مباشرة ومن الآجر المحمول من الحيرة ، ولم يبق من معالمها اليوم إلا أطلال بسيطة مبعثرة هنا وهناك . وحينما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سعد بن أبي وقاص ، بنى



★ مقام هانئ بن عروة ★

مدينة النحاة والقضاة والشعر

قصراً للإمارة كتب إليه يقول ، كما ذكر الطبري في حوادث سنة ١٧ هـ : « بلغني أنك بنيت قصراً ، واتخذته حصناً ، ويسمى قصر سعد ، وجعلت بينك وبين الناس باباً . فليس بقصرك ، ولكنه قصر الخبال » . وصار منزلا خاصاً بالأمراء والملوك والخلفاء ، إلى أن هدمه الخليفة **عبد الملك بن مروان** سنة ٧١ هـ .

وقد اختفت آثاره سريعاً . وفي سنة ٧٢٦ هـ ، زار الكوفة **الرحالة ابن بطوطة** ، وكتب « لم يبق من الدار إلا أساسه » . ولعل سبب الاختفاء يعود إلى إغارة الناس يومذاك على حجارة الدار لاستخدامها في البناء .

وقد كشفت الحفريات التي قامت بها مديرية الآثار العامة سنة ١٩٣٨ م ، عن أسس الدار وتقع في الجانب القبلي من المسجد ، وعن مدخل يوصل الدار بالمسجد ، وعن دار مربعة الشكل (أبعادها ١١٠,٣٦ × ١١٠ × ٢٤ × ١١٠) ، يحيط بها سور ضخم سمكه متران وثمانون سم ، طرفه الشمالي الغربي يتصل بباب مفتوح بالضلع القبلي للمسجد .

كان الآجر (بقياس ٣٨ × ٣٨ × ٩ سم) والجص هما المادتان المستخدمتان في بناء دار الإمارة . وقد أظهرت الحفريات أن طول الجدران المطمورة في باطن الأرض ثلاثة أمتار ، وبلغ الظاهر منها مترين تقريباً . وتعرض القصر للسرقة أيام سعد بن أبي وقاص ، مما دفعه **لتشييد سور حوله** . كما تعرض لاقتحام شنّه جمع من قبائل كِندة وربيعة وأسد ومذحج وهمدان وغيرهم بقيادة مسلم بن عقيل مبعوث الإمام الحسين بعد مقتل هانئ بن عروة .

وتعد دار الإمارة أول نموذج للعمارة الإسلامية في العراق ، وأقدم دار عرفت حتى اليوم في العالم الإسلامي . وقد أظهرت الحفريات أن الدار قد تعرضت إلى تغييرات كثيرة في العصرين الأموي والعباسي .

ولكن السور ظل على ما كان عليه تقريباً . وفي العصر العباسي تناول التجديد القسم الغربي منه ، حيث شيدت فيه قاعة مستطيلة الشكل ، رصف آجرها رصفاً فريداً في تاريخ العمارة الإسلامية الأول في العراق ، فجاء الرصف عمودياً . ولا يزال هذا الرصف مألوفاً في العراق . ويبدو أن طريقة الرصف هذه كانت معروفة قديماً عند السومريين والأكديين والبابليين وربما قبلهم بقرون .

ولا نزال تشاهد في الكوفة بعض الخرائب والتلال بالقرب من دار الإمارة وفي أماكن أخرى من المدينة القديمة جديرة بالحفر والتنقيب . ففي الجانب الغربي منها يشاهد تل صغير أقيم عليه بيت يعرف ببيت الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفي الجانب الجنوبي توجد مدافن حول مقام ميثم التمّار أحد أصحاب الإمام علي ، وعلى مسافة كيلومتر واحد إلى الجنوب الشرقي من الدار أيضاً ، وعلى مسافة سبعة كيلومترات توجد بقايا قصر يعرف **بقصر « أم عريف »** محاطاً بسور ضخم من اللبن عرضه ثلاثة أمتار ونصف .

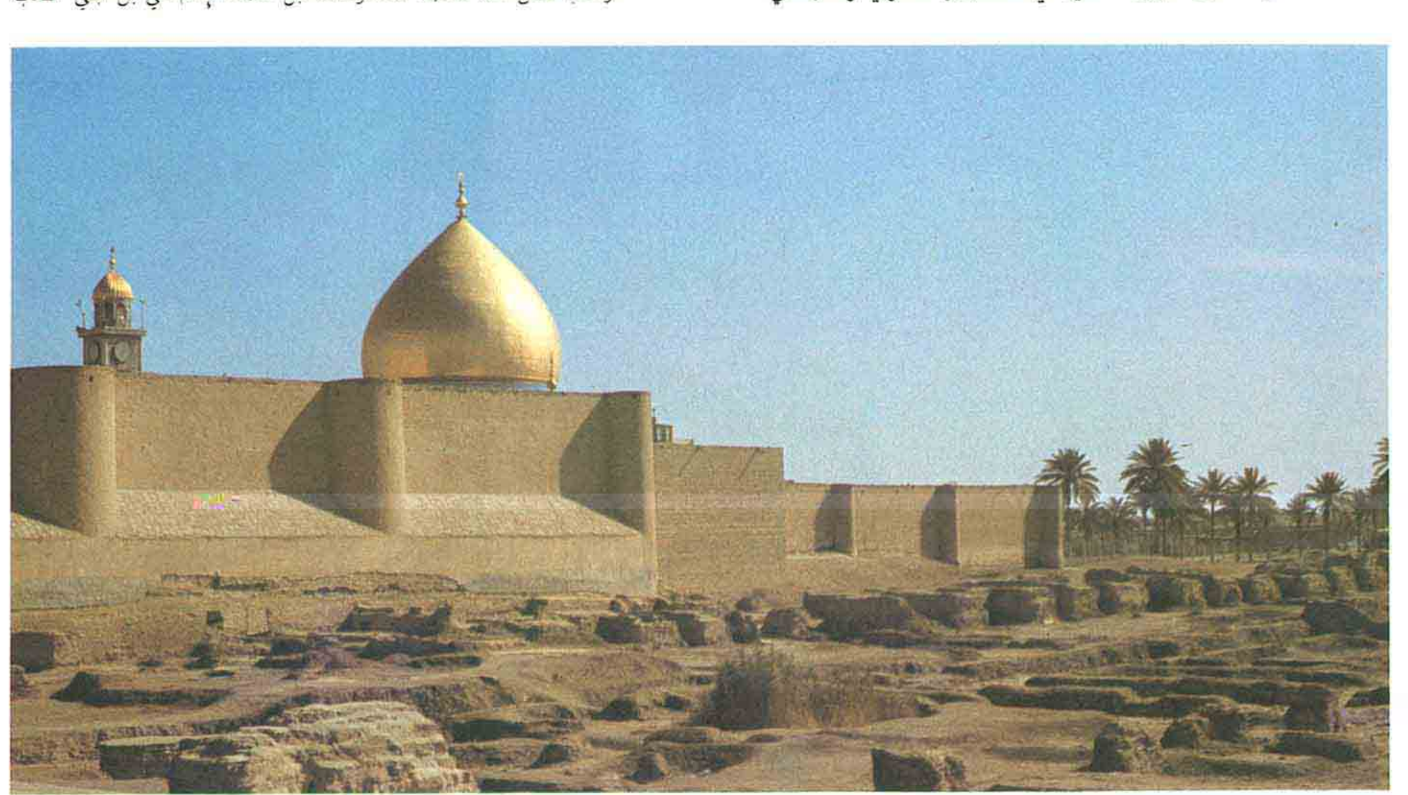
ثالثاً ـ مساجد أخرى

شيدت في مدينة الكوفة بعد تأسيسها مساجد كثيرة ، تختلف سعة وأهمية . وقد ظل معظمها قائماً حتى اليوم ، بينما اندثر بعضها في فترات الانحطاط والنزوح إلى المناطق المجاورة ولا سيما إلى النجف . ومن هذه المساجد : **مسجد الحمراء** . ويعزى بقاء هذه المساجد إلى استمرار رعاية الكوفيين لها وحرصهم لأسباب دينية وعاطفية .

ومسجد السهلة ، من المساجد الشهيرة . وقد وردت في فضله أخبار كثيرة منسوبة إلى أئمة أهل البيت .

ولا توجد لدينا في الوقت الحاضر مراجع تاريخية يعول عليها عن تاريخ تأسيس وتطور عمارته ، سوى بعض الروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والتابعين .

وأغلب الظن « أن المسجد كان مؤسَّساً قبل خلافة الإمام علي بن أبي طالب



★ منظر خارجي لمسجد الكوفة .. وتظهر إلى جانبه حفائر قصر الإمارة ★

بقائه في الكوفة (٣٥ ــ ٤٠ هـ). ويبدو أن هيكل البناء وهيئته تدلان على أنها من منشآت القرن الأول الهجري. وليس ببعيد أن يكون الإمام علي قد أدى إحدى صلواته فيه وذريته من بعده[١٠].

يقع مسجد السهلة إلى أقصى الشمال الغربي من مسجد الكوفة ودار الإمارة، وعلى مسافة كيلومترين منها، وبعبارة أخرى شمالي الطريق الموصل مدينة الكوفة بمدينة كربلاء. وشكله مستطيل (١٤٠ × ١٢٥ متراً)، وسوره مرتفع، وشيد على غرار سور مسجد الكوفة. وترتفع من وسط الضلع الشرقي مأذنة طولها (٣٠) متراً. وللمسجد مدخل كبير، وساحة مكشوفة، فيها عدد من مقامات ومحاريب للأنبياء والأئمة وكبار الصحابة.

ومسجد الحنانة، من المساجد المعروفة التي يقصدها الزائرون والمجاورون، ويقع إلى الشمال الغربي من قصبة الكوفة، وعلى يمين الذاهب إلى النجف.

ويقع مدخل المسجد في منتصف الضلع الغربي، وهو باب خشبي محاط بالنقوش والكتابات، وعليه قبة مزخرفة بالقاشاني، ترتفع عن السقف بأربعة أمتار، وتحتها صندوق خشبي مثبت. وقد كتب آية قرآنية على جبهة الباب هذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ صدق الله العلي العظيم».

سكان الكوفة

أ ــ **الأوائل المجاهدون**: خططت الكوفة وشيدت على غرار البصرة، وتوافدت عليها القبائل العربية من كل مكان، وبدأت فيها حركة الإعمار. ومن الصعب تحديد رقعتها تحديداً دقيقاً لانطماس معظم معالمها القديمة، وسهولة انتزاع الآجر من أطلالها. ومع ذلك فلم تندثر معالمها كلها، ولا سيما ما كان في الجهة الغربية من المسجد الجامع ودار الإمارة. ويذكر ياقوت الحموي نقلاً عن **الفقيه الشعبي** أن مساحة مدينة الكوفة بلغت في العصر الأموي ستة عشر ميلاً مربعاً وثلث الميل، شيدت عليها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرون ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لسائر المسلمين، وأخذت رقعتها تمتد في أوائل العصر العباسي غرباً باتجاه النجف وشمالا باتجاه الحيرة، وانتشرت حولها كثير من الضياع والقرى. وكان أول الوافدين عليها بعد العرب هم الفرس والنصارى السريان ويهود نجران. وكان عدد الفرس ــ كما يقول البلاذري ــ أربعة آلاف ممن قاتلوا في معركة القادسية وجلولاء. وقد فاوضوا سعداً على أن ينزلوا الكوفة حيث أحبوا، ويحالفوا من أحبوا، ويفرض لهم العطاء. فأعطاهم الأمان وما سألوا. وأنزلهم سعد بحيث اختاروا، وفرض لهم في ألف ألف. وكان لهم نقيب يقال له «**ديلم**» أو دهقان فأطلق عليهم «**حمراء ديلم**»، لأن العرب كانت تسمي العجم «الحمراء»[١١].

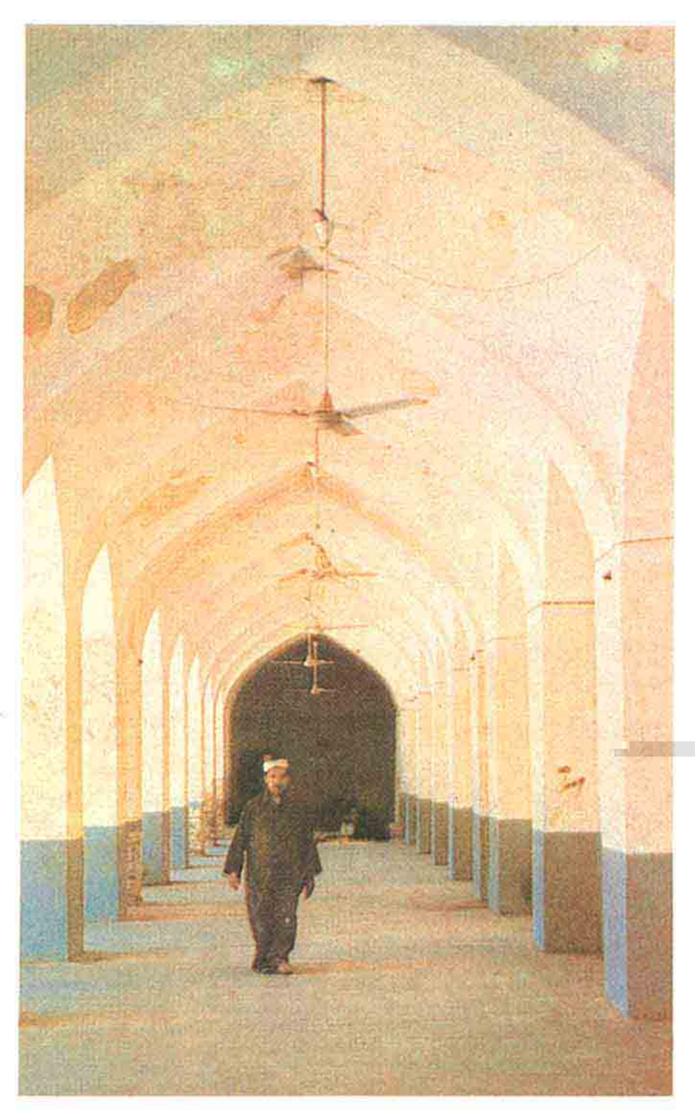
أما السريان فقد سكنوا الكوفة، «حيث كانوا يسكنون الديارات التي كانت قائمة في أطراف الحيرة والنجف». وتوثقت صلاتهم بالمجتمع الإسلامي الجديد. ويقول **ماسنيون، المستشرق الفرنسي المعروف**، إن نصارى الكوفة كانوا طائفتين: **نساطرة** وهم الحضر، **ويعاقبة** وهم البدو. وأقاموا في محلة عرفت **بالنجرانية**، وتعاطوا التجارة والصيرفة. يضاف إلى هجرة جماعات من النبط سكان البطايح المجاورة فانضموا لسكانها العرب القادمين من الجزيرة. ثم توالت الهجرات.

أصبحت الكوفة منذ تأسيسها محطاً للقبائل العربية، وسكنها أشراف العرب من قبائل اليمن وحضرموت، وقسمت عند تأسيسها إلى سبعة أحياء، خصص كل حي منها لقبيلة معينة. وبقيت هذه الأحياء قائمة حتى خلافة **عثمان بن عفان رضي الله عنه**. وحينما قدم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إليها بعد **موقعة الجمل** سنة ٣٦ هـ، أجرى تعديلات في توزيع أحيائها، وتنقلات قبائلها، وأعاد تنظيمها بعده زياد بن أبيه، وجعلها أرباعاً. وظل هذا النظام معمولا به حتى أوائل القرن الرابع الهجري.

وبدأت الكوفة تزدهر وتمتد تبعاً لاتساع نشاطها التجاري والاقتصادي، وصارت «قبلة أنظار العرب وزعمائهم، واتخذت لنفسها سمة الزعامة والقيادة في فترة عرفت من أخصب مراحل تاريخها على الإطلاق، وكان للكوفيين، فضلاً عن ذلك، تأثير في الحياة السياسية والعقلية... وفي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وأخطر من ذلك كله أن الكوفة أثرت في الفتوحات الخارجية، ولعبت دوراً خطيراً في تلك الفتوحات، حدد علاقاتها بالأمصار الأخرى واتخذ لوناً خاصاً»[١٢].

مجتمع الكوفة الثقافي والسياسي

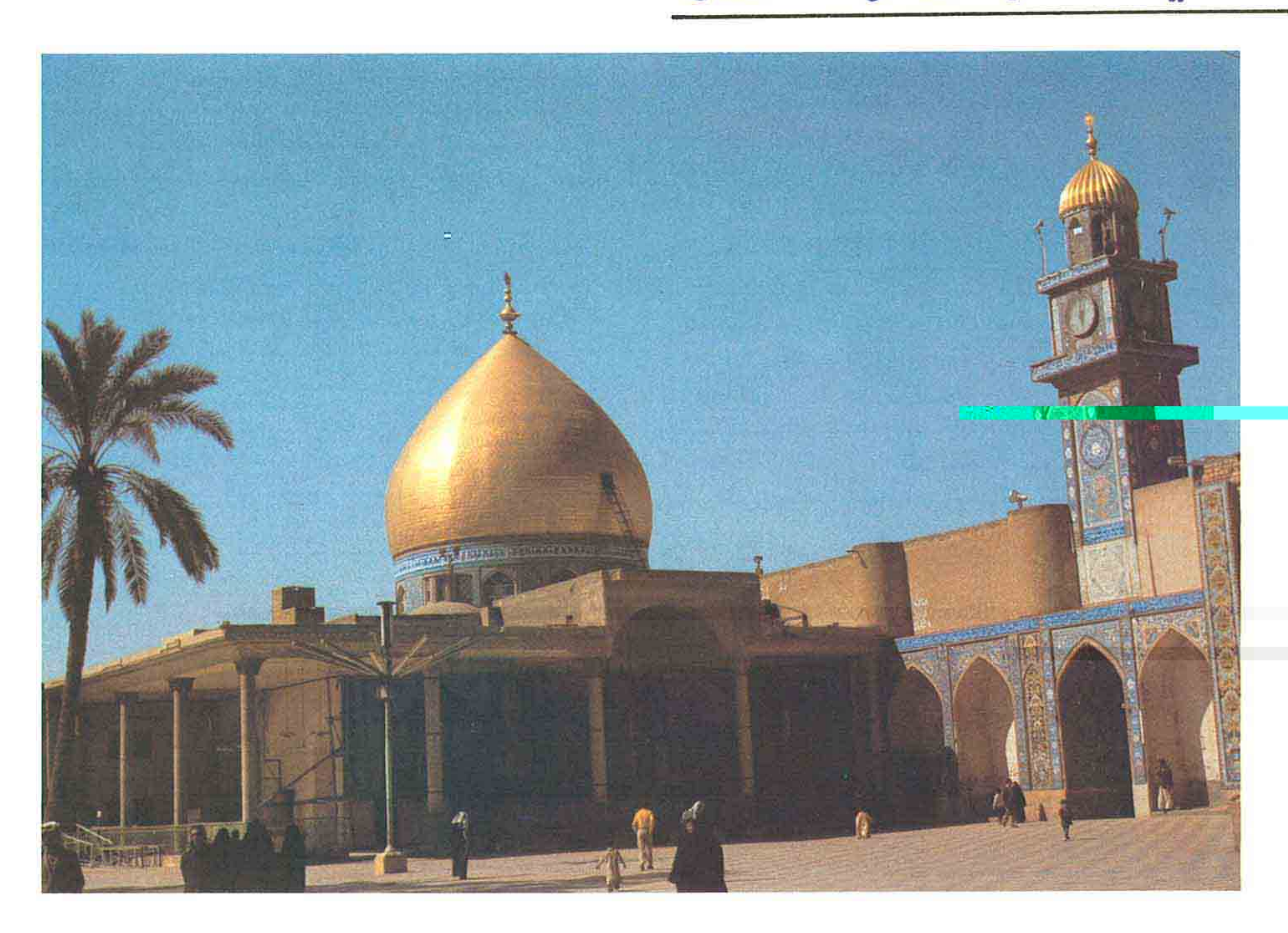
كانت الكوفة منذ تأسيسها مدينة عسكرية، وسكانها محاربون متفرغون لنشر راية الإسلام. وكانت فضلاً عن ذلك دار هجرة، وملتقى طرق ولا سيما طريق الحج، ومحطة علم، ومركزاً سياسياً وثقافياً وتجارياً مهماً.. وتمتع قادتها وولاتها بمكانة خاصة لدى الخلفاء والأمراء، وباستقلال ذاتي في إدارة شؤونهم المالية والإدارية، ونزلها أكثر العرب شرفاً وتحضراً، من عرب اليمن وحضرموت، وأكثرهم شجاعة وأحسنهم رأياً وأعرقهم جهاداً من أهل الحجاز، ولا سيما من أهل البيت وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم،



★ إيوانات مسجد «السهلة» ★

مدينة النحاة والقضاة والشعر

★ منارة مسجد السهلة ★



والتابعين . وممن نزل الكوفة أصحاب البيوتات الأربعة وهم : **الحاجب بن زرارة ، بيت تميم . وآل زيد ، بيت قيس . وآل ذي الجدين ، بيت ربيعة . وآل قيس بن معدي كرب الزبيدي ، بيت اليمن** . ونزحت إليها أقوام من أهل الذمة من نصارى الحيرة ويهود نجران ، وكانوا أهل ثقافة ورأي وإدارة وصناعة ، هذا فضلاً عن بضعة آلاف من الفرس ، من فلول الجيش الفارسي ، ومن النبط والسريان . وكانوا أهل فروسية وثقافة وحرف وفنون . ثم انضم إلى هذا التجمع السكاني الموالي والعبيد . وكانوا جنوداً مدربين ، وأهل صناعة وطرب ، ومن أسرى الحروب . ذلك هو التركيب الاجتماعي لمجتمع الكوفة .

١ ـ النشاط الفقهي والثقافي

اشتهرت الكوفة أكثر من غيرها بنشاطها الفقهي والثقافي منذ القرن الأول . ولم يكن لها منافس في سائر البلاد الإسلامية إلا شقيقتها البصرة . ونشأت فيها حركة دينية أرست قواعد الفقه الإسلامي على أساس الكتاب والسنَّة النبوية والإجماع . ولا غرابة فقد نزلها سبعون صحابياً ممن شهدوا معركة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم . وجعلها الإمام علي مقراً لخلافته . ومن هؤلاء : الصحابيان الكبيران عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر . وقد اختار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي عبد الله بن مسعود ليكون وزيراً لسعد بن أبي وقاص ، ومعلماً وقاضياً . وكان من تلاميذه شريح ، والشعبي وسعيد بن جبير . وكانت حصيلة هذا التجمع الكبير ظهور مدرسة فقهية عظيمة ترأسها الإمام أبو حنيفة النعمان .

ونشأت في الكوفة كذلك **مدرسة في اللغة والنحو** ، أسفرت عن مناقشات طويلة بين نحاة البصرة والكوفة ، واشتهر منهم **الكسائي والفراء** . وكانت مثابة للعلماء والأدباء والشعراء ، تعقد فيها الحلقات الدراسية التي مهدت لنهضة أدبية كبرى في العصرين الأموي والعباسي . ويكفيها فخراً أنها أنجبت إماماً فقيهاً ، هو **أبو حنيفة النعمان** ، وشاعراً فذاً ، هو **أبو الطيب المتنبي** ، وفيلسوفاً كبيراً هو **الكندي** ، وعالماً كيميائياً هو **جابر بن حيان** ، ونحوياً هو **الكسائي والأصمعي** .

وكان اهتمام الكوفة بالشعر والشعراء أكثر من اهتمام البصرة . وكان سكانها أفصح العرب قاطبة ، وأكثرهم تفاخراً بمدينتهم . « وقد دارت بين الكوفيين والبصريين مفاخرات ومناظرات في العصر العباسي ، كالمناظرة بين يدي **الخليفة السفاح** وعند **الأمير يزيد بن عمر بن هبيرة** . كما كانوا يناظرون في مجالسهم الخاصة . . . ففخر الكوفيون على البصريين بأن جنودهم في الحروب الأولى كانت

قد انتصرت على الفرس ، وكانت لهم اليد الطولى في إخراج كسرى وإباحة ملكه ، وفخروا بأنهم كانوا جند سعد بن أبي وقاص يوم القادسية ، وأنهم ناصروا علي بن أبي طالب يوم الجمل . وكان منهم تسعة آلاف رجل ، وأن علي بن أبي طالب أقام بين أظهرهم ، **وعبد الله بن مسعود** كان معلمهم ومؤذنهم ، **وشريحاً** كان قاضيهم ، وأن نحواً من سبعين صحابياً نزل بينهم . وفخروا بمسجدهم العظيم ومجاورته نهر الفرات ، وفخروا أيضاً بخصب الكوفة وحسن موقعها [١٣] .

٢ ـ الزراعة والصناعة في الكوفة

قامت مدينة الكوفة على ضفة الفرات ، وفي منطقة معروفة بحاصلاتها الزراعية المختلفة وبصناعاتها الريفية التي اشتهرت بها **مدينة الحيرة** وقراها المجاورة ، فهيأت لها المزارعين والعمال الحرفيين ، وظهر فيها بعد فترة قصيرة مجمّع حضري مستقر أخذ ينمو سريعاً بعد أن كان مجتمعاً عسكرياً متحركاً لا يعرف الاستقرار ، وهاجرت إليها جموع من الفلاحين والعمال من المناطق المجاورة ، ثم توسع وتنوع ليصبح أكبر التجمعات الإسلامية .

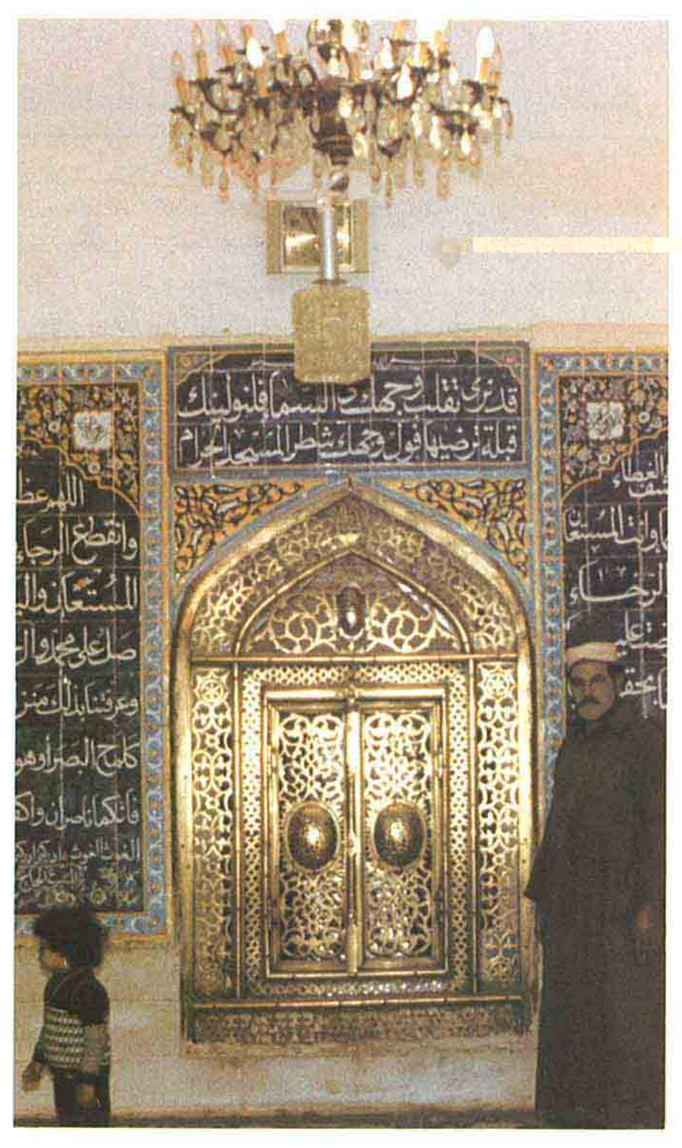
حينما نزل المسلمون أرض الكوفة ، ما كان يدور في خلدهم أن يصبحوا مزارعين ولا مستوطنين . ولذلك لم تحظ الزراعة لديهم باهتمام كبير لسببين واضحين :

● **أولاً** : أن العرب القادمين لم يكونوا أهل زراعة أصلاً بل حملة رسالة سماوية ، و « مجاهدين » ، مستنفرين للقتال في كل ساعة .

● **ثانياً** : أنهم منعوا من مزاولة الزراعة منعاً باتاً . فقد نهى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه الاشتغال بالزراعة ، بل حتى السكن قرب المدن الكبيرة كالمدائن والحيرة ، لئلا تفسدهم حياة المدن ، وتلهيهم عن الجهاد . وحينما شرع بعض قادة الفتح في توزيع أراضي السواد على المقاتلين حال الخليفة عمر بن الخطاب دونهم ، وأمرهم بتركها لأصحابها المغلوبين يزرعونها ويدفعون الخراج عنها . وحينما اتضح لديه أن بعضها كان بوراً ، وبعضها مقاطعات زراعية عافها أصحابها الفرس ، من أمراء وكبار ملاكين ، وخشية أن تتحول إلى أراضي بور وتفقد طاقتها الإنتاجية سمح باستغلالها ، كما شجع على إحيائها . وقال : « من أحيا أرضاً مواتاً ليست في يد مسلم ، ولا معاهد ، فهي له » . وخطا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه خطوة أخرى حينما أقطع عدداً من الصحابة والتابعين وقادة الجيش قطائع عامة وخاصة تقديراً لخدماتهم ، وتشجيعاً لهم على الاستيطان . فالقطائع العامة كانت خارج المدن ، ومعظمها من أراضي الساسانيين ، وأما الخاصة فكانت داخل المدن وأقطعت لأغراض السكن .

اهتم ولاة الكوفة في العصر الأموي اهتماماً كبيراً بتوسيع رقعة الأراضي المزروعة في الكوفة وتحسينها ، ولا سيما **خالد القسري** (١٠٥ هـ) ، حينما شرع في تجفيف الأهوار والمستنقعات ، واستصلاح الأراضي البور ، وفي شق الترع والقنوات . **واشتهرت الكوفة بإنتاج محصولات زراعية كثيرة ومتنوعة وأهمها الشعير والحنطة والأرز ، والذرة والسمسم والدخن والماش والعدس ، وقصب السكر والقطن ، وزراعة الزهور والورود** . أما **النخيل** فكانت بساتينه واسعة وأغراضه كثيرة ، وتمتد من القادسية جنوباً حتى الأنبار شمالاً . وأما الأرز فكانت زراعته في الأراضي المنخفضة والأهوار وعلى جانبي الترع الممتدة على جانبي منطقة الفرات الأوسط ، هذا فضلاً عن **زراعة الفواكه والكروم** . وكان معظم خراج الكوفة يأتي من محصولي **الشعير والقمح** .

وفي النشاط الصناعي والحرفي **اشتهرت الكوفة بصناعة الأقمشة الحريرية** ، كالثياب ومناديل الرأس وبالعمائم المصنوعة من الخز وعمل الوشي ، **وبالحلل النجرانية ، وبجميع الأقمشة الصوفية والقطنية ، وباستخلاص العطور من الزهور ، وباستخراج الزيوت من القطن والسمسم ، وبصناعة الصابون ، والسجاد والحصر والخيام ، والخزف والآجر المزجج ، والزجاج والأقداح وغيرها** . هذا فضلاً عن الصياغة والحدادة والنجارة . **واشتهرت بأسواقها العديدة المتنوعة والمتخصصة بكل لون** . فكانت فيها **أسواق الوراقين والزياتين والصيارفة والصاغة والتمارين ، وباعة الزهور** . وكانت طبقة العمال المهرة والمزارعين تتألف من الموالي والعبيد المعتقين والنبط ومن سكان مدينة الحيرة والقرى المسيحية المجاورة .



★ أحد الأبواب الداخلية لمسجد السهلة ★

الكوفة تستعيد تاريخها

استردت الكوفة عافيتها بعد تجارب قاسية ، واستيقظ ضميرها بعد تأنيب طويل تبدّى في حركة **« التوابين »** ، وتهيأت لها قيادات جديدة .

وعاشت الكوفة عصراً ذهبياً لا نظير له في العالم الإسلامي امتد حتى منتصف القرن الثاني للهجرة . وحينما شيدت بغداد في منتصف هذا القرن « تحول النشاط الحضاري والعقلي والأدبي إليها . فكان هذا إيذاناً بأفول نجم الكوفة ، وضعف شأنها . ويبلغ هذا الضعف أشده في أوائل القرن الرابع ، حيث فقدت مركزها السياسي ، وضعف شأنها ، وأصبحت مدينة للعلوم الدينية ومركزاً للفقه والحديث » [١٤] .

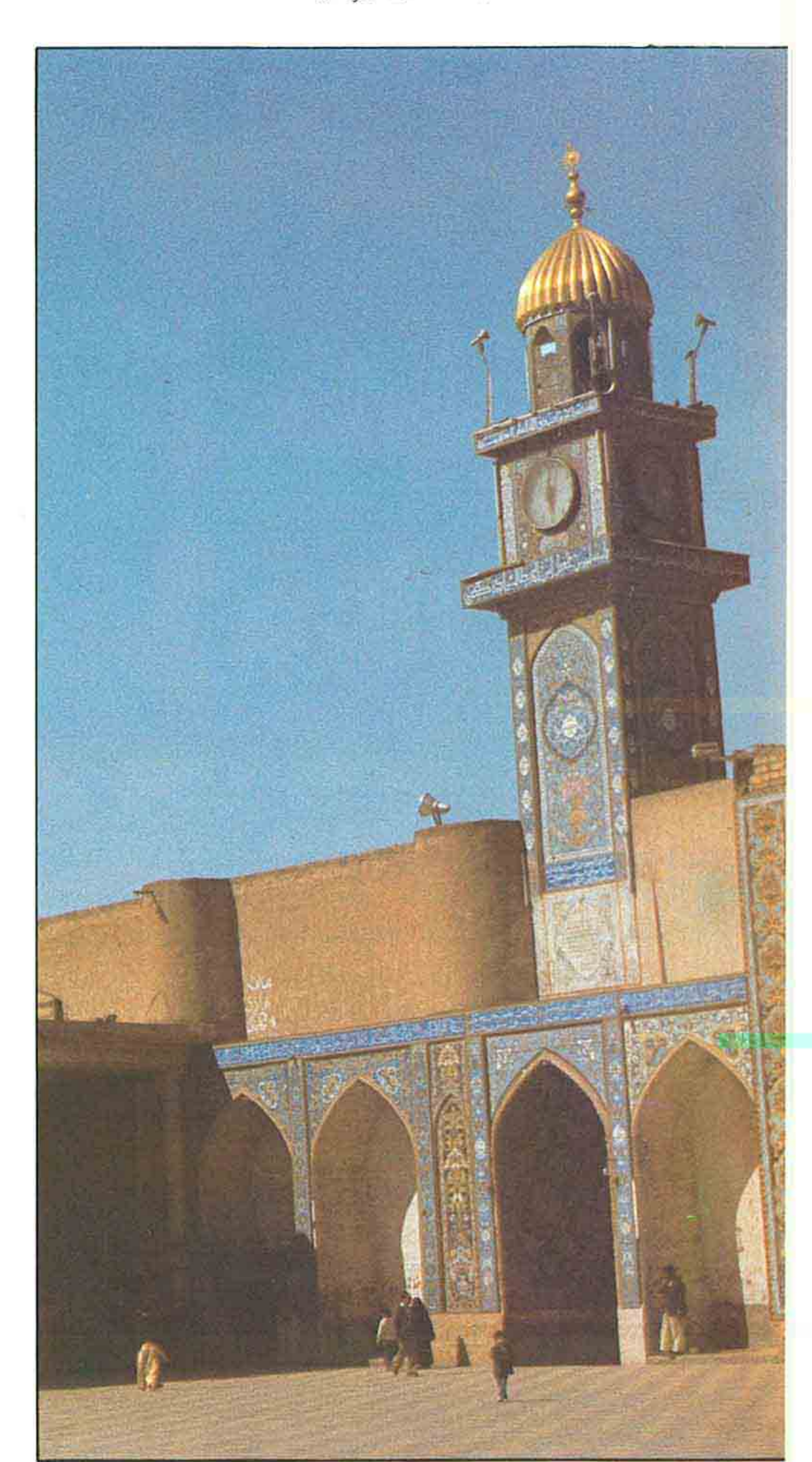
مدينة النحاة والقضاة والشعر

استعادت الكوفة مركزها السياسي والثقافي في **عهد آل بويه** الذين حكموا إيران والعراق ، ووجهوا عناية خاصة إلى بعض المدن ، لا سيما النجف والكوفة وكربلاء وسامراء والمشهد الكاظمي . وبزوال حكمهم على أيدي السلاجقة الأتراك ، وتصاعد القلاقل والاضطرابات ، بدأت الكوفة تفقد مركزها تدريجياً ، ولا سيما بعد قيام مركزين علميين ودينيين هما النجف والحلة . وبانتشار أعمال الفوضى والإخلال بالأمن ، تدهورت حياتها الثقافية والعمرانية . وحينما زارها الرحالة ابن جبير الأندلسي سنة ٥٨٠ هـ ، وجدها آيلة للخراب . فكتب يقول :

« هي مدينة عتيقة البناء ، قد استولى الخراب على أكثرها . فالغامر منها أكثر من العامر . . . » وبناؤها « بالآجر ، ولا سور حولها . فالجامع العتيق آخرها ، مما يلي شرقي البلد . ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق » . وزارها كذلك الرحالة ابن بطوطة التطواني ، فكانت على الحال نفسه .

انتهى الأمر بهذه المدينة الرائعة ، كما انتهت إليه معظم المدن العراقية كالبصرة وبغداد والموصل ، فاستحالت في العهد العثماني الغابر إلى قرية صغيرة تحتضر على شاطئ الفرات ، نازفة آخر قطرات تراثها الثقافي العظيم ، إلا من مساعدات قليلة جاءت من النجف ، وريثتها وشقيقتها فمكنتها من الوقوف على قدميها لتستعيد ماضيها العلمي وتراثها الفكري الكبير .

ولعل أعظم تكريم تحظى به مدينة الكوفة هو إعادة بناء مسجدها التاريخي الكبير ، وإحياء طابعه المعماري استناداً إلى أصح الروايات المدوّنة ، وإلى كتابات الرحالة المسلمين الأوائل أمثال الرحالة الأندلسي ابن جبير ، مع مراعاة متطلبات العصر ، والحفاظ على معالمه القديمة ، لتعود الكوفة إلى حظيرة العواصم العربية والإسلامية لتسهم في إثراء تراثها العلمي والأدبي .



★ ساعة مسجد الكوفة ★

الهوامش

(١) اختلف المؤرخون في أصل تسمية « الكوفة » فمنهم من يقول أصلها فارسي وآخرون سرياني أو آرامي . والأرجح أن أصل الكلمة عربي . فالعرب كما تذكر معاجم اللغة ، تسمي الأرض الحمراء التي فيها حصباء ويخالطها طين ورمل بـ « الكوفة » . والكوفة عندهم مكان يجتمع فيه الناس . ولا تزال طبيعة الأرض الصحراوية الممتدة بين الكوفة والنجف غرباً مطابقة للوصف المذكور .

(٢) د . كاظم الجنابي : تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية ، (ص ١١) . ويرى الدكتور الجنابي أن الاسم مشتق من كلمة « شورستان » الفارسية ، ومعناها الصحراء . وأغلب الظن أن الاسم مشتق من كلمة « شورة » أي الملوحة ، وهي كلمة دارجة لدى العراقيين ، الناجمة من اتساع رقعة البطايح والسباخ في تربتها .

(٣) يذكر الطبري في حوادث سنة ١٢ هـ ، أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن لاحظ تدهور صحة جنود سعد بن أبي وقاص واسترعته صفرة وجوههم ، كتب إليه يأمره بالانتقال إلى أمكنة تتوافر فيها شروط الاستيطان من ماء ورعي وأمن . وكتب كذلك إلى صاحب البصرة عقبة بن غزوان يأمره بالانتقال إلى موقع آخر ، وإلى عمر بن العاص بالانتقال من الإسكندرية إلى الفسطاط بمصر .

(٤) د . محمد حسين الزبيدي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٥) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، صفحة ١٦٧ ، دار التراث ـ بيروت ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م . في عام ٧٢٦ هـ ، زار مسجد الكوفة الرحالة المغربي ابن بطوطة (محمد بن عبد الله الطنجي) المولود في طنجة والمتوفى في فاس (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ) . وكان وصفه للمسجد لا يختلف كثيراً عن وصف ابن جبير .

(٦) كامل سلمان الجبوري : مساجد الكوفة ، صفحة ٧٨ ـ ٧٩ .

(٧) كاظم الجنابي : تخطيط مدينة الكوفة ، صفحة ١١٤ ـ ١١٥ .

(٨) كاظم الجنابي : المصدر السابق ، صفحة ١١٨ .

(٩) كاظم الجنابي : المصدر السابق ، صفحة ١٢٠ .

(١٠) كامل الجبوري : مساجد الكوفة ، صفحة ١٤٦ ، ـ مطبعة النعمان ، النجف ، سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(١١) د . كاظم الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة ، صفحة ٢٦ وما بعدها .

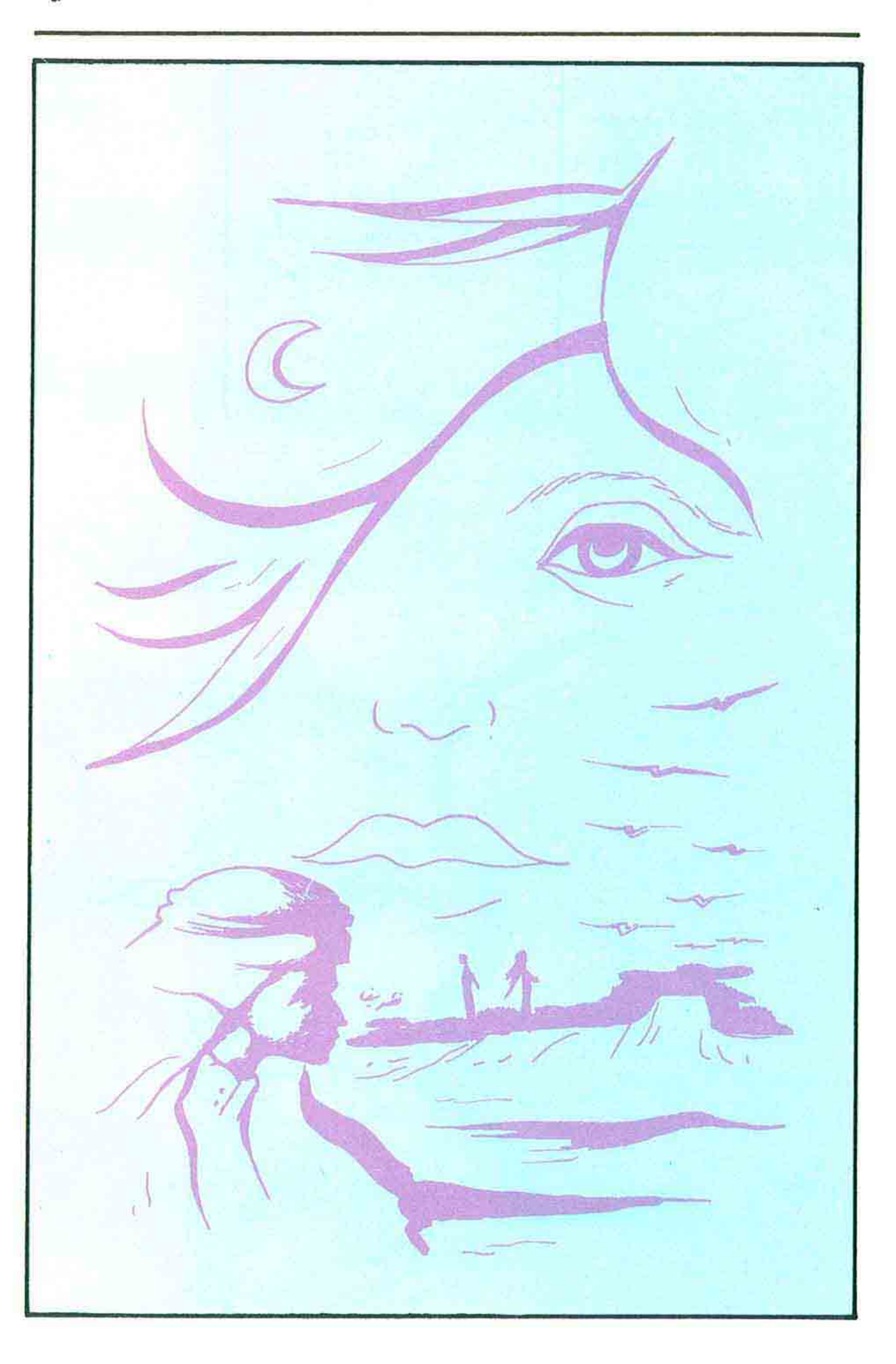
(١٢) د . محمد حسين الزبيدي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص ٩ ـ ١٠ .

(١٣) ابن الفقيه : البلدان ، صفحة ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، نقلاً عن كتاب تخطيط مدينة الكوفة ، للجنابي ، صفحة ٦٨ ـ ٦٩ .

(١٤) د . محمد حسين الزبيدي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص ٢٩٦ .

وغداً .. !

شعر : غازي عبد الرحمن القصيبي



الدجى شوقٌ وعطرٌ ووَتَرْ
ودنا منا القمرْ
وامتطينا الحلم مهراً
ومضينا في مَتَاهاتِ القَدَرْ

★ ★ ★

لا تقولي الآن شيئاً !
طالما ضقت بحمل الكلماتْ
كاذباتٍ .. خائناتٍ .. خادعاتْ
ولنعش أعنف أسرار الحياةْ
لحظة ما شابهتها اللحظاتْ

★ ★ ★

وغــداً ...
نرجعُ من عبقر لا شيء لدينا
غير ومضٍ باهتٍ في مقلتينا
وبقايا رعشةٍ في شفتينا
وغداً نرسف ما بين الجموعْ
بقيودِ النّدم الفظِّ .. ونقتات الدموعْ
فكأنّا ما التقينا

★ ★ ★

وغــداً ...
نرجع للعرس الحزينْ
في ضفافِ الميتينْ
الألى لم يُدْفَنُوا ... يمشون في الأرض ..
الـحَيَارَى الضائعين
وغداً نذكرُ جوعَ الفقراء
وعَذَابَ البؤساء
وغــداً ...
تلمسنا الـحُمَّى فنهار
كباقي الأشقياءْ

طفل من القدس

شعر: هارون هاشم رشيد

(١)

أعرفه . .
كان اسمه أحمدُ ،
كان صغيراً ،
شعرهُ أسودُ ،
عيناهُ نجمتانِ ،
حلوتان ،
خداه مثل الوردْ .

(٢)

كان كنسمة الصباح ،
يعبرُ الطريقَ ، مسرعاً ،
يجتازُ باب الساهره ،
معلقاً ذراعَهُ ، في خصر أمه ،
لروضة الأطفال ،
يسرعان للمذاكره .

(٣)

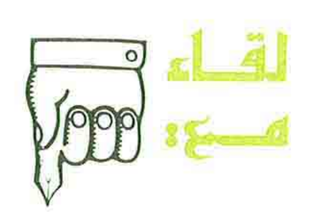
اعتدتُ أنْ أراهُ ،
كالملاك كلَّ يوم ،
ذاهباً ، وعائدا
براءةُ الأطفال ، من عينيه ،
شلال ،
يوزع الزهورَ ،
ينشدُ القصائدا .

(٤)

أحمدُ مَرَّ مِنْ هنا ،
أحمدُ كان هاهنا ،
أحمدُ زينَ الدروب والمقاعدا .

(٥)

أحمد نجمةُ الصباح ،
طفلي الصغير ،
غنوتي الحبيبة المسافِرَهْ ،
رفيقي المجنح الأحلام ،
عالمي الكبير ،
صاحبي ،
وليدُ بابِ الساهره ،
في هجمةِ الإرهابِ والتدميرِ ،
والمغامره ،
في لحظة حالكة سوداء
لا تنسى بباب الساهره
غالتهُ ،
وهو في طريقه ،
لروضة الأطفال
طائره .



أحمد محمد الشامي



قضية توافق الأدب والسياسة أو تناقضهما من القضايا التي تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامات الفكر المعاصر ، وفي لقائنا هذا سلطنا بعض الأضواء وطرحنا أسئلتنا على أحد رجال الفكر في اليمن ، فكانت هذه الإجابات التي يضمها هذا اللقاء ، حيث طرح الشاعر السياسي اليمني الأستاذ أحمد محمد الشامي وجهة نظره حول هذه القضية ، بالإضافة إلى جوانب أخرى تطرق إليها الحديث فيما يتعلق بالتاريخ والشعر والشعراء كقضايا مشتركة في عالمنا العربي في إطار ما كانت عليه وما يجب عليه أن تكون في المستقبل كما يراه ضيفنا الأستاذ أحمد محمد الشامي وزير خارجية اليمن السابق .

إعداد : إبراهيم عبد الله مفتاح

السياسة .. والأدب

الأدب .. والسياسة

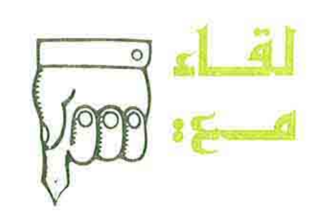
●● السياسة والأدب هل يتفقان ؟

● « أنا في الواقع نشأت نشأة أدبية علمية ، ومن بيت يحب العلم والأدب ولم تكن لدي هواية الاتجاه إلى السياسة ، ولكن الظروف التي كانت تحيط باليمن إبان نشأتنا ، وفي العالم العربي أيضاً أجبرتني وأجبرت أمثالي ممن يشاركون في الأدب والثقافة على الدخول مكرهين في مجريات السياسة سواء بالنسبة لإصلاح أوضاعنا الاجتماعية في اليمن ، أو للمساهمة مع العالم العربي الذي كان في ذلك الوقت ـ فيما يسمونه بالعشرينات أو الثلاثينات ـ تحت نير الاستعمار . لكن أنا أديب وطالب علم وأدب أكثر مما أنا هاوي سياسة ، أما أنني كيف وفقت بين السياسة والأدب ؟ . . فلأني لم أهمل القراءة والمطالعة ، ولم أستطع أن أخرج عن كوني أمارس الشعر في أي ظرف من ظروف حياتي عندما كنت سجيناً وكان للشعر فضل في إخراجي من السجن لأنني حطمت به قسوة من كانوا قساة عليّ ، وناديت به عطف ورحمة من كانت عواطفهم لا تستجيب إلا للقوافي والأوزان . واليمنيون بطبيعتهم يحبون الشعر والشعراء ، حتى أنه قيل في المقولة المشهورة **لعمرو بن العلاء** أو لأحد عظماء الأدباء من قبل : **« كادت اليمن أن تذهب بالشعر كله »** . في نفس الوقت لا أعتقد أن السياسة تجني على الأدب أو أن الأدب يجني على السياسة ، لأن الأديب الحق لا يستغل أدبه أو شعره في سبيل أغراضه الخاصة ، أو أهدافه الشخصية استغلالا سيئاً . أما السياسي الحق إذا لم يكن أديباً ولم يستطع أن يخاطب قومه ، ويدافع عن حجته بلغة قوية وواضحة ، فلا يجوز أن يعطى المقام الذي يعطاه السياسي الأديب المحنك ، وكثير من قادة الإسلام ، وقادة العرب في مختلف العصور كانوا أدباء وكانوا علماء وكانوا شعراء . تروى كلمة **للمأمون** أنه قال : **« قبح الله حاكماً يدخل عليه من هو أعلم منه »** .

تسييس الأدب

●● من هذا المنطلق هل تؤيد تسييس الأدب ؟

● « لا . لا أؤيد تسييس الأدب أبداً وخاصة السياسة في عصرنا هذا ، لأن السياسة الحقة التي يراد بها خدمة المجتمع ، وخدمة الإنسانية ، وخدمة الخير العام ، والعمل على إقامة العدل والحق ، فهذه ما يجب أن يكون الأدب مخلصاً لها ولهذه المعاني . لكن إذا كانت السياسة كما عرفت في رأي البعض وخاصة من رجال العصر الحديث هي الكذب والغش والخداع والخروج والولوج من غير مراعاة مبدأ أو هدف ، فأنا أحب أن يظل الشعر والفن والأدب بعيداً عنها ، لأنه سيكون جناية على الأجيال التي ستنشأ على مثل هذا التراث ، ومن الصعب جداً تربية جيل على أدب أو تراث يتلون كل صباح ومساء ويتقلب حسب تقلبات مناخ السياسة التي يضطر فيها الشاعر أو الأديب إلى أن يكذب على التاريخ أو



الأديب الحق لا يستغل أدبه

اللغة أو الأحداث وهذا ما نشاهده ـ للأسف ـ خلال الخمسة عشر عاماً التي عشتها في حياتي السياسية ، ولهذا فأنا لم أحاول أن أقحم ما يزعم الناس أنني فيه صاحب كلمة ـ سواء شعراً أو نثراً ـ في هذه الموضوعات » .

●● هل معنى هذا أن الأديب لا يصلح أن يكون سياسياً بالدرجة التي يكون فيها السياسي المتخصص ؟

● « أنا أرى أن من شروط السياسي أن يكون أديباً ، لأن الأدب الحق والشعر الحق هو الذي يخدم قضايا الأمة ، وليس من الضروري أن يكون السياسي شاعراً ، ولكنه ربما يكون أديباً ومحباً للشعر ، وإذا لم يكن كذلك **فكيف نناديه ؟ وكيف نخاطبه ؟ لكن ما السياسة أولا ؟ هل هي الخداع والغش والمغالطة لكي يقال : فلان سياسي يكن كذلك فكيف نناديه ؟ وكيف نخاطبه ؟ لكن ما السياسة أولا ؟ هل هي الخداع والغش والمغالطة لكي يقال : فلان سياسي لأنه يعرف كيف يحور ويدور ؟**

قبل كل شيء يجب أن نصحح مفهوم ساس ويسوس في مجتمعنا العربي . أنا شخصياً ـ وباطلاعي المحدود ـ أعرف في **أوروبا** وفي غير أوروبا من رجال **الشرق والغرب** أعرف سياسيين قادوا أممهم ، وخطبهم تدرس أدبياً وكذلك أشعارهم ولم يُثر بينهم هذا السؤال . لم يقولوا مثلاً : **إن تشرشل لا يصلح أن يكون رئيس وزراء لأنه كان يقول الشعر أو لأنه كان خطيباً بارعاً أو لأنه كان مصوراً** . لم يقل أحد بهذا . ولا أدري **كيف ولدت هذه المقولة في مثل هذا الوقت** ؟ لا . أنت أديب لا تصلح أن تكون سياسياً . **هل كان أبو بكر رضي الله عنه وهو أحفظ الناس ـ بشهادة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ـ لأشعار العرب لا يصلح للسياسة ؟ هل يصح أن نقول : إن الحجاج بن يوسف لا يصلح أن يكون حاكماً** ؟ ـ مع النظر بعين الاعتبار إلى الفرق بين أبي بكر والحجاج ـ . هل ننسى **قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما جاء زياد بن أبيه من العراقين ووجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووصف له كيف كانت المعارك هناك** ؟ فقال : يا غلام . **هل تستطيع أن تقول هذا الكلام في المسجد** ؟ قال : نعم . لأنني لا أهاب أحداً مثلما أهابك ، فأخذ به وقال : الصلاة جامعة . فاجتمع الصحابة وقام زياد بن أبيه ووصف المعارك وصفاً أدبياً ، حتى أن علياً ـ وهو من تعلمون علماً وخطابة ـ قال : **لو كان هذا الفتى قرشياً لقاد العرب بعصاه** .

من هذا نعرف **أن فكرة عدم صلاحية الأديب للسياسة** في عالمنا العربي إنما هي وليدة الاستعمار الذي شن حرباً شعواء على لغة القرآن وأراد أن ينشئ في عالمنا العربي جيلاً أميًّا منفصلاً عن آدابه ولغته وتراثه وما صاحبها من علوم وفنون وذلك حتى لا يستطيعوا قيادة أمتهم على نهج من ذلك التراث وتلك الأصالة والمعتقدات التي يحاول الاستعمار القضاء عليها .

أنا لا أوافق من يقول : بأن السياسة تجني على الأدب أو أن الأديب لا يجوز أن يكون سياسياً .

هذه نظرة عامة . أما بالنسبة لوطني الصغير التراب الذي ولدت فيه ـ وهو **اليمن** ـ فقد عشته في شعري وفي حياتي وفيما يسمونه سياسة فأنا أعرف ـ قديماً وحديثاً ـ أن جل حكامه مؤلفون ، وأخيراً أخرج السيد **عبد الله الحبشي** « **حكام اليمن المؤلفون** » فأخرج أكثر من أربعين حاكماً لليمن في مختلف عصورها لدى كل واحد منهم عشرات المؤلفات وكثير منهم لهم دواوين شعر ولهم مؤلفات في الطب وفي الفن والحساب والهندسة أيضاً ، ومنهم حديثاً **زيد الموشكي** وهو حاكم شرعي كان شاعراً كبيراً ، وكان المرحوم **محمد محمود الزبيري** وزير معارف وهو أكبر شعراء اليمن ـ كما يقولون ـ في عصرنا الحديث وكان غيرهم الكثير » .

●● هل يكتب التاريخ متكاملاً في الفترات التي تقع فيها أحداثه ؟ أم أن حقائقه تولد فيما بعد ؟

● « أنا في الواقع مؤرخ ولكنني أكتب على هامش التاريخ أكثر مما أكتب أحداث التاريخ . أستوحي العبرة من التاريخ نفسه أكثر مما أمجد أو أنتقد الأحداث . التاريخ لأي أمة من الأمم ملك من أملاكها مترابط وحلقات متواصلة إذ لا يوجد تاريخ حديث منفصل عن تاريخ قديم . مثلاً نحن في بداية **القرن الخامس عشر** . أنا أكتب الآن ـ ضمن نشاطاتي المدونة في مفكرتي الخاصة ـ « **على هامش تاريخ اليمن في القرن الرابع عشر** » من سنة ١٣٠١ هـ إلى سنة ١٤٠٠ هـ .

صورة هذا القرن متكاملة في ذهني لأني من مواليد سنة ١٣٤٢ هـ ، وهذا أتاح لي فرصة من عاشوا في هذا القرن أربعين أو خمسين عاماً وكذلك معرفة أحداث هذه السنوات وحكامها بالرواية والسند لأنني من سنة ١٣٥٠ هـ ، وأنا في الثامنة من العمر أذكر صوراً لهذه الفترة إلا أنني وجدت نفسي مضطراً إلى الاطلاع على كل الكتب التي ألفت عن القرن الثالث عشر فوجدت أن هناك أحداثاً يرتبط بعضها ببعض إما عن أناس عاشوا في القرن الثالث عشر أثروا في القرن الرابع عشر أو بعصبيات وقبليات أو بطائفات أو بحدث من الأحداث ، وبطبيعة الحال عالمنا

أو شعره في أغراضه الخاصة .



العربي يتأثر كثيراً بما يتعلق بالقبيلة أو بالطائفة أو بالمذهب أو بالفن أو بالسياسة أو بغيرها ، سواء كان ذلك عن حق أو عن باطل ، وهذا يجعل أنه من غير الممكن أن يوجد مبتتراً .

صحيح أن التاريخ علم ، وأن هناك أشياء في العلوم قد يظن القارئ أو الظان أنها مبتكرة مثل **الكومبيوتر أو التلفزيون** . لكن العالم في مثل هذه الأشياء لولا جهود رواد وصلوا إلى هذا وطوروه عن بدايات سابقة لما كان ذلك .

إذن حتى العلم لا يمكن إلا أن يكون له ارتباط بالماضي . قد يقول قائل : إن **أمريكا** عالم جديد وإن تاريخها مبتكر ، لكن هذا غير صحيح لأن شعوب أمريكا في الواقع متأثرة بالمواطن التي جاءت منها وأن حضارتها أو تاريخها مبني على أساس من التراث القديم » .

●● من بين مؤلفاتك كتاب اسمه « لزوميات الشعر الجديد » فهل لنا أن نعرف ما هذه اللزوميات ؟

● « أنا اهتميت بما يسمى **الشعر الحر** أو الشعر الجديد أو ما شئت أن تسميه من تسمية ولن أتعرض لاختلاف فطاحل الأدب أو المتطفلين على الأدب حول هذا الموضوع . لكنني أشير هنا إلى ما ذكره **الدكتور عز الدين إسماعيل** في كتابه عن « **الشعر المعاصر في اليمن** » ، وما ذكره **الدكتور عبد العزيز المقالح** في كتابه عن الشعر المعاصر في اليمن « **الرؤية في الفن** » ، وما ذكره آخرون توهموا وقالوا : إن **أحمد الشامي** هو أول من أوجد هذا الشعر في اليمن . صحيح أنني كتبت هذا النوع من الشعر قبل أن أعرف أن هناك **نازك الملائكة** أو أعرف أن هناك **نزار قباني** ، ولم أتأثر بهما ، وكان زميلي في هذا الشاعر **إبراهيم الحضراني** حيث بدأت معه من سنة ١٩٤٢ م ، في نظم هذا النوع لكن لم يعرف الدكتور عز الدين إسماعيل ، ولا الدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح أننا تأثرنا بشاعر يمني قبلنا وهو السيد **حسن بن عبيد الله السقاف** ، وكان قد طبع ديواناً صغيراً اسمه « **ولائد الساحل** » سنة ١٩٤٠ م ، وللأسف أنه لم تؤرخ لهذا لا نازك الملائكة ولا غيرها في كتابها « **الشعر الحديث** » .

هناك أيضاً الشاعر الحضرمي **علي أحمد باكثير** زميل السيد **حسن ابن عبيد الله** مارس هذا الشعر من الثلاثينات ، ونازك الملائكة عندما قالت : إن قصيدتها في **الكوليرا** المنشورة سنة ١٩٤٨ م ، كانت أول قصيدة في هذا الشعر **دعوى عريضة** ولو كان الأمر كذلك لقلنا : إنه كما كان الشعر القديم يرجع إلى اليمن لأن **امرأ القيس** منها فإن الشعر الجديد يرجع إلى اليمن أيضاً ، ولكن هذه كتلك دعوى عريضة لأن هذا النوع من الشعر معروف قديماً فيما يسمى « **البَنْد** » وغيره وذلك منذ قرون مضت حيث قالوه في **الشام** وقالوه في **العراق** وقالوه في اليمن فيما عرف **بالشعر الحميني** لأنه يبتكر أوزاناً مختلفة وأوزاناً غير معروفة في **أوزان الخليل** لكنها كلها منغمة .

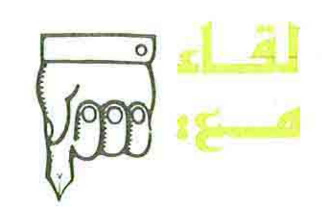
كنا نغني الشعر الموزون ولكننا كنا نتحرر في القوافي ، ولكن هذا الفن استبحر عند كثير من رجالاته مثل **البياتي** ، **ونازك الملائكة** ، **وفدوى طوقان** ، ونزار قباني وغيرهم ، وهؤلاء ظلوا محترمين للوزن وللنغمة إلى أن جاء بعد ذلك من خرّب الأوزان والقوافي وتحرر منها نهائياً وسمى كلامه شعراً فثار عند ذاك **العقاد** وثار **طه حسين** واتهموا بأنهم أعداء لهذا الشعر ، والواقع أنهم لم يكونوا كذلك لأن الشعر له جرس خاص وإيقاعات خاصة ويصلح لأن يغنى ويترنم به وأن يُوقف عند مقاطعه .

في اليمن طغت موجة تدعي بأنها ضد النحو وضد اللغة ، وهذه الموجة لم تقتصر على صحف اليمن ولكنها قد طغت في كثير من **البلدان العربية** حيث كسروا الوزن وأبطلوا القافية وقالوا : **القصيدة النثرية** ، ونحن نقول لهؤلاء : يا إخواننا ، هناك في كلام البشر – **إنجليزي أو فرنسي أو روسي أو صيني أو عربي** – أدب ، وهذا الأدب قسم منه يسمى شعراً وقسم آخر يسمى نثراً ، وفي عرف كل هذه الأمم أن هناك فرقاً بين الشعر وبين النثر لا في المعاني كما يتهيأ للبعض ، لأن الموضوع الواحد قد يطرقه الشاعر ، ويطرقه الناثر فيسمى هذا نثراً لأنه غير موزون ولا مقفّى ، ويسمى الآخر شعراً لأنه موزون مقفّى ، وهذا موجود في كل اللغات .

جاء بعضهم ممن تحرر من القافية أو عددها فقلنا : لا بأس هذا تجديد .

أما أن نتخلص من القافية أو من تعددها وكذلك نتخلص من الوزن فنحن نقول لكم : إننا نرجوكم أن تسموه أي شيء إلا أن يكون شعراً ، وإلا فقولوا لنا : **لماذا وجد النثر** ؟ قالوا : هذا قديم . وآراؤكم هذه مندثرة . هذا شعر جديد . قلت : أنتم تقولون : إنني أول من أدخل الشعر الجديد في اليمن . **إذن لماذا لا تلتزمون بذلك النهج إذا كنتم تمتلكون الموهبة الشعرية** ؟

ثم أردت أن أخدم هؤلاء الذين يزعمون أنهم مجددون فقلت لهم : إننا نستطيع أن نقول شعراً جديداً ليس بالقافية فقط بل حتى بالالتزامات **لأبي العلاء المعري** . الالتزام كما هو معروف لدى الأدباء هو من يلتزم القافية وقبلها حرف أو حرفان ، وقد أخرجت ديواناً كنت آخذ فيه قطعة لأبي العلاء المعري يلتزم فيها ثلاثة حروف ثم آتي بالطريقة التي يستعملها نزار القباني ، أو نازك الملائكة ، وإبراهيم الحضراني ، وقوافيها ليست حرفاً واحداً بل ثلاثة حروف دون أن تخرج عن موضوع الشعر



التاريخ لأية أمة من الأمم ملك من أملاكها .



الجديد الذي يريدون أن تكون موضوعاته **إنسانية** ، وبعضهم يُغرب ويسميه **رمزياً** مع أنه لا يمتُّ إلى ذلك بشيء ، ولا يوجد فيه مرموز إليه أو مرموز به ، وإنما هو عجزهم عن ضبط الأوزان الشعرية وتوهمهم أنهم شعراء فادّعوا ذلك شعراً ، وقد تعرضت لذلك في قصيدة موجودة في لزومياتي اسمها « **جناية الشعر الجديد** » حتى أن الدكتور المقالح قال لي : **كيف تهاجم الشعر الجديد وقد أصبح حقاً ثابتاً له لزوميات كتبتها بنفسك ؟**

والواقع أن هدفي كان خدمة اللغة العربية دون أن أعارض الجديد أو ما يسمى بالجديد ، ودون أن أظلم بعض الشعراء المحدثين لأنني لست حامل رسالة ، وإنما أردت أن أبصِّر بعض عشاق الأدب وطلابه في هذا الموضوع ، وبحمد الله حصلت على نتائج لا بأس بها وإن كان هناك من قام بمعارضتها ، وأتمنى أن يأتي اليوم الذي أخرج فيه كتابي الجديد « **مع الأدب المعاصر في اليمن** » ، لأنني سأكتب حول هذا الموضوع وحول تاريخ الشعر الحميني ونشأته ، وقد توصلت إلى أشياء جديدة سيكون لها دور في خدمة الأدب اليمني المعاصر إن شاء الله » .

الشعر .. بين الإلهام والقدرة

●● **الشاعر هل يمر بلحظات إلهام خاصة ؟ أم أن الشعر هو القدرة على النظم في أية لحظة يريدها الشاعر ؟**

● « الشاعر مكون تكويناً خاصاً ، ومزوداً بوسائل إلهية خاصة ، إذ إن هناك أشياء لا أستطيع وصفها — هذا طبعاً عن تجربتي الشخصية — غمرة يشعر بها الشاعر كغمرة حزن مثلاً . دخلت مرة زوجتي المستشفى في سنة ١٩٥٨ م ، في **روما** وكانت عملية جراحية متعبة ، فأردت أن أبكي فلم أستطع ولكنني وجدت نفسي أقول :

بكيت حزناً والبكا راحة
لو تركت لي نكبتي أدمعا
لكن دمعي مثل قلبي اشتوى
بنار أحزاني فجفا معا

ويموت أخيراً الأخ **عباس بن علي الوزير** فلا أنام إلا وقد قلت قصيدة كاملة في خمسين بيتاً تقريباً إذ لم أشعر إلا وأنا أتمثل عالماً وزملاء كانوا لي ذهب منهم الأول بعد الآخر فاستوحشت وقلت :

ريب الزمان ترفقاً وكفى في
دع لي بقايا السرب من آلافي
بالأمس زيد والرفاق ومن مضوا
وجحافل الزعماء والأشراف

واليوم في عباس أسفح عبرتي
وأريق سؤر حشاشتي وشغافي
إني لأخشى أن أعيش مرزءاً
من دون ما دمع ودون قواف

الشاعر الحقيقي يأتي شعره من غير تصنع لكنني أعرف شعراء مجيدين يتصنعون شعرهم حتى أن أحد أساتذتي — ولا أريد أن أسميه — كان يعجب الناس من أنه إذا ماتت شخصية مهمة في اليمن كانت قصيدته أولى القصائد ، حيث إنه في اليوم الثاني يؤبن تلك الشخصية ويرثيها بشعر جيد — وهذا يجعل الكثير يعجبون بعبقريته — والواقع كان غير ما يتصورون ، إذ إنه ينظم في المراثي ويهيئها « كزلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وجفت البحار ، وتحطمت الأشجار » ، إلى آخر ما يقال في مثل تلك المناسبة ، ثم في آخر ليلة يضع المواصفات الخاصة بتلك الشخصية .

هذا بطبيعة الحال شعر لكن الناقد لا يلمس فيه شيئاً من روحه ولا توجد فيه معاناة الشاعر ، وهذا ما ألمسه في هذه الأيام على شاعرنا الكبير الأستاذ **عبد الله البردوني** ، شعره كان — قبل خمسة عشر عاماً وهو في ظروفه الحزينة — نابعاً من قلبه ، وكنت عندما تقرأ شعره تقول : الله معك يا عبد الله ، لكن شعره الأخير مثل ديوانه « **وجوه دخانية في مرايا الليل** » .. هذا عبارة عن منظومات إلا أن المنظومات للعباقرة **كابن مالك والحريري** فيها فن وفيها لطف نحوي . أما هذه فليس فيها شيء . ولهذا فإن في كتابي الجديد « مع الشعر المعاصر في اليمن » فصل اسمه « **قاموس الشعر البردوني** » وقد نحت إلى بعض الوقفات التي عندما أقف عندها أقول : هنا عبد الله البردوني الذي أعرفه . وبعكس ذلك الدكتور المقالح — وهما زملاء — المقالح لم يتصنع للشارع ولم يساير الموجة السياسية التي قد يهواها لكنه لا يريد أن يسخر فنه لها ، لأن الفن شيء عظيم كما قدمنا ، فإما أن تكون صاحب مبدأ فتستعمله وتخرجه إخراجاً فنياً رائعاً ، أو من الأفضل أن تتركه حتى لا تسيء إليه . أنا أؤمن بحرية الفكر ، وأحب حتى خصمي عندما يكون كلامه بيانياً مشرقاً لكي يدفعني إلى الدفاع عن عقيدتي وعن رأيي بكلام مثله أو أحسن منه » .

* * *

هنا توقف عن الحوار في الوقت الذي لا يمل فيه الإنسان مع شخصية كالشامي اجتمعت فيه شخصيات الأديب ، والناقد ، والشاعر ، والسياسي ، والمؤرخ ، والراوي .. إنه معين لا ينضب يصاحبه لطف وتواضع .

الطبيعة الانفعالية العقلانية

بقلم: د. حسين جمعة

يلاحظ المفكر الإيطالي المعروف **كروتشه** في كتابه (**المرشد في علم الجمال**) أن « **الفن يخبو في الفنان الذي يتحول من فنان إلى ناقد لذاته ، ويخبو كذلك في السامع أو المشاهد الذي ينتقل من التأمل المنبهر للفن إلى المشاهدة العميقة للحياة** » .

وهذا التوكيد مع أنه لا يأتلف والتمحيص العلمي الدقيق ، إلا أنه يكشف إلى أي مدى تسيطر **النظرة الذاتية إلى الإبداع الفني** على الأفئدة والعقول في مختلف العصور ، ويكشف أيضاً مدى أهمية **الجانب الانفعالي في الفن** .

يرى الحدسيون في الركون إلى العقل ، اشتراطية مزيفة تشوه وجه العالم والحياة الإنسانية ، وتفقد الناس ملامحهم وتكبح فرديتهم ، وهذا هو سر نظرتهم المبسطة إلى الإبداع الفني ، وخلو أبحاثهم من التعمق في جوهره . ومن هنا تتبدى ضرورة استقصاء الجانب الانفعالي للذات المبدعة ، وتداخل هذا الجانب بالجانب العقلي للإبداع الفني .

الإبداع عالم مذهل يختمر فيه الواقع ، ومن ضمن ذلك الفكر الإنساني ، في أشكال فريدة خاصة لا مثيل لها خارج نطاق الفن ، والفنان عندما يسعى إلى ابتداع نتاجه الفني يواجه **الواقع الموضوعي** الذي

الطبيعة الانفعالية العقلانية للإبداع الفني

يتعين عليه أن يتفحصه ويلم به، وهذا يحدد تفرد المهام التي تواجهه، ويولد البنى المميزة لذات الفنان. وقد نادى **بلزاك** بضرورة **الموازنة بين الانفعالات والعقل** في لحظة الإبداع: «عندما يتعين إنجاز القصد تحس في تلك اللحظة بقوة ما ـ أنها تعادل تمرد الأحاسيس على الموهبة».

ثمة جملة من المسائل السيكولوجية المرتبطة بعلم الجمال لم تطرح بعد بشكل علمي في الدراسات الجمالية العربية، مثل: النشاط الجمالي أو الحالة الجمالية، الحس الجمالي، المعاناة الجمالية، الوعي الجمالي وغير ذلك. وهذه القضايا تشكل على الأفهام لوعورة مسالكها، وصعوبة التصدي لها في غياب العلوم المساعدة لا سيما الفلسفة وعلم النفس.

الإنسان الفنان.. والإنسان المفكر

يميز **بافلوف** العالم النفساني الشهير بين «نوعين من الناس: الفنانين والمفكرين، ويرى أن هذين النوعين يتفاوتان تفاوتاً كبيراً وملحوظاً. النوع الأول ـ الفنانون ـ يتناول الواقع برمته، بشكل كامل وبدون أية تجزئة، وبدون أي عزل أو فصل. أما الآخر ـ المفكرون ـ فإن مهمته التجزئة.. ومن ثم وبالتدريج يبدأ في ضم هذه الأجزاء، ويحاول بعثها وإحياءها».

تشكل مسألة جوهر وبنية ووظائف الفعل الجمالي أهمية قصوى، ومرد ذلك إلى أن الفنان يدرك ـ ويعكس العالم تركيبياً ـ في تداخلاته العديدة، وتفاصيلاته الثرة، وفي صور فنية لها خصوصياتها المميزة. والتفكير الصوري (القائم على بناء الصور) ـ هو عكس الإنسان للعالم الموضوعي، وترابطاته الجمة، وعلاقات الإنسان المتداخلة بالواقع بشكل حسي ملموس ـ.

والصورة الفنية ليست تصويراً سطحياً لهذا الموضوع أو ذاك، أو إعادة صياغة لهذه الأحاسيس أو تلك، إنها إعادة صياغة للواقع، وإعادة تشكيله وتقييمه انفعالياً من قبل الفنان. ويقتضي التصوير في الفن الارتكاز على الانعكاس الانفعالي ـ العقلاني للواقع على ضوء مثال جمالي محدد.

والتفكير الصوري من سمات الإنسان ككل، وهو لا يتحول إلى تفكير فني إلا إذا أخضع لهدف معين: تجديد النتاج الفني. ومن هنا **ينبغي التمييز بين انفعال الإنسان العادي وانفعال الفنان**، وضرورة خروج الفنان على دائرة الإنسان العادي الضيقة لدى-إدراكه للعالم، لأن إلمامه بالواقع مشروط بابتداع الصورة الفنية، والتي تتسم بصدق الانفعال أثناء عكس وتصوير جوانب الواقع المهمة والحيوية.

ومن خصائص الذات الفنية التحكم بردود الفعل الانفعالية إزاء الواقع، والسيطرة على الانعكاس الانفعالي للواقع، أي أن الفنان الحقيق يبق انفعاله مشروطاً بالإلمام الجمالي والفني بالعالم، ولا يقوم عمله إلا إذا ارتفع فوق مستوى سطح الأشياء، وتجاوز ذلك إلى غربلة الواقع، وخلق جوانب مؤثرة فيه على شكل صور فنية مرتكزة إلى الإلمام العقلاني ـ الموضوعي بالعالم.

يعتمد انفعال الفنان على الوجد الفني والحدس والخيال، وهذا الانفعال مفعم بها جميعاً إلا أنه يحمل في طياته درجات عقلانية متفاوتة لانعكاس العالم من أفكار ومعارف ومعلومات.

الإبداع الفني

وتتبدى هذه **الاشتراطية العقلانية** لبنية الذات الفنية ـ الانفعالية بوضوح في الحتمية الاجتماعية للإبداع الفني، وفي رؤية الفنان المحددة، والقائمة ليس فقط على فهم عقلي معين للكون، وإنما تتعدى ذلك إلى الإحساس به أيضاً، ولهذا فإن **الإبداع الفني لا يتم إلا في ظروف تاريخية محددة، وفي بيئة اجتماعية معينة، ويكون الفنان غالباً وليد زمانه ومكانه، ومعبراً عن تطلعات أمته، وكشوفات طبقته الاجتماعية، وبالتالي فهو ضمير شعبه، ومنارة قومه لأنه يشارك مشاركة فعلية في حل جميع المعضلات التي تواجه الأمة، وتعترض مسيرتها المستمرة، وكثيراً ما يدفع دمه ثمناً لذلك**.

يلد الفن من جراء **الإدراك الانفعالي** للعالم، فقد يهتز الفنان ويقع في حالة وجد متحفزة لدى اصطدامه ببعض جوانب الواقع المثيرة؛ فيذرف الدمع مدراراً إذا شاهد منظراً كئيباً، أو تنسكب دموع الفرح إذا لاحظ مشهداً مبهجاً لم يكن متوقعاً، أو تتعالى ضحكته لإفراغ بهجته ومدى سروره، وتتمزق أنياط قلبه لحنينه المتقد إلى حبيبته أو وطنه؛ فيذوب وجداً واحتراقاً. **وعليه، فإن الإبداع الفني يعتمد اعتماداً أساسياً على العاطفة، على تلك الرعشة التي تنتج عن الاحتكاك بموضوع ما أو فكرة ما أو هدف ما**؛ فتملأ هذه العاطفة جميع جوانب شخصيته وتقلق راحته وتدفعه إلى الفعل، إلى التعبير عما يجول في نفسه ويعتمر في وجدانه، ويفرغ هذه العاطفة وهذا الوجد في صور فنية رائعة قد تسيطر على نفسيته، وتؤثر على فيزيولوجيته؛ فيتألم لآلام شخوصه، ويتعذب بعذابات أبطاله ويبتهج

لانتصاراتهم وإنجازاتهم .

الهزة الانفعالية .. أو المعاناة

وهذا يعني أن الهزة الانفعالية لا تتحول إلى فعل مؤثر ، ومن ثم إلى عمل إبداعي إلا إذا امتلك الفنان قدرة هائلة ، وقوة بالغة على معاناة ظواهر الواقع . **والمعاناة هي الحياة الداخلية الدينامية للذات ، ولأحاسيسها ونوازعها وميولها وأفكارها في تداخلها الوطيد ، وفي مسيرتها في نطاق الوعي واللاوعي .**

يرى **روبنشتين** العالم النفسي الشهير أن : « أي معاناة تختلف عن غيرها ، وتتحدد كمعاناة ما بفضل كونها معاناة لشيء ما . وتبرز طبيعتها الداخلية في علاقتها بما هو خارجي . إن استيعاب المعاناة هو دوماً إيضاح لعلاقتها الموضوعية بالمسببات التي أثارتها ، بالموضوعات الموجهة إليها هذه المعاناة ، وبالأفعال التي يمكن أن تحققها . فاستيعاب المعاناة يكون دائماً وحتمياً في مطابقتها بالعالم الخارجي والموضوعي وليس في تقوقعها في العالم الداخلي . يتعرف الإنسان على معاناته الخاصة ، ويعي ذلك من خلال علاقته بالعالم الخارجي فقط » .

وتتبدى في معاناة الإنسان جميع متطلباته العديدة ورغباته الحاشدة ودوافعه الانفعالية ـ الإرادية ، وعملية المعاناة لا تقتصر على ردود الفعل المتأتية من حصول الذات على معلومات ما فقط ، وإنما هي علاقة متفاصلة ، لعوامل كثيرة . والمعاناة الجمالية تبدع الأثر الفني الذي يلد نتيجة صقل وتحويل الواقع الموضوعي في وعي الفنان طبقاً لأهوائه الاجتماعية والطبقية ، ومن هنا تأتي أهمية العامل الذاتي في الإبداع الفني .

تختلف العاطفة المتولدة أثناء عملية الإبداع عن العاطفة النابعة من جراء ردود الفعل الفيزيونفسية ، لأن الأولى ذات طابع فني سام ، ولا تظهر إلا في شحنة انفعالية ، ولا تكون ردة فعل آلية ، وهي حالة ثابتة للشخصية بعكس الثانية التي تكون ومضة سريعة تدمر البنية الإرادية والعقلية للشخصية ، وكثيراً ما تفضي إلى الشرود أو حتى الشذوذ .

وتعمل جميع التيارات الشكلية والطبيعية في الفن الحداثي على مستوى هذا الشرود الجمالي النفسي ، وتسعى في كثير من الحالات إلى طرد اشعاعات الوعي إلى ما تحت الوعي ، وقد جاء في « **بيان السريالية** » أن « السريالية هي تلقائية محض .. إنها جبرية الفكر المتحرر من أي رقابة من جانب العقل ، ومن أي اعتبارات جمالية أو أخلاقية » .

حقاً ، إن بدايات الهزة الانفعالية لا تخضع للتفكير المنطقي السليم ، لأن هدف الفنان لا يكون واضحاً تماماً إذ تهيمن على الفنان ردود الفعل السريعة . وهذه المرحلة تكون مرحلة التغلب على عدم الوضوح ، والتحرك إلى الهدف المنشود ، ويتم هذا تدريجياً على مستوى العثور على الموضوع حدسياً ، وعن طريق جمع المادة الخام وغير ذلك . وأثناء هذا الجمع القائم على مستوى الحدس وما تحت الوعي تبقى جميع أعمال الفنان وأفعاله في ذروة الانفعال المتوتر الذي قد يصل عند البعض إلى درجة الهستيريا ، ولا يخرج الفنان من هذه الحالة إلا بفضل الخيال والتطهير ، ومن ثم يتسنى له الوصول إلى غايته وموضوع بحثه .

من بين المسائل التي لا زالت مثار نقاش وحوار مشكلة **الحدس واللاوعي في عملية الإبداع الفني** . والحدس شكل من أشكال المعرفة غير المباشرة وغير المبرهنة ، وهناك جملة من الاجتهادات حول طبيعة المعرفة الحدسية إلا أن أكثرها يتفق على أن هذه المعرفة تتم بدون سيطرة الفنان عليها ، وأنه لا يذكر الطريق التي أوصلته إلى هذه المعرفة ، ولا يتذكر سوى النتائج المترتبة على ذلك .

ويبدو أن إيضاح طبيعة الحدس وتحديد دوره في عملية الإبداع الفني لا يتمان بمعزل عن مراحل ظهور وتشكل وإنجاز القصد الفني ، وهذا يعني أن مشكلة الحدس يمكن حلها في نطاق كيفية تعامل الفنان والمادة الخام التي بين يديه وتجربته الحياتية السابقة ، ومدى انغماسه في عملية وعي العالم المحيط به . إن ازدياد فعالية المجال الحسي والوعي الحسي ـ الملموس للعالم يولد إمكانية ظهور الحل الحدسي للمهمة الإبداعية المطروحة أمام الفنان ، ويفضي إلى اندماج الفنان بوعي في العملية الإبداعية ، وفي حالة البحث الإبداعي واستيعاب الدلالة الاجتماعية للموضوع الذي يؤرقه .

ويأتي الحل الحدسي كتخفيف للأعباء النفسية الجسيمة ، مما يقرب موعد لحظة الهزة العميقة والفريدة . وعليه ، **فإن الحدس ليس تعبيراً ضيقاً عن عالم ما تحت الوعي ، وإنما هو تحكم الفنان بحواسه وانفعالاته وقدرته العجيبة على تسجيل أهم التغيرات في تطور الصورة الفنية على أساس التحرك من اللاوعي إلى الوعي** ، ويساعد التطهير الفنان على الخروج من دائرة العاطفة والحدس والتخلص من الهزة الانفعالية . والتطهير استيعاء وفعل ، وفي الأصل تخلص الجسم مما هو ضار ، والروح من العواطف المريضة أو الشريرة ، والتطهير يرتفع بالعواطف والحدس إلى مستوى الوعي الذي يقوم تصطدم فيه عواطف الشكل (**الحدس**) والمضمون (**الأفكار والصور**) ، ويبرز الخروج من المأزق على مستوى المعاني والتصور الكامل حول الدلالة الجمالية للصورة التي يراد ابتداعها .

دور التطهير

يرتبط التطهير برؤية الفنان الفلسفية والجمالية ، وبالدلالة الاجتماعية والتربوية لإبداعه ، **والتطهير ليس احتراقاً ذاتياً سريعاً فحسب ، وإنما هو حالة روحية ثابتة ومعقدة تصطدم فيه الأحاسيس بالفقد الجلل مع الإحساس بالعثور على قيم نمطية** . لذا ، فإن أي ظاهرة تبعث على المشاركة أو الخوف يؤدي كشف جوهرها حتماً إلى تطهير هذه الأحاسيس من شكلها اللاواعي والشذوذ الأولي ، ويضطر الإنسان إلى الإمعان بظواهر الحياة ، والارتقاء بذلك إلى استيعاء علاقته

الطبيعة الانفعالية العقلانية للإبداع الفني

بهذا التطهير. إن الاستيعاء المفاجئ لهذا كله هو الدافع إلى الفعل الإبداعي، بعد أن يتجاوز الفنان نرجسيته وحبه لذاته ويعيش مصالح أمته وقضاياها الاجتماعية السامية مما يفضي إلى ابتداع النتاج الفني. ويدل هذا على **الطابع الاجتماعي ـ المعرفي والجمالي للتطهير** لأن تصوير الوضع المأساوي يؤدي بالإنسان إلى الإحساس المفرح بقوته، وإمكانية التغلب على الخوف واليأس، ومن ثم التوصل إلى طرح **قضية اجتماعية** من منظور ما تخدم الإنسان والإنسانية. وهذه النقطة بالذات تميز التطهير عن الإلهام، الذي هو عبارة عن توتر شديد للقوى الروحية والفيزيائية للإنسان.

والخيال له دلالته

ويحتل الخيال دلالة كبرى في التطهير الجمالي والإبداع الفني، وفي الانتقال إلى مستوى المعاني والعقل. **والخيال هو التحام ما هو انفعالي وذهني، ما هو نفسي واجتماعي في الإبداع الفني.** لا يوجد فن بلا خيال، والخيال وسيلة حيوية من وسائل التقنية الأدبية المفضية إلى ابتداع الصورة الفنية، والذي بدونه لا يمكن عكس صدق وحقائق الحياة وثراء التداعيات وروعة المعمار الفني وقوة المفارقات، ويتم بواسطة الخيال تنقية وتهذيب الأحاسيس والتصورات والانطباعات السابقة إبداعياً في الذاكرة، والتي يتمخض عنها خلق الصورة الفنية، وهذه العملية توضح الطبيعة الانفعالية ـ العقلية للخيال.

الخيال مرتبط بالواقع وروح الزمن ونبض العصر حتى في أقصى أشكال الفن الرمزية ـ الاشتراطية، والتي يبدو وكأن خيال الفنان المعزول عن الواقع قد صنعها، وهذا يدل دلالة أكيدة على اتصال الخيال باتجاهات الحياة الاجتماعية، وعلى أن خيال الفنان الحقيقي يساعد الإنسان على تفهم مغزى العصر واستشراف المستقبل.

إن الفن الأصيل يشمل الحياة الإنسانية برمتها، لذا فهو وعي وإبداع، وهو رابطة انفعالية بين الأفراد ووعي اجتماعي فعال. والفنان عندما يريد ابتداع الصورة الفنية أو النتاج الفني يسعى إلى التغلب على ردود الفعل الانفعالية للذات، ويحاول تجاوز ظواهر الواقع إلى الولوج إلى الأعماق وكشف جميع الجوانب المهمة والعميقة فيه على مستوى التفكير العقلي. إن إيضاح طبيعة الصورة الفنية، وكشف بنيتها الداخلية والولوج إلى جوهرها المكنون تظهر إلى أي مدى يتغلغل الفنان في الواقع ويعكسه ضمن مفاهيم معينة.

التفكير العقلي.. والتداعي

ولعل أهم سمة من سمات انعكاس العالم بشكل عقلي في الإبداع وفي التفكير الفني هي التداعي. والتداعي في الفن ذو أهمية بالغة، وهو مشكلة جمالية ذات شأن كبير، لأنه يشكل ثلاثة أرباع عظمة الإبداع ـ حسب رأي **ستندال**. ودور التداعي في عملية الإبداع الفني مهم جداً، لأن التداعي شكل متميز من أشكال التصوير الفني، وهو حلقة ضرورية في سلسلة أية عملية فكرية لأن التصورات والمفاهيم التي تنبع في الوعي تثير إما بالتشابه أو التنافر عدداً آخر من التصورات أو المفاهيم، أو سلسلة منها جميعاً، وهذا يعتمد اعتماداً أساسياً على قدرات الفنان، ومدى موهبته وأصالة خياله ودقة ملاحظته وسعة مشاهداته، ومدى معرفته واطلاعه على الواقع الذي يعيش فيه والبيئة الاجتماعية التي تحيط به، ومثل هذا التداعي لا يتحقق للفنان إلا على المستوى العقلي.

والشكل الفريد للانعكاس العقلي للعالم من قبل الفنان فيتبدى في استعارية تفكيره. والاستعارة ضرب من المجاز، وهي استخدام المفهوم في غير معناه لتحديد ظاهرة ما، أو موضوع ما عن طريق العثور على مدى التشابه أو التباين في بعض الجوانب بين المعنى المعجمي والمعنى الجديد. وتحتوي **الصورة الاستعارية** على مضمون مفهومي محدد، وتكون الاستعارة عادة متعددة الدلالة، كما يكون التفكير الاستعاري عميق الأغوار وبعيداً عن السطحية؛ مما يؤكد على أن هذا التفكير لا يمكن إلا أن يكون قائماً على العقل.

وأبرز ما يتجلى التفكير العقلي في رؤية الفنان للعالم، أي على مستوى الحتمية الاجتماعية للإبداع الفني. **ورؤية العالم هي جملة الأفكار التي تعكس تنوع هذا العالم، وهي جماع الأفكار الفلسفية والجمالية والسياسية والدينية والأخلاقية للفنان، كما أنها تشكل روحي ذو طابع أيديولوجي فكري، وأنها نتاج التفكير التجريدي**. والفنان الذي يمتلك رؤية علمية للكون يستطيع عكس وتصوير العالم الموضوعي المتغير جدلياً في تجلياته المادية ـ الروحية العديدة، أي إبراز علاقته الشخصية بالكون والحياة. والصورة الفنية هي اقتحام الواقع وعالم الفنان الفريد والوحيد.

ومن هنا نجد أن بنية الذات الفنية هي نسق متكامل يحتوي على عناصر عقلية وانفعالية محتومة بظروف تاريخية محددة، وبيئة اجتماعية معينة، وأن الفنان الأصيل ليس صانع مبدعات جديدة فحسب، وإنما هو محوّل ومغيّر للواقع نفسه.

وهنا يكمن سر مطالبة **بريخت** بضرورة توجه الفن إلى الفكر، والتحرر من هيمنة الأحاسيس العمياء، ودعوته إلى تدفق الفكر النابع من حياة الأحاسيس الحقيقية: «لا تنافر بين العقل والحس إلا في أذهان الناس غير الواعين. إن أحاسيسنا بحاجة ماسة إلى عمل العقل الدؤوب والمضني لأن العقل يعظم الأحاسيس».

شخصية المعوق

يحتل الجانب النفسي من العون الطبي ، حيزاً هاماً في البرامج العلاجية ، على الرغم من وجود من ينكر أهمية هذا الجانب في الحالات المرضية الخطيرة . ولا نجانب الصواب إذا قلنا بتطبيق هذا المبدأ العلاجي سواء على صعيد الممارسة العامة أو الاختصاصية . ويكتسب هذا الجانب أهمية كبيرة في سياق العجز والإعاقة ، حيث إن القيود ، والإحباطات ، والمعوقات المفروضة على المريض ، تُصعِّد من قيمة وحجم العون السيكولوجي المقدم له .

ولما كانت الإعاقة الاجتماعية التي تنجم عن العجز والإعاقة من أكثر المنغصات ثقلاً وإيلاماً على المريض ، فإن درجة ما يعانيه هذا الأخير ، تعتمد على مظاهر عجزه وإعاقته وعلى الخطة المطبقة للتغلب عليها . وتقرر هذه الخطة بدورها بالاعتماد على شخصية العاجز أو المعوق ، أكثر من اعتمادها على أي شيء آخر . وما الشخصية إلا نتاج لتفاعل موهبة الشخص الطبيعية أو استعداده الفطري ، مع المحيط الذي يعيش فيه . وبطبيعة الحال يتأثر نتاج هذا التفاعل إلى درجة بعيدة بالجو العائلي الذي يعيشه الفرد وما يقدمه له من معطيات . وفي إعادة التأهيل ، فإنه من المهم أن نعرف نوعية الشخص الذي نتعامل معه ، أكثر من معرفتنا لنوعية الداء الذي يعاني منه . وفي رأينا فإن **اجتماع المعرفة الجيدة لكل من العنصرين السابقين أي شخصية المريض وطبيعة إعاقته تُشكل أساساً متيناً للحصول على أفضل النتائج .**



يقلم : د . زهير عبدالوهاب

وارتكاساتها تجاه العجز والإعاقة

طبيعة العجز والإعاقة

جاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية ، أن زهاء (٤٠٠) **مليون عاجز** يعيش على سطح المعمورة . ويعتبر نقص التغذية من أبرز الأسباب المؤدية للعجز في مناطق العالم الثالث وخصوصاً منه ما يتعلق بالعمى والسلعة . وفي **البلدان الصناعية المتطورة** ذات الانخفاض الواضح في معدلات الولادة ، نلاحظ زيادة مضطردة في نسبة الشيوخ . وربما كانت هذه الظاهرة من المشكلات العالمية وحصيلة لمجموعة من الظروف التي فرزتها المدنية الحديثة . **فعدد الشيوخ حالياً (وعلى المستوى العالمي) يبلغ ضعف ما هو عليه الحال في الجيل الماضي** . وهذا يعني من المنظور الطبي زيادة في حدثية الأمراض الاستحالية التي يعاني منها هذا الفصيل الإنساني . وربما كان التزايد المستمر في أمراض الشيخوخة ، كالحوادث الوعائية ، والضلاع ، والقصور القلبي التنفسي ، والعته الشيخي خير دليل على ما ذهبنا إليه . وبديهي أن نلاحظ أيضاً زيادة في الاختلاطات الناجمة عن أمراض الشيخوخة كعدم القدرة على استمساك البول والغائط ، وتقرحات الفراش ، والتقلصات العضلية ، والقيود الحركية ، والعزلة الاجتماعية ، والميل للانتحار والتواكل على الآخرين .

لقد تبين من الدراسة التي قام بها **العالم (هارس)** أن نسبة العجز في المملكة المتحدة، تبلغ حوالي ٢٪ من مجموع الأهلين، ويمثل ثلثي هذه النسبة أفراد جاوزوا الخامسة والستين من العمر، ويمثل الثلث الآخر أفراد جاوزوا الخامسة والسبعين من العمر. ويبدو واضحاً أن الأمراض الاستحالية تحتل مكان الصدارة في قائمة الأسباب المؤدية للعجز. بينما تقع الأدواء نظيرة الرثوية، والتصلب اللويحي المنتشر في مقدمة الأسباب المؤدية للعجز في أواسط العمر. ويبدو أن الشلل النصفي والرضوض، ونقص التخلق الولادي من أبرز الأسباب المؤدية للعجز والإعاقة في الأعمار المبكرة.

والحقيقة أن الإعاقة الحركية تمثل أكثر أشكال العجز شيوعاً، وهي ليست تالية دوماً لاضطرابات مركزية واضحة، بل ربما كان السبب خفياً في زهاء ربع الحالات. فالقصور التنفسي والدوراني يمكن أن يكون سبباً في نشوء هذه الإعاقة، ومن البديهي أن النقص الحسي في القدرة السمعية أو البصرية، يقود إلى عجز في إمكانية الفرد على الاتصال، وإلى درجة من العجز أقل في قدرته على الحركة. كما أن الاضطرابات المترافقة بفقد السيطرة الإرادية على إخلاء السبيلين، تفرض مشقة وعناء كبيرين ليس على المريض فحسب، بل على من يرافقه ويتولى العناية به أيضاً. ومثل هؤلاء المرضى العاجزين، يرفض المجازفة في التحرك والتنقل بعيداً عن عقر داره، ومن هذه الزاوية يصنف هذا المريض مجازاً على أنه معوق أيضاً من الناحية الحركية. ولهذه الصعوبات والمشقات التي يعاني منها المريض، جذورها المرتبطة بمجموعة مختلفة من الاضطرابات العضوية والعملية، ويقتضي التخلص منها تسليط الضوء على شخصية العاجز وسبر مكنوناتها.

كيف نقيم شخصية العاجز أو المعوق؟

كل ما هو مطلوب لتقييم شخصية العاجز أو المعوق ومعرفة عناصرها الأساسية، هو الإلمام ببعض الحقائق البسيطة وربما أيضاً مقدار ضئيل أو نوع من الحدس والقدرة على السبر. فقد يكون المظهر الذي يوحي به العاجز مضللاً إلى حد كبير، وليس إلا انعكاساً للمحيط الذي يعيش فيه. بيد أنه من أول التساؤلات التي توجه بهدف تحديد هوية المريض، هو السؤال عن نوعية العلاقة القائمة بين العاجز وما يحيط به، ومعرفة فيما إذا كانت علاقة العاجز من أقربائه وأصدقائه وجيرانه ثابتة ومدعومة وتبادلية.

والآن **ما أنماط المزاج الذي يمارسه المرء عادة تحت ظروف المحنة أو الشدة التي يمر بها؟** وفي صدد الإجابة على هذا السؤال نقول: إن القلق في مواقف الخوف يعتبر رد فعل طبيعي، ولكنه عند البعض قد يتجاوز الحدود الطبيعية من التحمل حتى في أقل المواقف مدعاة للخوف، معطياً بذلك واحد أو أكثر من أعراض القلق وعلاماته الفيزيولوجية منها أو السيكولوجية. وعلى سبيل الذكر لا الحصر يقع تحت عنوان أعراض وعلامات القلق الفيزيولوجية كل من التشنجات العضلية، والرجفانات، والتعرق، وجفاف الفم، وخفقانات القلب، وارتفاع التوتر الشرياني.. بينما يقع تحت عنوان أعراض وعلامات القلق النفسية كل من الشعور بالخوف والفزع، نقص التركيز والانتباه، التململ والهمود، الأرق، الاضطرابات الإدراكية الحسية كعدم الشعور بالشخصية مثلاً.. فالشعور بالبؤس والضياع أو اللامبالاة كرد فعل لشعور المرء بالفقد الحقيقي أو التصويري يمكن أن يحدث إلى درجة متقدمة في سياق العجز والإعاقة. وعلى نحو مشابه، فإن الحقد والمشاعر العدوانية أو الغضب يمكن أن يحصل عند العاجز كرد فعل للضيق والإحباط الخفيفا الشدة، وبشكل يفوق ما هو متوقع من ردود فعل لهذه الدرجة الخفيفة من الضيق والإحباط.

الصفات الأخرى التي تساهم في تركيب شخصية المعوق

هناك عدد من الصفات يمكن أن تتصف بها شخصية العاجز والمعوق، **كالهستيريا مثلاً أو الهواجس المقلقة**، بيد أن أبرزها جميعاً وأكثرها ارتباطاً بالعجز والإعاقة، هي تلك الصفات التي تشير إلى تواكل العاجز واعتماده على الآخرين. ويمكن الكشف على هذه الصفات إذا قمنا بمحاولة لسبر اهتمامات المريض والوجهة التي تتجه إليها هذه الاهتمامات. وكيفما وقعت هذه الاهتمامات سواء في الاتجاه المهني، أو الاجتماعي، أو الإبداعي، فهي إنما تعني الاختيار الشخصي الذي ينهجه الإنسان لاغتنام فرصته من الحياة من خلال قدرته البدنية والعقلية.

ولا ينبغي أن يغيب عن الذهن أن عادات المريض وطريقة حياته، يمكن أن تساهم في تعميق عجزه وإعاقته. حيث إن رغبة المريض للتخفيف عن نفسه عن طريق تعاطيه الكحول، أو ميله إلى السمنة نتيجة لقابليته المتزايدة على الطعام، أو نتيجة لخموله وركوده، يمكن أن تكون وثيقة الصلة بالإعاقة وتحصيل حاصل لها. كما أن تجاوز المريض لعتبة التحمل فيما يتعلق بالألم والأرق، قد يدعوه للاغتراف من المهدئات والمنومات ومن غير ما هوادة، ولا يخفى ما لهذه العقاقير من تأثير سلبي على عضوية المريض وصفائه النفسي. وبكلمات أخرى، فإنه من المفيد أن ترسم صورة لسلوك المريض، واهتماماته، وعاداته قبل حدوث الإعاقة والعجز. ومظاهر الشخصية هذه سوف تكون دليلاً مفيداً في تفسير التفاعلات التي يبديها المريض بعد عجزه وإعاقته.

ونحن نقيم شخصية العاجز، لا توجد حاجة ملحة لسبر أغوار اللاشعور عند المريض، وإذا كان هذا اللاشعور معروفاً سابقاً أي قبل حدوث العجز والإعاقة، فإنه سوف لن يبقى ثابتاً أو موجوداً بعد ذلك. وما نحتاج إليه من معلومات فيما يتعلق بشخصية المريض يمكن أن نستحصل عليها من المريض نفسه، أو من أي شيء آخر يعرف المريض

حق المعرفة . كما أن المعلومات حول عائلة المريض ووضعيتها الاجتماعية ، لها أهمية غير قليلة في ترشيد الخطة العلاجية ، واختيار أنجع وسائل العون الطبي . وكما يمكن أن يلاحظ ، فإن عملية تقييم الشخصية ، ليست مسألة إتاحة وقت كبير لدراسة هذه الشخصية من كل جوانبها ، بل هي مجرد استعراض سريع لهذه الشخصية وتحديد رؤية واضحة المعالم لها .

الشدة الناجمة عن العجز أو الإعاقة

يستجيب الأفراد للشدة بأشكال مختلفة من ردود الفعل . فعند البعض يلاحظ زيادة في النشاط الفيزيولوجي في واحد أو أكثر من الأجهزة ، بينما عند البعض الآخر يلاحظ تفوق في الاضطرابات العصبية . كما أن درجة أو حجم رد الفعل يتفاوت إلى حد كبير . ويتفاقم العجز عند بعض المرضى بسبب التأثيرات السلبية التي تحملها ردود الفعل هذه . وتأخذ هذه التأثيرات شكل تزايد في نشاط أعصاب غاما المنطلقة من **الجملة العصبية المركزية** ، أو شكل لهاث وتزايد في عدد الحركات التنفسية ، ونقص في ثاني أوكسيد الكربون كالبلازما والذي يؤدي بدوره إلى التقلص العضلي . مثل هذه التغيرات يمكن أن تُذكر كأعراض مزعجة ، وتُعالج خطأ على أساس أنها ظواهر لأمراض عضوية ، فعلى سبيل المثال ، يمكن أن تلتبس خفقانات القلب النفسية بخناق الصدر ، أو يمكن أن تلتبس التقلصات العضلية بالشلول الصلبة . فمعرفة المرضى الذين يبدون أضطرابات عصبية سهلة نسبياً ، ويصبح في مقدورنا معرفة مثل هؤلاء المرضى عندما نستحصل على المعلومات الضرورية المتعلقة بهم .

ويوجد الآن طرائق جيدة لمسح مثل هؤلاء المرضى ، تماماً كما هو الحال في المسح المطبق في الممارسة العامة . وتتفاقم عادة الصفات الشخصية للعاجز خلال نوب الإثارة المفرطة التي يتعرض لها ، معطية بذلك أو مصعِّدة من اضطرابات المزاج كالقلق والغضب والإحباط . ونفس الكلام ينطبق على علاقات العاجز بما يحيط به ، حيث تمر هذه العلاقات خلال نوب الإثارة المفرطة بصورة مخالفة جداً للوضع السوي . وربما ظهر العاجز وهو منافر تماماً للأصول والذوق المتعارف عليهما ، وذلك بسبب الصفات الهستيرية أو الهاجسية التي تعتريه . وهؤلاء المرضى الذين تتغلب عليهم الأفكار الهاجسية ، يُضجرون ما حولهم إلى حد لا يطاق ، وهم يجترون ويعيدون الحديث حول أي تغير مهما كان ضئيلاً في حالتهم الصحية ، ثم يعيدون الكرة في سرد كل نقطة بشرح طويل مضجر . ويجب أن يكون الطبيب محتاطاً لمثل هذه الأفكار الهاجسية التي تلم بمريضه ، وأن لا يقف كثيراً على الشكاوى الجسمية التي يبديها مثل هؤلاء المرضى .

ومن الواضح أن طبيعة بعض الإعاقات يمكن أن تكون مدعاة للشدة إلى حد كبير ، ونوب من الإثارة المفرطة يمكن أن تظهر بين حين وآخر في سياق هذه الإعاقات . **فالتشنجات العضلية ، والرجفان ، والضجر ، وعدم تناغم الحركات العضلية** يمكن أن تعرقل أو تقف حائلاً في وجه المريض الذي يصبو إلى المشي ثانية ولو بالاستعانة بطرف اصطناعي . ونفس الكلام يمكن أن يقال عن نقص التركيز والذهول وفقد الذاكرة الملاحظ في سياق نوب الإثارة هذه .

وهناك دليل واضح أن الفقد الوظيفي في واحد أو أكثر من الأعضاء كالذي يحدث بعد البتر مثلاً ، يعطي مشاعر شبيهة لتلك التي تتولد بعد فقد شيء أو شخص محبوب . مثل هذه المشاعر تقع في دائرة الحزن والأسى العميقين ، وكما هو الحال في المشاعر المتولدة بعد الفقد عن طريق الموت ، فإنها سرعان ما تزول ، وتتحول في حالات قليلة فقط إلى حالة من الهمود . وقديماً قال **أبو قراط** في هذا المعنى : « **الملانخوليا حصيلة حتمية للحزن والخوف الطويلا الأمد** » . قول كله حكمة ، وحري بفصيل العاجزين أن يضعه نصب عينيه .

وليس من المستغرب أن يعاني العاجز من **التعب** . ويمكن أن يكون هذا التعب نتيجة للعوامل النفسية والجسمية التي تفرزها الشخصية غير السوية كما ورد فيما سبق من سطور . كما أن **زيادة النشاط العضلي** الذي يبديه المريض في سياق المعالجة الفيزيائية ، وكذلك **الأرق** ، وربما التأثيرات المتبقية من تناول العقاقير المهدئة طيلة النهار كل هذه العوامل يمكن أن تتشارك في إحداث التعب عند المريض . وفي العجز المزمن فإن الشدة التي يمر بها المريض ، والتي تطفو على السطح بين حين وآخر ، يمكن أن تؤثر على العاجزين حتى ولو كانت شخصيتهم من النوع القوي المقاوم .

ولعل خير مثال على ذلك المريض العاجز بسبب التهاب المفاصل المتعمم ، أو بسبب التهاب الكولون المزمن ، وكلتا الإعاقتين تؤثر على العاجز مهما كانت المميزات الشخصية التي يتمتع بها عالية وقوية ، حتى أن المريض أخيراً يذعن ويستسلم لإعاقته ويعتبرها أمراً واقعاً لا مناص للهروب منه أو مقاومته .

ويمكن أن يتخذ العاجز استراتيجية أو خطة معينة للتغلب على شدته ، وبعض المرضى المصابين بإعاقات شديدة ينحو منحى غير ملائم . فالكبت أو نكران الذات يمكن أن يجسد **الآلية السيكوديناميكية** التي تحدث عند بعض العاجزين ، الذين يتظاهرون بالابتسام والارتياح ، بينما تحيق بهم المشكلات المحزنة من كل حدب وصوب . وبعض العاجزين يرفض المساعدة وذلك بسبب مشاعر الخوف التي يحملها ، وبعضهم الآخر يعتمد كلياً على العون الذي تقدمه المعاهد المختصة ، ويُبدي مقاومة كبيرة لمحاولة إخراجهم من المعهد المختص ، وهذا ليس غريباً إذا تصورنا أن الحل البديل لخروج المريض من هذا المعهد ، هو العيش وحيداً في وضع لا يستطيع التأقلم فيه . وقد يتراجع سلوك بعض العاجزين إلى السلوك الطفلي .

ومهما كانت طبيعة الإعاقة أو العجز ، فإن علاقة وثيقة تبدو أنها موجودة ما بين التأثيرات المباشرة لهذه الإعاقة ، والتأثيرات التي تنجم عن طبيعة الإعاقة المحزنة التي تجعل المريض دوماً تحت ظل شدة نفسية حادة . ويجب على الطبيب أن يدرس بحذر العناصر المشاركة نسبياً في إحداث الحزن ، وذلك بهدف تحديد التدابير الطبية المناسب اتخاذها .

احتياجات العاجز والمعوق

معظم احتياجات المعوقين والعاجزين ، تحمل مضموناً عملياً ، وتختلف قليلاً عن احتياجات المرضى القادرين ، ولكن هذا لا يعني أن تؤخذ هذه الاحتياجات على علاتها . والشخصية التي يتحلى بها العاجز ليست إلا مشعراً أو مُقرراً للدرجة التي يستطيع فيها المثابرة في التغلب على المشكلات التي تحيق بقدرته على التحرك وممارسة الحياة الطبيعية . ولكن يجب أن لا ننسى أن بعض الأمور اليومية (قضاء الحاجة مثلاً) ليست دائماً ميسورة عند العاجزين الذين يستخدمون الكرسي المتحرك مثلاً ، والذين لا يملكون القدرة على التخلص من الفضلات بالشكل الذي اعتادوا عليه قبل حصول الإعاقة . وعلى هذا الأساس فإن درجة معينة من الإحباط، توافق العاجز ، حتى ولو كانت شخصيته من النوع القوي المقاوم .

وفي الحقيقة ، فإنه في حال تمكن العاجز من التخلص من فضلاته على نحو سهل ، وأمكن إيجاد الحل المناسب لهذه المشكلة اليومية ، فإنه يمكن تجنب حدوث عدم الاستمساك أو عدم القدرة على ضبط السبيلين عند المريض ، وإذا لم يكن هذا ممكناً فإن ثياباً خاصة يزود بها المريض بين حين وآخر ، بهدف منع الإحراجات التي تنتاب المريض من هذه الزاوية بالذات . وهذا الإجراء لا يريح المريض ومن يعتني به فحسب ، ولكنه يقلل أيضاً من احتمال حصول الانتانات البولية وقرحات الفراش عند المريض . هذا وإن اعتماد العاجز على استخدام بعض الأشخاص بهدف مساعدته ، سوف يكون قليل الفعالية إذا قيس بالاستخدام لدى المرضى القادرين ، وسوف يضيف تكاليف ثانوية تُثقل كاهل العاجز ومن يعوله . وفي بعض الحالات ، فإن المساعدة داخل المنزل قد يلجأ إليها لأهداف خاصة كمساعدة المريض مثلاً في ارتداء ملابسه ، أو في تنظيف الشراشف والبياضات التي يستعملها وغيرها من الأمور اليومية الأخرى . وهنا أيضاً تتدخل الخصائص الشخصية والثقافية للمريض في تقرير احتياجاته على نحو دقيق . هذا وإن التغييرات داخل المنزل فيما يتعلق بتوزيع الأثاث والغرف ، سوف تكون مهمة لافساح المجال للكرسي المتحرك الذي يستعمله العاجز للتحرك بحرية أكثر . وأكثر من ذلك كله ، فإن انتباهاً ثابتاً يجب أن يركز على الغذاء والتمارين ، بهدف عدم إعطاء الفرصة للعاجز لزيادة وزنه وما يرافق ذلك من مضاعفات .

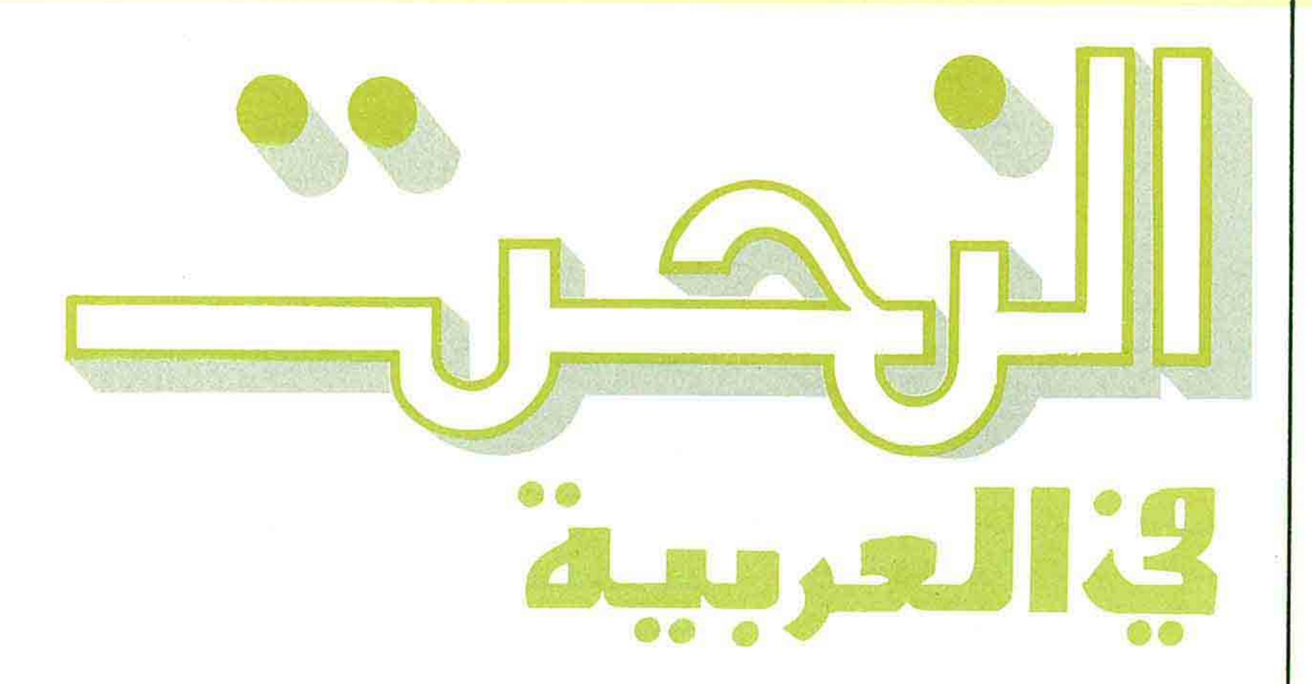
إن امتداد العون المقدم للمريض يجب أن يغطي ليس فقط الأمور المادية المحسوسة ، وإنما يتعداه إلى تلبية الاحتياجات الاجتماعية للعاجز أو المعوق . فالأشخاص العاجزون يعانون دائماً من العزلة ، وتأثير هذه العزلة على نفسية العاجز تختلف باختلاف شخصيته . فالعزلة مدعاة لكآبة العاجز ، كما أن عدم تلبية احتياجاته الجنسية مدعاة للإحباط والشدة ، خصوصاً عندما تكون الدوافع الجنسية غير متأثرة بأي اضطراب .

إن الهدف من إعادة تأهيل المريض هو لمنع الاختلاطات ، كما أن الهدف من البرامج العلاجية هو تجنب التدهور الصحي عند المريض . فالمرضى الذين لا تظهر على أجسادهم علامات الانكماش العضلي ، أو قرحات الفراش ، والذين ينامون بما فيه الكفاية ، والذين لا يبدون سمنة أو تعباً ، يشكلون فريقاً سهلاً من حيث المعالجة والتأهيل ، بالنسبة للطاقم الطبي أو التمريضي الذي يقوم على خدمتهم . وكلما كانت الاضطرابات الشخصية غائبة ، فإن العون الطبي والتأهيلي سوف يعطي نتائجه في كل درجة من درجات العجز والإعاقة .

وهناك جانب آخر من العون المقدم للمريض ينبغي أن يُوجه لاستئصال تأثيرات الفقر ، والسأم والعزلة الاجتماعية التي يعاني منها المريض . ويجب أن يُمنع العاجز من الشكوى الدائمة ومن الاعتماد الكلي على الآخرين . وفي نفس الوقت ينبغي أن لا تلبى كل احتياجاته ونزواته ، حيث إن هذه التلبية يمكن أن ينجم عنها فقد كبير في شخصيته . ويجب على الطبيب أن يبذل أقاصي جهده لتشجيع اعتماد المريض على نفسه وإلغاء أي نوع من أنواع الاعتماد على الآخرين . ومن الواضح أن اضطرابات المزاج المزعجة كالقلق والهمود والعدوانية ، كثيرة المصادفة في سياق العجز والإعاقة ، ويجب أن توجه لها معالجة آنية نوعية .

والحق أن تأمين البيئة المناسبة للعاجز ، يجب أن يؤخذ بجدية ، وأن يوضع في قائمة الأولويات . كما أن العلاقات الطيبة بين طاقم المعالجة والأقارب والأصدقاء من جهة وبين العاجز أو المعوق من جهة أخرى ، يجب أن تكون على أكمل صورة . ومن العبث أن نفسر إخراج المريض المبكر من المعهد المختص ليس إلا رفضاً لهذا المريض . وانطلاقاً من نفس الفكرة نقول : إن استمرار بقاء المريض في المعهد أو في المستشفى يمكن أن يلغي إمكانية اعتماده على نفسه بالمستقبل ، ويجب أن لا ندخل العواطف الشخصية فيما يتعلق بموضوع بقاء المريض . هذا وإن القرارات المتعلقة بالتوقيت الزمني لايقاف الخدمات المقدمة للمريض ، تعتبر من أصعب القرارات وأكثرها إرباكاً للطبيب .

وبعد : فحري بنا أن نتذكر دوماً أن هذه الفئة التعيسة من الناس ، والتي أصابها سهم القدر وحل بها ما حل من كرب ومحنة ، ليست إلا بشراً مثلنا ، لها من النوازع والرغبات ما لا يزيد عنا ولا ينقص ، وما أصابها من بؤس وضر ليس ببعيد أن نصاب بمثله ، فهذه سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنّة الله تبديلاً .



النحت في العربية

إعداد . عبدالكريم مجاهد

هو في اللغة « النشر والقشر ، يقال نحت النجار الخشب ونحت الجبل قطعه »[1] ، وقد أخذه اللغويون وأطلقوه على العملية اللغوية التي يتم فيها تركيب كلمة بانتزاع حروفها من كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما انتزعت منه ، وذلك لشبه هذا النزع بنحت الخشب وقطع الحجارة ، وهو ضرب من الاشتقاق له أكثر من جذر حتى أن بعضهم يسميه الاشتقاق الكُبَّار : ولكنه ليس اشتقاقاً تصريفياً ، بمعنى أن أقيسة التصريف لا تجيز اشتقاق كلمة من كلمتين فأكثر . إذ ليس له ضابط ولا قاعدة تحتكم إليها ، وأول من ذكره بهذا المعنى هو الخليل بن أحمد حيث جاء في العين بعد أن أورد أمثلة عليه : « أخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فصلاً »[2] .

وقد اختلف اللغويون في قياسيته ، فابن فارس يرى أنه قياسي حتى يرى أن الرباعي والخماسي في اللغة منحوتان حيث يقول : « اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ما تراه منحوت والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم **حيعل** الرجل إذا قال حيَّ على . . فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي[3] . ويكرر الرأي نفسه في الصاحبي في فقه اللغة حيث يقول : « ومذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضِبَطْر من ضبط أو ضبر ، والصِلْدَم من الصلد والصدم »[4] . وكذلك **ابن مالك** يجيز قياسيته لأن حاول أن يضع له قاعدة للقياس عليها وذلك بناء على ما أورده **السيوطي** : « قال ابن مالك في التسهيل : قد ينبني من جزأي المركب فعلل بفاء كل منهما وعينه ، فإن اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول »[5] . ولكن **أبا حيان** في شرح التسهيل يخالف ابن مالك قائلاً « وهذا الحكم لا يطرد وإنما يقال منه ما قالته العرب »[6] فهو يقف عند السماع أو بالأحرى عند المسموع عن العرب ولا يجيز القياس عليه ، ويؤيده في ذلك **الشمني** .

اختلاف الآراء

وهكذا يظل بين أخذ ورد وقياس وسماع بين اللغويين والنحاة وتحت ضغط الحاجة ومسايرة للتطور الحضاري ومجاراة للعصر ومكتشفاته وأسوة بلغات أخرى « تجدد البحث أخيراً حول إباحته أو منعه ، فرأى رجال الطب والصيدلة والعلوم الكيماوية والحيوانية والنباتية في إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعدهم عند ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية ، تلك المصطلحات التي يغلب عليها عند الفرنجة التركيب من

كلمتين ممتزجتين مختصرتين أو أكثر على طريقة تشبه النحت العربي ، فلو ترجمت الكلمتان أو الكلمات ترجمة حرفية بغير اختصار لنشأ من ذلك اصطلاح عربي طويل مركب من كلمتين ثقيلتين أو أكثر . أما إذا تناولهما بالترجمة أولا ثم بالنحت على الطريقة العربية فإننا نصل إلى اصطلاح عربي خفيف »[٧] . **فالأستاذ عباس حسن** يرى أن المنهج السليم في تعريب المصطلحات ليس في الاعتماد على ترجمتها حرفياً وإدماجها في اللغة وذلك لثقلها ، وإنما نترجمها ثم ننحت من الكلمات المترجمة مصطلحاً مقبولا خفيفاً على السمع وعلى اللسان .

ويبدو أن الأستاذ عباس حسن يرد في اقتراحه هذا على رأي سابق أدلى به **الأمير مصطفى الشهابي** في مجمع اللغة العربية تعليقاً على البحث الذي ألقاه **د . رمسيس جرجس** عن النحت إذ يقول الشهابي : « رأيي أنه لا سبيل إلى إيجاد قواعد عامة للنحت يمكن تطبيقها في كل الحالات ، وعندي أن كلمتين عربيتين نقرهما في مقابلة المصطلح الإفرنجي أفضل من أن نوردهما في كلمة واحدة منحوتة مبهمة الدلالة ، فمثلاً المصطلح مستقيات الأجنحة الذي يقابل Athopte'aes أفضل من كلمة « مسجنيات » المنحوتة . ولا يضيرنا مطلقاً تأدية المصطلح الإفرنجي بكلمتين عربيتين لهما دلالتها الواضحة وخفتها على اللسان . فالأساس الذي نبتغيه دائماً في إقرارنا للمصطلحات هو الوضوح والخفة ليقبلها الجمهور ولا تمجها الآذان »[٨] .

إذن فالأساس عندهما في قبول المصطلح هو وضوحه وخفته على اللسان ولكن لكل منهما طريقة إلى ذلك ، فقد رأينا الأستاذ عباس حسن يرى في الترجمة الحرفية ثقلاً والنحت يكون من الكلمات العربية المترجمة عن المصطلح الأجنبي ، ويرفض أخذ الترجمة بحذافيرها لثقلها بعكس الشهابي الذي يرى أنه لا ضير في تأدية المصطلح الأجنبي بكلمتين عربيتين بشرط أن نتحرى في اختيارهما الوضوح والخفة ، ولا يجيز النحت إلا في تحفظ وعند الضرورة القصوى بقوله : « لا نلجأ للنحت إلا عند الضرورة القصوى ، وعلى شرط أن تكون الكلمة مستساغة وعلى أوزان اللغة العربية المألوفة »[٩] ، وكأنه يضع حدوداً وشروطاً ثلاثة للاقتراب منه :

أولها : عدم اللجوء إليه إلا عند الضرورة الملحة ، يعني إذا ضاقت السبل ولم نجد مفراً من اللجوء إليه .

وثانيها : يضع شرط الاستساغة للكلمات المنحوتة ولكنه لم يضع حداً وتعريفاً لهذه الاستساغة .

وثالثها : أن يكون على وزن من أبنية اللغة العربية شرط أن يكون هذا الوزن مألوفاً أي ليس مهجوراً أو مهملاً .

والدكتور محمود حجازي على ما يبدو يقف رأيه في زاوية أكثر ميلاً لرأي الأستاذ عباس حسن حيث يقول : « ولقد اقترح البعض تكوين أبنية صرفية من عناصر عربية للتعبير عن المصطلحات الحديثة »[١٠] ولكنه لم يبيّن من هم هؤلاء البعض الذين اقترحوا هذا الأمر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يبيّن إن كانت العناصر العربية التي سيتكون منها البناء مترجمة عن مصطلح أجنبي وهذا ما أرجحه ، أو نصطلح على عناصر عربية أو حروف عربية نضمها كي تعبر عن المصطلح الحديث .

وأما د . جرجس فيجمع بين رأيي الشهابي وعباس حسن ويحصر النحت في العلوم قائلاً : « فإما أن نعرب وإما أن ننحت من المصطلحات الوصفية كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها . . . ولا نطالب بالتضحية بحلاوة الجرس ولا باستعمال النحت في الأدب والموسيقى والفنون ، بل نشدد في حصره في العلوم كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضة »[١١] .

وتحت إلحاح الحاجة وضغط الظروف المستجدة يضطر **مجمع اللغة العربية في القاهرة** لإصدار قراره المتحفظ في النحت ونصه : « النحت ظاهرة لغوية أخذ بها قديماً وحديثاً وقد وردت منه كثرة تجيز قياسيته فينحت عند الحاجة من كلمتين أو أكثر على أن يستعمل الحرف الأصلي دون الزائد ، وأن يلتزم الوزن العربي إذا كان المنحوت اسماً ، وأن تضاف ياء النسب إن كان وصفاً نحو **عبشمسي** في عبد شمس ، وأن يقتصر على فعلل وتفعلل إن كان فعلاً إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك »[١٢] .

فالمجمع يجيزه في تحفظ ويضع له الحدود والأوزان التي تضيق الخناق على التصرف ، ويختمون القرار بجملة « إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك » وللأسف لم يضعوا للضرورة حداً ! وهذه الضرورة في رأيي هي التي تفك القيود ، وتتحلل من الشروط ، وتجعل القرار ليس أكثر من حبر على ورق ، لأن الناطقين باللغة لن يتقيدوا بالمعايير التي وضعها المجمع ، وإنما سيطلقون ألسنتهم تنطق دون مراعاة لهذه الوصاية ، وهذا أمر طبيعي ، أقول هذا لأن نظرة إلى اللغات الهندوأوروبية كالإنجليزية مثلاً ، لا نجدها قد قيدت الناطقين بها بطريقة وحيدة في اختيارهم لمصطلحاتهم حتى أصبح النحت هو الطريقة الشائعة المألوفة في توليد الألفاظ ، وقد أفادت كثيراً في التعبير عن مظاهر المدنية الحديثة والمخترعات الجديدة ، وما تستلزمه من مصطلحات علمية ، فلم تضع حدوداً ولا قيوداً في توليد الألفاظ ، فمثلاً كلمة نايلون Nylon قد أخذت حروفها من ضم حروف من عدة كلمات إلى بعضها البعض فهي مأخوذة عشوائياً من : Now ye Old Nippon وقد لا يكون لهذه الجملة أي معنى حين نُطق بها وأخذت الحروف وركب منها المصطلح ، وكذلك كلمة Television التي لم تستقر لها ترجمة في العربية فهي مأخوذة من لصق كلمتي Tele ، و Vision الواحدة إلى الأخرى . وكذلك الأمر في Telephone ، و Geography و Biology وهي على الترتيب من Tele و Phone ، ومن geo و graphy ومن Bio و logy . وهناك طرق أخرى مثل Branch التي تتكون عناصرها من حروف من كلمتي Lunch و Breakfast بأخذ أول حرفين من Breakfast وأبعاد الحرف الأول من

كلمة Lunch وأخذ باقي حروفها وقد حدث عكس هذا تماماً في كلمة Smog لتدل على الضباب المختلط بالدخان في لندن حيث أخذت من كلمة Smoke ثلاثة حروف من أولها ، وأخذت الحرف الأخير فقط من كلمة Pog وكل ذلك يطلقون عليه المزج Contamination ، وأحياناً في « عملية المزج هذه يحدث أن تتغير الحروف وأن ينقص منها فكلمة Double الإنجليزية والفرنسية من Duoplex أي ضعفين »[١٣] فأخذت كلمة Dou كلها وتغيرت P إلى b وحذف الحرف X . ويعرّفون المزج بأنه « وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلطة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق المزج بينهما . أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين وجامعة لمعنييهما Portmanteau Word »[١٤] .

ويبدو ألا جامع بين هذه الكلمات المنحوتة عندهم سوى المزج بأي طريقة كانت . وهكذا بعد استعمال الجمهور لها وسريانها على الألسنة تسجل في معاجمهم ضمن مفردات اللغة ، كما حدث في **معجم وبستر الدولي الجديد** Websters New International Dictionary الذي سجل « الألفاظ المستعملة في الحديث المهذب العام ، سواء كان ذلك فصيحاً أم عامياً »[١٥] . وكذلك فإن « **مستدركات معجم اكسفورد** يشارك في تصنيفها ملايين الناطقين بالإنجليزية من شتى أنحاء المعمورة »[١٦] . وهذا ما حدث بالضبط للألفاظ العربية المنحوتة وغيرها التي وردتنا عن العرب ، وقد نطق بها العربي دون أن يكون هناك من يقنن له فمثلاً شَقَحْطب من « شق وحطب » ولا فرق بينها وبين Television فهي مثلها مكونة من ضم كلمتين ، وكذلك صلْدم من صلد وصدم فهي تماثل تماماً الكلمة الإنجليزية Flush المأخوذة عناصرها من Flash و Blush فالحرفان الأوليان هما أول حرفين من Flash والحرف الأخير من كلمة Blush . كذلك صلدم أول حرفين من صلد والحرفان الأخيران منها هما الحرفان الأخيران من صدم .

وفي رأيي أن العربي أكثر ميلاً إلى الاختصار وأوسع تصرفاً واستغلالا لإمكانات لغته ، فهو يكتفي بكلمة حوقل عن قول جملة « لا حول ولا قوة إلا بالله » فقد اختصر جملة بحالها في كلمة واحدة تؤدي معناها .

وغني عن القول أنه لا العربي في جاهليته ولا الإنجليزي في مدنيته قد نطقا على أساس من الضوابط وأسس من التقعيد ، فاللغة تجري على السنة أصحابها بما يسهل عليها بشكل عفوي ، رافضة الوصاية على حركتها . وإلا كيف نفسر تراكم المصطلحات على صفحات أدبيات المجامع اللغوية العربية ، وما أكثرها ، دون أن تجد من ينفض الغبار عنها ويبعث الحياة فيها ؟! ولكن هذا لا يمنع مجامعنا وعلماءنا من المتابعة والتسجيل والتفسير والتصنيف والتأصيل لما يجري على الألسنة في الساحات العربية ، لتصبح مهمتهم وصفية أكثر منها معيارية .

محاولة وضع منهج

أشرنا سابقاً إلى أن ابن مالك في التسهيل حاول وضع الأسس التي تتبع في بناء المنحوتات وما قرار المجمع إلا استكمالا لهذه الخطوة **ولكن د . رمسيس جرجس**[١٧] **بعد استقراء للطرق التي اتبعها العرب في النحت قام بمحاولة وضع منهج بقواعد تفصيلية لبناء المنحوتات وهذه القواعد هي :**

● **أولا** : أجازوا الأخذ من كل الكلمات أو من بعضها مثل : « **جعفل** » من جعلت فداك . وعند النحت من كلمتين أولها ثلاثية تدخل الكلمة الأولى بتمامها في أغلب الأحيان ، وتكمل صيغة فعلل من الثانية مثل « **بسمل** » من بسم الله ، وشذ « سمعل » من السلام عليكم ، و « **جعفد** » من جعلت فداك . ومن هذين المثلين يتضح أنهم كانوا لا يشترطون حفظ الكلمة الأولى بتمامها خلافاً لما ذهب إليه البعض . وحذفوا أداة التعريف من أول الكلمة ولامها إذا كانت حرف علة وكذلك ضمير المتكلم المتصل يحذف في مثل حسبي الله ـــ حسبل .

● **ثانياً** : يلاحظ اعتبار الحروف الأصلية ما عدا ذلك فهو شاذ مثل : « **طبلق** » وقياسها « طلبق » من أطال الله بقاءك وحوقل قياسها حولق .

● **ثالثاً** : لا يشترط التزام الحركات والسكنات الأصلية : سبحل من سبحان الله .

● **رابعاً** : يصاغ وزن فعلل بتكرير المقطع الأول : بأبأ من بأبي أنت وأمي .

وهذه القواعد هي أقرب ما تكون إلى الملاحظات التي لا يمكن أن يطلق عليها أو أن تأخذ طابع المنهج لأنه يكاد أن تكون كل كلمة نموذجاً منفرداً له قانون نحته الخاص به مما يجعل من العسير وضع الضوابط لأن ما يشذ عن كل ضابط دون مبالغة أكثر مما هو مندرج تحته .

لقد احتج من منع قياسيته النحت بقلة الوارد منه ولكن هذه الدعوى ينقضها ما ذكره **ابن فارس** من « أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت » وقد أوردنا هذا النص ولكننا نجد نصاً له أكثر جرأة في **الصاحبي** حيث يقول : « وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت »[١٨] فهو يقرر أن هذا منهجه ليس فقط في الرباعي والخماسي ، وإنما في كل ما زاد عن ثلاثة أحرف . ويجد قوله هذا صدى وتأييداً لدى **الأستاذ عبد القادر المغربي** بقوله : « يمكن إرجاع معظم الكلمات الرباعية والخماسية إلى كلمتين ثلاثيتين بسهولة ولاحظت أن تكون تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بطريقة النحت المذكورة أو بما نسميه الاشتقاق النحتي فمثل دحرج منحوت من دحره فجرى ، وهرول

من هرب وولى وبحثر من بحث وأثار»[19] . ويبدو أن الحق إلى جانبها حيث أورد **السيوطي**[20] أن كتاب «تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب» **للظهير الفارسي** في عشرين ورقة، مما يدل على كثرة ما جاء منه عن العرب.

تصنيف المنحوتات العربية

وبناء على ما تقدم من كلام ابن فارس والمغربي نستطيع أن نصنف المنحوتات العربية من حيث بنيتها وعدد حروفها إلى :

(١) **رباعي** : مثل قصلب (القوي الصلب)، وصلدم (الشديد الحافر) على وزن فعلل أو فعلل.

( ) **خماسي** : الصهصلق (شديد الأصوات)، وفرزدق.

(٣) **سداسي** : مثل البلهجيم (أي من بني الهجيم).

(٤) **سباعي** : مثل البلخبيثة أي من بني الخبيثة.

وهذه الأوزان تفتح الباب واسعاً لأن نقيس عليها، خاصة وأن المصطلحات بطبيعتها تحتاج لاستيعاب المعنى إلى حروف عديدة.

وطبعاً اشتقت العرب أو بالأحرى نحتت على مثال هذه الأوزان أفعالا نحو : بسمل من بسم الله، وكذلك حوقل وحمدل وبأبأ. ونحتت أسماء مثل جلمود من جلد وجمد. وشَقَحْطب من شِقِّ حطب «وهو الكبش الذي له قرنان». ونحتت أيضاً صفات مثل صلدم وضبطر للرجل الشديد.

ونحتت من المضاف والمضاف إليه نسبة وهو ما يسميه المغربي في الاشتقاق والتعريب بالنحت النسبي مثل عبشمي من عبد شمس، وطبرخزي نسبة إلى طبرستان وخوارزم.

ونحتت أيضاً الحروف كقول الخليل : أن لن منتزعة من «لا» و «أن» وأنها تضمنت بعد نحتها معنى لم يكن لأصلها. وكذلك نحت هلم من هل وأم أو من هاء التنبيه ولم.

وهناك تقسيم آخر حديث للمنحوتات يميل إليه المستشرقون في مقال له بعنوان «النحت قديماً وحديثاً» يقول **المستشرق الروسي كيفورك ميناجيسان :**

«إن توليد كلمات جديدة عن طريق النحت له جذور بعيدة في تاريخ تطور البنيان المورفولوجي للغة العربية الفصحى. ونحن نقسم النحت إلى نوعين : تركيب نحتي وتركيب مزجي»[21] . وتقسيمه هذا ينصب على المنحوتات حديثاً ولا شأن للمنحوتات قديماً بهذا التقسيم. والنحتي والمزجي هما نتيجة لاستخلاص كلمة واحدة من أكثر من أصل، ويختلفان فقط في طريقة الاستخلاص «فالنحتي هو استخلاص كلمة من كلمتين أو أكثر باقتطاف بعض الأجزاء (قد يكون حرفاً أو أكثر أو ربما مقطعاً) نحو : كهرمغنطيس. والتركيب المزجي يتم عن طريق ضم كلمتين بحيث تستعمل متجاورتين في كلمة واحدة ويكون المعنى مستخلصاً من مجموع المعنيين اللذين دل عليهما الأصلان الملازمان كل منهما على حدة نحو جمالوجيا»[22] والثاني منهما ليس أكثر من ضم أو لصق لأصلين يخرج من معنييهما المعنى المقصود.

الهوامش

(١) اللسان مادة «نحت».

(٢) العين : باب العين مع الحاء، ١/٦٧ ـ ٦٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون : ١/٣٢٨، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٩ هـ.

(٤) أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة : المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م : ص ٢٢٧.

(٥) المزهر : تحقيق محمد جاد المولى وزميليه، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي : ١/٤٨٥.

(٦) من بحث د. رمسيس جرجس بعنوان «النحت» مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ١٣، ص ٦٣.

(٧) عباس حسن : اللغة والنحو : دار المعارف بمصر، ١٩٦٦ م : ص ٢٤٧.

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية، العدد : ١٣، ص ٧٧.

(٩) المرجع السابق : ص ٧٨.

(١٠) اللغة العربية عبر القرون : ص ٩٦، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٨ م.

(١١) مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ١٣، ص ٦٢.

(١٢) المرجع السابق : ص ٢٥١.

(١٣) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية : مراجعة وتحقيق د. مراد كامل، دار الهلال.

(١٤) أولمان : دور الكلمة في اللغة : ترجمة د. كمال بشر، ط ٢، ١٩٦٢ م : ص ١٤٣.

(١٥) د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم : مطبوعات جامعة الرياض، رقم ١٩، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م، ص ١٦٤.

(١٦) د. صفاء خلوصي : من مقال له بعنوان «دار المعاجم بأكسفورد» في مجلة العربي، العدد ٢٤٦، الكويت جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م، ص ١٠٤.

(١٧) مجلة مجمع اللغة العربية : العدد ١٣، القاهرة، ١٩٦١ م، ص ٦٣ ـ ٦٥.

(١٨) الصاحبي في فقه اللغة : ص ٢٢٧.

(١٩) الاشتقاق والتعريب : ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م، ص ١٥.

(٢٠) المزهر ١/٤٨٢.

(٢١) مجلة «اللسان العربي» الجزء الأول، المجلد التاسع : ص ١٦٢.

(٢٢) المرجع السابق : ص ١٦٤.



بين شاعرين

هلدرلين ● خليل مطران

● أنشودة المساء

للشاعر الألماني **فريدريش هلدرلين** الذي ولد عام ١٧٧٠ م، وتوفي عام ١٨٤٣ م، وتأثر بشخصية **شيللر** وشعره الفلسفي، فكتب **قصائده الغنائية** التي وجهها إلى المثل الإنسانية كالحقيقة والحرية والجمال والصداقة والحب والشباب والجسارة، كما كان صديقاً حمياً **للفيلسوف الشهير هيجل**، وكذلك **للفيلسوف شيلنج**، واستطاع هلدرلين أن يشترك معهما في حركة الجيل الألماني الشاب، الذي راح ينادي بالمثالية في الفكر والشعر والحياة الأدبية بوجه عام، وبأن الأدب والفكر هما الروضة الوحيدة المزدهرة وسط صحراء البؤس والظلم والظلام.

ولقد استطاع هلدرلين أن يصور تجربته الشخصية والشعرية في عدد من **دواوين الشعر**، وعدد من **المسرحيات الشعرية**، حتى استطاع أن يجعل من نفسه واحداً من أعظم الشعراء في كل اللغات وكل العصور، وقد تحمس له الأدباء والنقاد من مختلف المدارس والاتجاهات، ابتداءً من **الرومانطيقيين** الذين أساءوا فهمه وتصوروا أن مأساة حياته وعذابه تجعله واحداً منهم، حتى «**هيدجر**» فيلسوف الوجود الذي أسرف في حبه، واستخرج من أشعاره ما يؤيد فلسفته وسماه «**شاعر الشعر**» والمعبر عن ماهيته وحقيقته.

وتعد «**أنشودة المساء**» واحدة من أشهر وأروع قصائده، تعبِّر عن أسلوب شعري جديد، ولغة شعرية جديدة، وتقف على الحافة بين قمة نضجه وهاوية عذابه، وتتجسد فيها معاني الألم التي عاناها في الحب وفي الحياة، حيث المساء واختفاء النور، والشتاء وحلول البرد، والصمت ذلك اللحن البليغ.

● المساء

للشاعر **خليل مطران** الذي ولد عام ١٨٧٢ م، وتوفي عام ١٩٤٩ م، **ولقب بشاعر القطرين لأنه ولد ونشأ في لبنان**، وقضى معظم حياته **في مصر**، ومات بها، وكان قد درس العربية على **الشيخ إبراهيم اليازجي**، وأتقن **الفرنسية** اتقاناً تاماً، وكان حلقة الصلة بين مدرسة الإحياء التي بدأها **محمود سامي البارودي** في أواخر القرن التاسع عشر، وبين الاتجاهات الشعرية الحديثة في فترة ما بين الحربين العالميتين، فقد كان أكثر من قرينيه **شوقي وحافظ**، تحرراً من قوالب الشعر القديم، وكان التعبير عن وجدانه كما صرح في مقدمة ديوانه ١٩٠٨ – ١٩١٠ م، هو أهم ما يعنيه، وتظهر وحدة القصيدة في شعره بشكل واضح، ويبدو أنه تأثر بالثقافة الفرنسية في شعره القصصي، الذي طوع به هذا الفن للأدب العربي الحديث.

ولعلنا نستطيع أن نجد مثلاً رائعاً لهذا التعبير الوجداني الذي يشكل عند مطران، لا ضرباً من المحاكاة الجمالية، ولكنه محك للوجدان، والامتزاج بالطبيعة والتجاوب معها، والانفعال بها، وخلع وجدانه على الأشياء، على نحو ما قال **بودلير**: «إن الأشياء تفكر من خلالي، كما أفكر من خلالها» وذلك **في قصيدة «المساء»**، التي أنشدها الشاعر في صدر شبابه عام ١٩٠٢ م، **وهو مريض بالإسكندرية**، فكانت بحق أنشودة من أناشيد المساء:

قصيدة ○ قصيدة

أنشودة المساء

ويلي . . أين أعثر على الأزهار
حين يأتي المساء
والشتاء
وأين أجد نور الشمس
وظلال الأرض ؟
الجدران تقف صامتة باردة
وفي الريح ترفرف الأعلام .

★ ★ ★

أيها الحب السماوي !
أيها الجنون !
ليتني استطعت أن أنساك ،
ليتني يا نبات القدر
يا أيتها الناريات الغارقات
في الرماد والتراب .
وكنتن قديماً . .
مقفرات موحشات .

★ ★ ★

ليتني أنساك
أيتها الجزر الحبيبة
يا عيون دنيا العجائب
فقد أصبحت الآن . .
همي الوحيد الفريد
وكذلك شواطئك
التي يُكفّر فيها الحب عن خطاياه
لكنه لا يكفر عنها إلا للمساوين .

★ ★ ★

لأن المباركين والأبطال
قد أدوا هناك فروض الولاء
في أيام الجهال
وكانوا جميعاً
من الحامدين الشاكرين
والأشجار الكثيرة
والمدن
كانت ماثلة في ذلك المكان .

★ ★ ★

تراها العين
أشبه برجل عاكف على التفكير
أما الآن فقد مات الأبطال
وجزر الحب تشوهت أو كادت
لذلك لا عجب . .
أن يصبح الحب
خداعاً وسخفاً في كل مكان .

★ ★ ★

أيتها الدموع الرقيقة
لا تطفئي نور عيني
كل الإطفاء
أبقي لي أيتها الخوانة المتلصصة
ذكرى واحدة تحيا بعدي
حتى أموت ميتة نبيلة .
في ذات مساء .



ترجمة : د . عبد الغفار مكاوي من كتاب (هلدرلين) «نوابغ الفكر الغربي»

المساء

داء ألم حسبت فيه شفائي
من صبوتي فتضاعفت برحائي
إني أقمت على التعلة بالمنى
في غربة قالوا تكون دوائي
إن يشف هذا الجسم طيب هوائها
أيلطف النيران طيب هواء
أو يمسك الحوباء حسن مقامها
هل مسكة في البعد للحوباء
عبث طوافي في البلاد وعلة
في علة منفاي لاستشفاء
متفرد بصبابتي متفرد
بكآبتي متفرد بعنائي
شاك إلى البحر اضطراب خواطري
فيجيبني برياحه الهوجاء



ثاو على صخر أصم وليت لي
قلباً كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي
ويفتها كالسقم في أعضائي
والبحر خفاق الجواب ضائق
كمداً كصدري ساعة الإمساء
تغشى البرية كدرة وكأنها
صعدت إلى عيني من أحشائي
والأفق معتكر قريح جفنه
يغضي على الغمرات والأقذاء
يا للغروب وما به من عبرة
للمستهام وعبرة للرائي
أوليس نزعة للنهار وصرعة
للشمس بين جنازة الأضواء
أوليس طمساً لليقين ومبعثاً
للشك بين غلائل الظلماء
أوليس محواً للوجود إلى مدى
وإبادة لمعالم الأشياء
حتى يكون النور تجديداً لها
ويكون شبه البعث عود ذكاء
ولقد ذكرتك والنهار مودع
والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطري تبدو تجاه نواظري
كلمى كدامية السحاب إزائي
والدمع من جفني يسيل مشعشعاً
بسنى الشعاع الغارب المترائي
والشمس في شفق يسيل نضاره
فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدراً
وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكأن آخر دمعة للكون قد
مزجت بآخر أدمعي لرثائي
وكأنني آنست يومي زائلاً
فرأيت في المرآة كيف مسائي

«ديوان مطران»

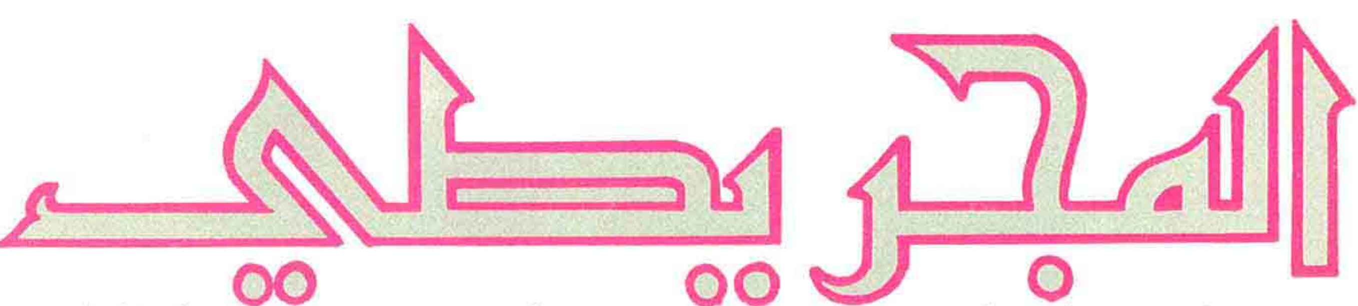
إمام علماء المغرب

عاش **أبو القاسم مسلمة بن أحمد المرجيط المعروف بالمجريطي** فيما بين ٣٣٨ـ٣٩٨ هجرية (الموافق ٩٥٠ـ١٠٠٧ ميلادية)، **ولقب بالمجريطي لأنه ولد في مجريط** (مدريد عاصمة إسبانيا اليوم) بالأندلس، ولكنه انتقل إلى **قرطبة** حيث توفي هناك.

كان المجريطي يحب الأسفار حول العالم بحثاً عن كبار العلماء، للنقاش معهم والمداولة في آخر ما توصل إليه من أبحاث في الرياضيات وعلم الفلك. فسافر إلى **بلاد المشرق**، واتصل بعلماء العرب والمسلمين هناك الذين كانوا روّاد الفكر والمعرفة، ثم رجع إلى قرطبة **وبنى مدرسة** تتلمذ فيها عليه كثير من كبار علماء الرياضيات والفلك والطب والفلسفة والكيمياء والحيوان. **وكانت مدرسة المجريطي في قرطبة عبارة عن معهد علمي يضم العلوم البحتة والتطبيقية** (على غرار الجامعات التكنولوجية الحديثة).

بقلم: د. علي عبدالله الدفاع

في العلوم التطبيقية



يعتبر أبو القاسم المجريطي من نوابغ علماء العرب والمسلمين في الأندلس إذ كان موسوعة زمانه في جميع فروع المعرفة. يقول **ديفيد يوجين سمث** في كتابه (**تاريخ الرياضيات**): «إن أبا القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، الذي توفي عام ١٠٠٧ ميلادية، كان مغرماً بالأعداد المتحابة، ومشهوراً في تفوقه على غيره من علماء العرب والمسلمين في الأندلس بعلمي الفلك والهندسة».

وأضاف **سيد حسين نصر** في كتابه (**العلوم والحضارة في الإسلام**) قائلاً: «عرف المجريطي عند الأوروبيين بأنه أول من علّق على الخريطة الفلكية لبطليموس **ورسائل إخوان الصفا**، والجداول الفلكية **لمحمد بن موسى الخوارزمي** من علماء العرب والمسلمين في الأندلس. كان له شهرة عظيمة في الرياضيات والفلك، إضافة إلى ما ناله من احترام وتقدير لمجهوداته الجيدة في علم الكيمياء».

ويذكر **الدكتور عمر فروخ** في كتابه (**تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**) أن المجريطي أنجب تلاميذ كثيرين، أنشأ بعضهم مدارس علمية في جميع أنحاء الدولة الإسلامية في **المغرب العربي** بما فيها الأندلس، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ **أبو القاسم الغرناطي**[1]، **وأبو بكر الكرماني**[2] وغيرهما كثير. ويقول **خير الدين الزركلي** في موسوعته (**الأعلام**): «مسلمة بن أحمد بن قاسم ابن عبدالله المجريطي، **كان إمام الرياضيين بالأندلس، وأوسعهم إحاطة بعلم الفلك وحركات النجوم**[3]». أما **عمر رضا كحالة** فأضاف في كتابه (**العلوم البحتة في العصور الإسلامية**): أن المجريطي هو أول من لمع من علماء العرب والمسلمين في الأندلس في الرياضيات والفلك، ويحق له أن يدعى إمام الرياضيين في الأندلس في وقته، حيث إنه اهتم بعلم الفلك وبرصد الكواكب، **وشغف بدراسة كتاب المجسطي لبطليموس**.

أما **جورج سارتون** فيقول في كتابه **(المدخل إلى تاريخ العلوم)** : « إن أبا القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي نال شهرة عظيمة بتحريره لزيج الخوارزمي وإضافاته البناءة له ، وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ الهجري ، ووضع أوساط الكواكب لأول تاريخ الهجرة وزيادته فيه لجداول جديدة » .

وللمجريطي رسالة عن **الأسطرلاب** ترجمها إلى اللغة اللاتينية **جون هسبا لينسيس** ، وكذلك تعليق على إنتاج بطليموس ترجمه إلى اللغة اللاتينية **رودلف أوف برجس** في أوائل القرن العشرين (الميلادي) ، **وكتاب الحساب التجاري** . وقد عرف المجريطي علماء الأندلس بإنتاج إخوان الصفا ، كما أنه اهتم بموضوعات أخرى مثل الكيمياء ، فكتب كتابين في هذا الحقل صارا مرجعين لعلماء الشرق والغرب وهما **(رتبة الحكيم ، وغاية الحكيم)** . والجدير بالذكر أن كتاب غاية الحكيم في الكيمياء ترجم بأمر من **الملك الفونسو** إلى اللغة اللاتينية وذلك عام ١٢٥٢ ميلادية وتحت عنوان (Picatrix) . ويذكر **نفيس أحمد** في كتابه **(الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي)** : أن المجريطي قام بعمل مختصر لجداول **البتاني** الفلكية ، فصار هذا المختصر مرجعاً لعلماء الفلك إضافة إلى كتبه في ثمار علم العدد وتعديل الكواكب والعمل في الأسطرلاب .

علاقته بإنتاج علماء اليونان

عندما درس المجريطي إنتاج علماء اليونان في حقل الرياضيات ، وجد نفسه ملزماً بالتعليق عليها ثم التأليف في هذا المجال ، فكان بهذا من علماء العرب والمسلمين الذين طوروا نظريات الأعداد وهندسة **أقليدس** . ثم كتب كتاباً في الحساب التجاري الذي صار متداولا في جميع أنحاء العالم .

يذكر **فلورين كاجوري** في كتابه **(تاريخ الرياضيات)** : أن أبا القاسم المجريطي نبغ في نظريات الأعداد ، ولا سيما فيما يتعلق بالأعداد المتحابة ، وله مؤلفات قيمة في علمي الحساب والهندسة . أما **القاضي صاعد الأندلسي** فيذكر في كتابه **(طبقات الأمم)** : أن أبا القاسم المجريطي صنّف كتاباً رائعاً يبحث في الحساب التجاري والمعروف آنذاك بحساب المعاملات . **وبقيت نظريات المجريطي في الرياضيات تدرس في جميع جامعات الغرب والشرق على السواء** .

لقد امتاز أبو القاسم المجريطي بالدقة وقوة الملاحظة بين علماء عصره ، لذا يرى أن المتخصص في فرع من فروع العلوم التطبيقية كالكيمياء مثلاً يلزمه الإلمام التام بالرياضيات ، لأن الرياضيات بطبيعتها تعتمد على التفكير المنطقي والاستنتاجات الدقيقة . فيقول عمر رضا كحالة في كتابه **(العلوم البحتة في العصور الإسلامية)** : « ومن الذين اشتغلوا بالكيمياء بالإضافة إلى عمله بالرياضيات والفلك ، أحمد بن مسلمة المجريطي المتوفي سنة ٣٩٨ هجرية (١٠٠٧ ميلادية) ، وله في الكيمياء أعمال طيبة تدل على مبلغ عنايته بالأمور العلمية وتضلعه فيها .

ومن الآراء التي تؤثر عنه أنه يرى وجوباً على من يريد الاشتغال بالكيمياء أن يلم أولا بالرياضيات والعلوم ، حتى يقف على أصولها ويدرب يديه على الأشغال العلمية ، وبصره على قوة الملاحظة ، وعقله على التفكير في العمليات والمواد الكيميائية » .

في حقل الكيمياء

ويعتبر مؤرخو العلوم المجريطي من علماء العرب والمسلمين البارزين في علم الفلك . والواقع أن المجريطي برز أيضاً في علوم الكيمياء والحيوان والرياضيات وغيرها من العلوم الأخرى . فأما في حقل الكيمياء فيذكر **عبد الحميد أحمد** في مقالة له بعنوان **(أثر الحضارة الإسلامية)** نشرت في مجلة **الجمعية المصرية لتاريخ العلوم** : « أن أبا القاسم المجريطي يوضح في كتابه (رتبة الحكيم) تطور الكيمياء عند علماء العرب والمسلمين ، ويبرز فيه تجربته المشهورة على **الزئبق** ، حيث أخذ ربع رطل من الزئبق ووضعه في زجاجة داخل إناء آخر ووضع الكل فوق نار هادئة مدة أربعين يوماً ، وكان يلاحظ من وقت لآخر ما يطرأ على الزئبق من تغير ، فوجده يتحول في النهاية إلى مسحوق أحمر ، وذلك نتيجة تفاعل الزئبق مع الأكسجين **(أكسيد الزئبق)** » .

هذا يؤكد أن المجريطي كان يتوقع تغيراً بالوزن ، لذا كان لديه علم كاف بالتفاعلات الكيماوية . ويعد كتاب (رتبة الحكيم) عند مؤرخي العلوم من أهم المصادر التي يمكن الاستفادة منها في بحوث تاريخ الكيمياء . واعتمد **العلامة عبد الرحمن بن خلدون** على إنتاج المجريطي في حقل الكيمياء في بعض موضوعات مقدمته . ويظهر من المراجع التي استخدمها ابن خلدون أنه استند على كتابي (رتبة الحكيم) و (وغاية الحكيم) .

تجاربه

يقول عمر رضا كحالة في كتابه **(العلوم البحتة في العصور الإسلامية)** :

« وقد التفت مؤلف رتبة الحكيم (أبو القاسم المجريطي) إلى ناحية هامة من نواحي العمليات الكيميائية ، وهي ملاحظة ما يطرأ على أوزان المواد الكيميائية التحليلية ، ولو أنه وفق إلى أن التجربة في حيز محدود من الهواء ، مع مراعاة التحوط للأمور التي أشير إليها ، لكان من المؤكد أن يحصل على النتيجة التي حصل عليها **(لا فوازيه)** بعده بنحو ستمائة سنة ، وكانت من الأسباب القوية الرئيسية في شهرته العلمية » .

أما **جابر الشكري** فيحاول أن يصف التجربة كما تصورها المجريطي في كتابه **(الكيمياء عند العرب)** :

« لقد وصف المجريطي تجربة أجراها بنفسه ، واتخذها **بريستلي ولا فوازيه** أساساً للبحث بعد قرون عدة من إجرائها . وتتلخص هذه التجربة بما يأتي :

« أخذت الزئبق الرجاج الخالي من الشوائب ، ووضعته في قارورة زجاجية على شكل بيضة وأدخلتها في وعاء يشبه أواني الطهي ، (أشعلت تحته ناراً هادئة بعد أن غطيته ، وتركته يسخن أربعين يوماً وليلة مع مراعاة ألا تزيد الحرارة على الحد الذي أستطيع معه أن أضع يدي على الوعاء الخارجي) ، وبعد ذلك لاحظت أن الزئبق الذي كان وزنه في الأصل ربع رطل صار جميعه مسحوقاً أحمر ناعم الملمس ، وأن وزنه لم يتغير في هذه التجربة . يجب أن يزيد وزن الزئبق نتيجة لتفاعله مع الأوكسجين : **زئبق + أوكسجين ← أوكسيد الزئبق الأحمر** » .

ولكن يظهر أن قسماً من الزئبق قد تبخر وربما بطريق الدفاة . كان وزن هذا الجزء المتبخر يساوي وزن الأوكسجين الداخل في التفاعل . ولو استطاع المجريطي ضبط التجربة وأدرك ذلك ، لكانت من أروع التجارب الكيمياوية . ولكن مع ذلك فإنه وضع أسس الاتحاد الكيمياوي واستفاد (بريستلي) وغيره من الباحثين في إظهار حقيقة كيمياوية كان المجريطي قد وضع قواعدها قبلهم بقرون عدة » .

إن كتاب (غاية الحكيم) للمجريطي لا يستغني عنه باحث في تاريخ الحضارة الإسلامية خلال القرون الوسطى ، فهو لا يحتوي تاريخ الكيمياء فقط ، بل كثيراً من الاستنتاجات العلمية التي توصلت إليها الأمم السابقة للأمة العربية الإسلامية في كل من الكيمياء والفلك والرياضيات وعلم الحيل والتاريخ الطبيعي .

يقول كل من **حميد موراني وعبد الحليم منتصر** في كتابهما **(قراءات في تاريخ العلوم عند العرب)** :

« وقد عني المجريطي بتتبع تاريخ الحضارات القديمة ومكتشفات وجهود الأمم القديمة في تقدم العمران والحضارة ، وله بحوث في علم الفلك والرياضيات والكيمياء ، وعلم الحيل والتاريخ الطبيعي ، وتأثير المنشأ والبيئة على الكائنات ، وعقد عدة فصول للبحث في مملكة المواليد الثلاثة من نبات وحيوان ومعادن » .

علم الحيوان

أما دور علم الحيوان فكان أبو القاسم المجريطي من علماء العرب والمسلمين الذين أولوا عناية كبيرة لهذا الحقل ، وقد قدم عمر رضا كحالة في كتابه **(العلوم البحتة في العصور الإسلامية)** موجزاً عن انجازات المجريطي في هذا المجال بقوله : « وخص مسلمة بن أحمد المجريطي (المتوفى سنة ٣٩٨ هجرية) فصلاً في تكوين الحيوان ، فقال : « إن الحيوانات التامة الخلقة العظيمة الصورة لها الحواس الخمس ، لكنها كونت في بدء الخلق ذكراً أو أنثى من الطين ، كما اتحدت بها القوة السارية فيها فبرزت قابلة للتعلم ، عارفة بمواضع منافعها ومضارها ومآكلها ومشاربها وجميع مآربها وتناسلها ونتاجها ، وجعل من طبعها ، وركب في جبلتها الحنو على أولادها ، ومعرفة ذكرانها وإناثها ، وذلك بالعناية الربانية والحكمة الإلهية » .

ثم أورد المجريطي فصلاً في فضل الحيوانات بعضها على بعض فقال :

« إن الحيوانات فيها التفاضل موجود كوجوده في بني آدم ، وفيها رؤساء وقادة في كل جنس من أجناسها ، وهي أمم متفرقة ذوات لغات مختلفة » .

ثم قال :

« إن الخلقة الحيوانية محفوظة النظام مستقيمة الأقسام متقنة التأليف ، صحيحة التركيب ، موضوع كل جنس منها في موضعه اللائق به ، متحد بكل شخص من النفس الحيوانية بحسب قوته » .

دراسته للحيوانات

ثم حاول المجريطي أن يوضح أن بين الحيوانات رئيساً ومرؤوساً فقال :

« وأما وجود تفاضلها وأنها ذوات مراتب ومنازل في خلقتها وأن فيها رؤساء وملوكاً ، فوجوده لا ينكر ، ولا يصعب القول في معرفته وخبره كوجود القوة والبطش والهيبة والشدة في **الأسد** ، دون غيره من **السباع والوحوش** الآكلة للحم ذوات الأنياب والمخالب ، وكقوة **الإبل وحمار الوحش** دون غيرها من **الغزلان** وما يساوي الصحارى والقفار والغياض ، **وكالفيلة والجواميس والبقر** دون غيرها من البهائم الآكلة للعشب ، وما تنبت الأرض المستخدمة فيها ينتفع به الناس من أكل لحومها وشرب ألبانها ، وما خلا الفيل فإنه لا ينتفع به كمنفعة غيره ، **وكالخيل والبغال والحمير والجمال** المتعبة المنصبة في خدمة بني آدم لحمل أثقالهم ، وما يقطعون على ظهورها من الطرق البعيدة والأسفار الشديدة ، والتفاضل أيضاً موجود فيها كلها ، لأن في الفيلة ما هو أشد وأقوى احتمالاً وصبراً على ما يراد منه ، وكذلك **الخيل والبغال والحمير** موجود فيها ذلك كوجود الشجاع والجبان والنشيط والكسلان والعاقل والأحمق في عالم الإنسان ، فلما كان كذلك ، وجب بالبرهان أن النفس المتحدة بالحيوان قريبة من النفوس المتحدة بعالم الإنسان لاتصافها في الأخلاق وما يقسم عليها من الأوزان ، وأن الغنى والفقر والعز والذل في ذلك كله موجود فيها وواقع عليها وشتان ما بين فرس الملك وفرس الحارس ، من حسن المنظر وجودة المخبر وما بينهما من المباينة في المآكل ، ولما كان ذلك كذلك وجب بالبرهان أنها عالم مخصوص به من التدبير ما خص به غيره مما هو مخالف له بالصورة مشارك لها فيما يكون به العيش والبقاء » .

رسائل إخوان الصفا

وينسب بعض المؤرخين **رسائل إخوان الصفا** لأبي القاسم المجريطي ، ولكن حقيقة الأمر أن المجريطي وتلميذه **الكرماني** هما أول من أدخل رسائل إخوان الصفا إلى مدن الأندلس . ويذكر **قدري طوقان** في كتابه **(تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك)** « أن **أحمد زكي باشا** قد عني بهذه النقطة ، وبحثها بحثاً دقيقاً في مقدمة الجزء الأول من كتاب (رسائل إخوان الصفا) ووصل في بحثه إلى أن

المجريطي لم يضع هذه الرسائل . (فقد ثبت أن الرسائل المتداولة الآن ليست للمجريطي ، وأنه لا يصح أن يقال بأن له كتاباً بهذا الاسم ، بل إنه إذا ثبت وجود كتاب بهذا الاسم ، فيكون الاسم موضوعاً عرضاً لا من المؤلف نفسه ، والله أعلم . . .) » .

أما **ألدو الدومييلي** فيقول في كتابه (**العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**) : « ويبدو أن مسلمة المجريطي شارك في التعريف بالكتاب الجامع المشهور برسائل إخوان الصفا لعلماء العرب في الأندلس » .

مصنفات المجريطي

عكف المجريطي على التصنيف فألف في فروع المعرفة المختلفة مثل الفلك والرياضيات والكيمياء والحيوان وغيرها . ويذكر خير الدين الزركلي في موسوعته (**الأعلام**) بعض المؤلفات التي قام بتصنيفها المجريطي وهي :

(١) كتاب ثمار العدد في الحساب (يعرف بالمعاملات) .
(٢) كتاب اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني .
(٣) كتاب رتبة الحكيم في الكيمياء .
(٤) كتاب غاية الحكيم في الكيمياء .
(٥) كتاب الأحجار .
(٦) كتاب روضة الحدائق ورياض الخلائق .
(٧) رسالة في الأسطرلاب .
(٨) كتاب شرح فيه كتاب المجسطي لبطليموس .
(٩) كتاب في التاريخ .
(١٠) كتاب في الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية .
(١١) كتاب مفخرة الأحجار الكريمة .
(١٢) كتاب الايضاح في علم السحر .
(١٣) الرسالة الجامعة .

وفي الختام يجب أن يعرف القارئ أن مؤرخي العلوم يعتبرون أن أبا القاسم المجريطي من ألمع علماء الأندلس في الفلك والرياضيات والكيمياء والحيوان . ولقّب بإمام الرياضيين في الأندلس ، لأنه هو أول من بدأ النهضة الرياضية والفلكية في المغرب العربي ، كما أنه حاول ادخال بعض التعديلات على الخريطة الفلكية لبطليموس ، ونجح في تطوير علوم الرياضيات والكيمياء والحيوان والفلك نجاحاً باهراً .

لقد قضى المجريطي حياته في البحث والتدريس ، فتخرج على يديه علماء أكفاء صار لهم شأن في تطوير العلوم البحتة والتطبيقية . وكانت مدرسته عبارة عن مركز للبحوث ، إذ أصبح معظم طلابه من العلماء البارزين في العلوم . والجدير بالذكر أن المجريطي نقل الكتب العلمية من المشرق إلى مدرسته في قرطبة حتى تكوّنت لديه مكتبة ذات مكانة علمية .

ويعتبر المجريطي من كبار علماء العرب والمسلمين بالأندلس الذين أسهموا في مجد الأمة الإسلامية . لقد نذر نفسه للعلم ولرفعة الإسلام ، فكان يقضي الأيام والليالي والسنين الطويلة للبحث والترجمة والتأليف حتى يصل إلى ما يصبو إليه . إنه من العلماء الذين لا يقنعوا بالقليل ، بل كان من هؤلاء الذين يبحثون في كل فروع المعرفة ولم يقصر نفسه على علم معين .

يجب أن لا ننسى أن المجريطي عاش في فترة كانت تتسم باليمن والإقبال على العلم والتعليم ، فكان في مقدمة العلماء المنتجين . يقول **هنري فارمر** في كتابه (**تاريخ الموسيقى العربية** ، حتى القرن الثالث عشر الميلادي) : « إن أبا القاسم المجريطي عاش في بيئة متسمة بطابع اليمن والإقبال على ترجمة كتب اليونان العلمية . ويجب أن لا ننسى أن المجريطي اشتهر بعلم المنطق ، ولا سيا علم الموسيقى ، بجانب سمعته المرموقة في الفلك والرياضيات والكيمياء والحيوان » .

المراجع

(١) عبد الحميد أحمد : أثر الحضارة الإسلامية (مقالة في المجلة المصرية لتاريخ العلوم) .
(٢) نفيس أحمد : الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي .
(٣) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم .
(٤) ألدو الدومييلي : العلوم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي .
(٥) خير الدين الزركلي : الأعلام .
(٦) جورج سارتون : المدخل إلى تاريخ العلوم .
(٧) ديفيد يوجين سمث : تاريخ الرياضيات .
(٨) جابر الشكري : الكيمياء عند العرب .
(٩) قدري طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك .
(١٠) هنري فارمر : تاريخ الموسيقى العربية .
(١١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي .
(١٢) فلورين كاجوري : تاريخ الرياضيات .
(١٣) عمر رضا كحالة : العلوم البحتة في العصور الإسلامية .
(١٤) حميد موراني وعبد الحليم منتصر : قراءات في تاريخ العلوم عند العرب .
(١٥) سيد حسين نصر : العلوم والحضارة في الإسلام .

الهوامش

(١) هو أبو القاسم محمد بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي المتوفي سنة ٤٢٦هـ (الموافق ١٠٣٥م) عن عمر يناهز ستة وخمسين عاماً . كان من كبار العلماء في الطب ، وله معرفة جيدة بالرياضيات والفلك ، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الحساب التجاري ، وكتاب المدخل إلى هندسة أقليدس ، وكتاب العمل بالأسطرلاب ، وكتاب احتوى على أزياج فلكية .

(٢) هو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن أحمد بن علي الكرماني من أهل قرطبة ، رحل إلى (سرقسطة) حيث توفي هناك سنة ٤٥٨هـ (الموافق ١٠٦٦م) عن عمر يقارب التسعين عاماً . وله شهرة عظيمة في الجراحة وعلم الهندسة . وكان الكرماني ذا ميول فلسفية مع أستاذه المجريطي ، ويعتبر أول من أدخل رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس .

(٣) الأعلام لخير الدين الزركلي ، ج ٨ ، ص ١٢١ .

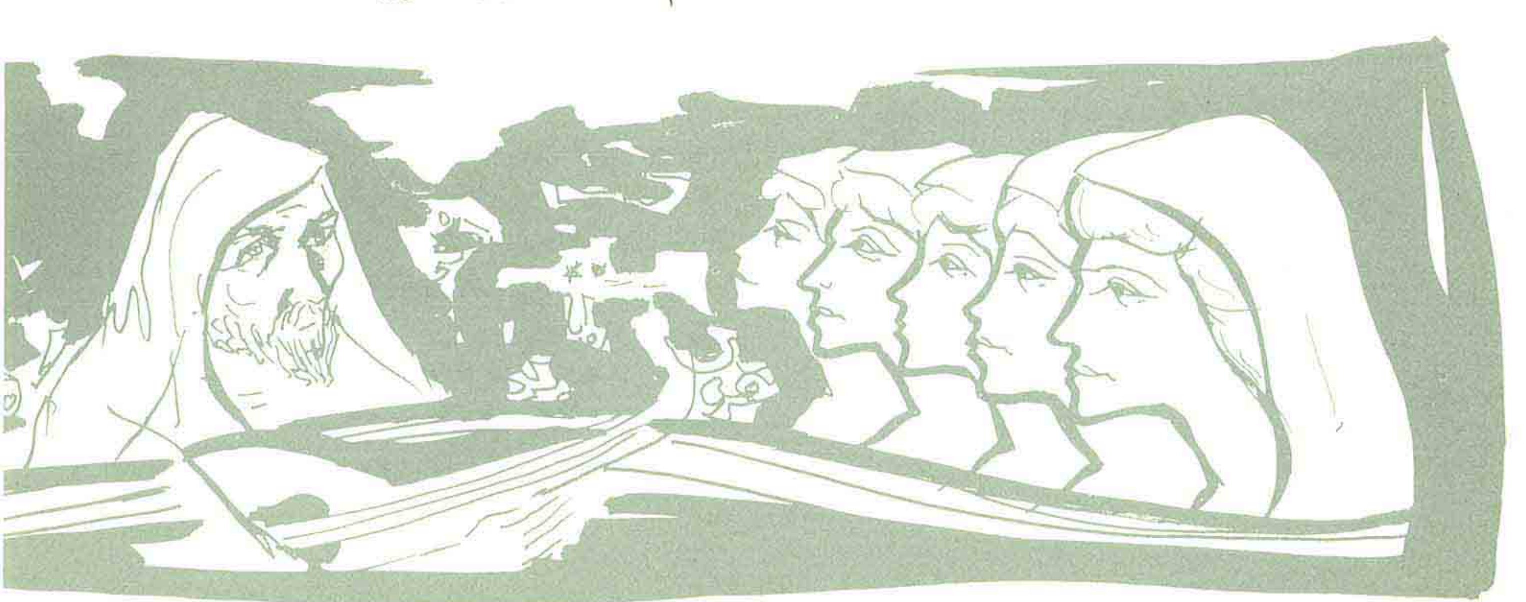
من أين انبثق الموشح ؟

لقد كانت الإجابة عن هذا السؤال ولا تزال موضع خلاف ونقاش شديدين بين الباحثين والمعنيين بشؤون الأدب الأندلسي . ولعل أول من حاول الإجابة عن هذه المشكلة في العصر الحديث هو المستشرق هارتمان في عام ١٨٩٧ م ، عندما أكد بأننا يجب أن نبحث عن الأصول التي انبثق منها الموشح في بعض أنواع الأوزان العربية نفسها .

فقد ظهرت في القرن الثالث بعض الأشكال الشعرية التي سميت بـ (**المسمطات**) يمكن أن تكون الأساس الذي تطورت منه الموشحات والأزجال . وقد رد على هارتمان بعد ذلك بخمسة عشر عاماً المستشرق الإسباني **ريبيرا** في محاضرته المشهورة في الأكاديمية الإسبانية عن الأزجال والموشحات ، فأكد بأن هذا الفن الشعري **ما هو إلا تقليد لنوع من الشعر الشعبي الذي كان موجوداً باللغة اللاتينية الإسبانية .** صحيح أنه لم يبق من هذا الشعر الإسباني القديم أي شيء الآن ، إلا أن



بقلم : د . محمد جليل مصطفى

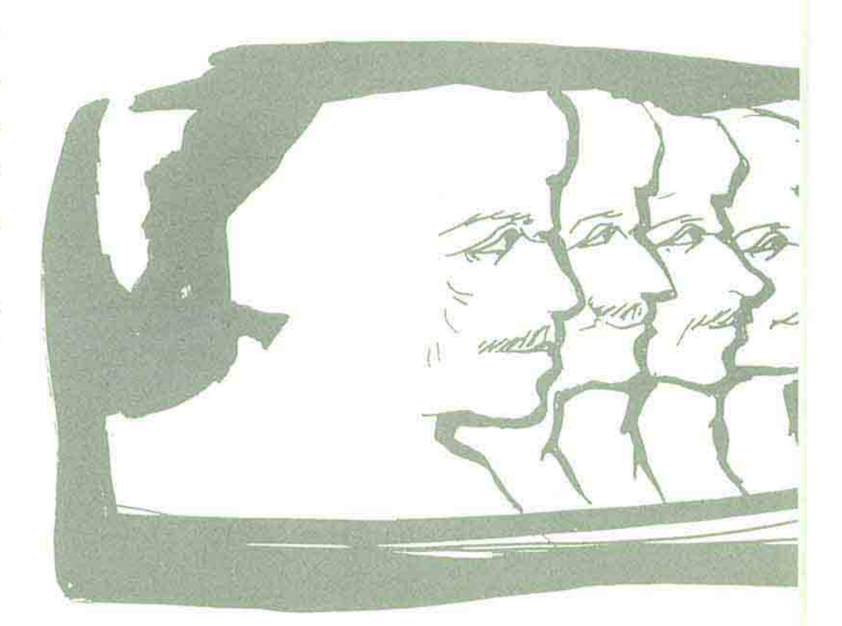


آثاره بقيت لدى الشعراء الإسبانيين المتأخرين .

وجاء الباحثون بعد ذلك وأشبعوا الموضوع بحثاً وتمحيصاً ، فأيد فريق هارتمان في آرائه وردد آخرون ما قاله ريبيرا ، فكان من أنصار الرأي الأول المستشرق المعروف **نيكل** ، وأيد الثاني في أقواله **بيدال وكارثيا كوميت** وغيرهما . وكان مما زاد في صعوبة الوصول إلى رأي قاطع في هذا الموضوع هو أن كل الموشحات التي وصلتنا **نظمت في عصور نضوج الموشح بعد أن قطع في تقدمه خطوات طويلة إلى الأمام** . أما عن تلك الموشحات والأزجال التي ظهرت في عصور متقدمة ، فليس لدينا منها شيء يمكن أن يرشدنا إلى أساليبها الأولى وأشكالها البدائية .. ولذلك فقد لجأ الباحثون إلى الموشحات الموجودة لدينا نفسها أو إلى ما قاله المؤرخون القدماء الذين تحدثوا عن الأزجال والموشحات لكي يثبتوا رأيهم في أصلها ومنشئها .

فاستند أنصار نظرية الأصل العربي للموشحات والأزجال على أقوال **ابن خلدون** على وجه الخصوص ، وعلى ما لدينا من موشحات

الأندلسي



وأزجال ، **جلها يسير على أعاريض الشعر العربي القديم أو يستعمل التفعيلات المألوفة في أوزان القصيدة العربية .**

«المركز» أو «الخرجة» كأساس للموشح

واعتمد أنصار الأصل المحلي لهذا الفن الشعري على أقوال صريحة رددها المؤرخون المسلمون القدامى عن أصل الموشح من جهة ، وعلى أزجال وموشحات تثبت هذه الأقوال من جهة أخرى . فقد قال **ابن بسام** حين تحدث عن اختراع الموشحات **إن مخترعها (محمد بن حمود القبري) كان يضعها على أشطار الأشعار** ، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه **المركز** ويضع عليه الموشحة . ثم يقول بعد ذلك : «وأوزان هذه الموشحات خارجة من غرض هذا الديوان **(أي كتاب الذخيرة للمؤلف)** إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب ..» إذن فابن بسام يقول إن الشيء الذي كان يبنى عليه الموشح **إنما كان لفظاً عامياً أو أعجمياً ، أطلق عليه المؤلف اسم (المركز)** ويعني بالمركز هنا **(الخرجة)** كما أوضح **شتيرن** ، وليس **القفل الأول** كما يذكر جل من كتب في هذا الموضوع .

وشبيه بأقوال ابن بسام ، ما ذكره ابن سناء الملك في كتابه «**دار الطراز في عمل الموشحات**» فقد قال : «**والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح**» .

والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة من ألفاظ العامية ولغات الداصة **(اللصوص)** فإن كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال ، خرج الموشح من أن يكون موشحاً ، اللهم إلا إن كان موشح مدح .

« ويذكر **ابن سناء الملك** في محل آخر أن الخرجة قد تكون عجمية اللفظ» وأهمية «الخرجة» في الموشح لا تقتصر على كونها القفل الأخير منه ، فقد رأينا أن ابن بسام يجعلها الأساس الذي يبنى الموشح عليه . ويؤكد ابن سناء الملك نفسه هذه الفكرة حين يقول متحدثاً عنها : «وهي العاقبة ، وينبغي أن تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة ، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها ويعملها من ينظم الموشح في الأول ، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية ، وحين يكون مسيباً مسرحاً ومتبحجاً منفسحاً ، فكيفما جاء اللفظ والوزن خفيفاً على القلب أنيقاً عند السمع مطبوعاً عند النفس ، حلواً عند الذوق ، تناوله وتنوله ، وعامله وعمله ، وبنى عليه الموشح لأنه قد وجد الأساس ، وأمسك الذنب ونصب عليه الرأس .. فابن سناء الملك إذن يؤكد قول ابن بسام من أن **الخرجة كانت أساس الموشح** ، وكما أن المفروض في الخرجة أن تكون كما يذكر المؤرخان ، عامية ، بل وقد تكون أعجمية ، أفلا يدفعنا هذا إلى التفكير في **أن الأزجال والموشحات تأثرت تأثراً**

شديداً بأدب العامة وأنها تطورت واقتربت بعد ذلك من الشعر العربي التقليدي ؟

ارتباط الموشح بالقصيدة العربية والألحان الشعبية

وإذا وضعنا جانباً هذين الرأيين في أصل الموشحات والأزجال ، فإننا نستطيع أن نلحظ في الموشحات والأزجال ما يلي .

● **أولا : أن الموشحات والأزجال استمدت دون شك من القصيدة العربية كثيراً من موسيقاها ومن موضوعاتها وأفكارها** . . فقد كانت الأوزان التقليدية دائماً منبعاً يغترف منه مؤلفو الموشحات أشكالا شعرية وموضوعات مختلفة .

● **ثانياً : أن الموشحات والأزجال كانت مرتبطة بالتفكير الشعبي والمشاعر الشعبية ، وقد كان استعمال اللغة العامية ،** بل والرومانية أيضاً ، مظهراً من مظاهر هذا الارتباط . وأقوال المؤرخين المسلمين شاهدة على ذلك . فهي تؤكد أن التعابير الشعبية ، ولا سيما الفنية منها ، كانت مورداً لكتّاب الموشحات يعتمدون عليه ويغترفون منه ، وأن الموشحات والأزجال بقيت رغم تطورها ووصولها إلى بلاطات الملوك ومجالس الخاصة وطرقها لموضوعات القصيدة التقليدية وثيقة الاتصال بالأوساط الشعبية ، شديدة الارتباط بتعابيرها الفنية .

● **ثالثاً : الموشحات والأزجال كانت تنظم** من حيث الأساس لكي تغنى . فقد كانت مرتبطة إذن **بالألحان والأنغام الشائعة** . يقول ابن سناء الملك متحدثاً عن القسم الأكبر من الموشحات : « وما لها عروض إلا التلحين ، ولا ضرب إلا الضرب ولا أوتار إلا الملاوي ، ولا أسباب إلا الأوتار ، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور والسالم من المزخرف ، وأكثرها مبني على تأليف الأرغن ، والغناء بها على غير الأرغن مستعار وعلى سواه مجاز » فتركيبها اللفظي إذن يجب أن ينسجم مع الأغاني والأنغام الشائعة . وهذا يفسر لنا بوضوح هذا التنوع الغريب في بناء الأزجال والموشحات .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الموشحات والأزجال ، وإن كانت قد استمدت عوامل نموها وروحها من ظروف محلية أحاطت بالشعراء الأندلسيين ، فإنها بقيت **على اتصال وثيق بالفنون الشعبية الشائعة في الأندلس سواء منها الشعر أو الموسيقى أو الغناء ، كما وجدت في الشعر العربي التقليدي غذاء تستمد منه الألحان والأوزان** ، فكانت تقترب منه حيناً حتى لتكاد تصبح جزءاً منه ، وتبتعد عنه أحياناً متجهة إلى الاستجابة لحاجات الذوق الفني الشعبي ، فتبدو غريبة عن شعر العربية ، نابية مبهمة في آذان أولئك الذين ألفوا سماع القصيدة التقليدية وأدب الأقدمين .

أنواع الموشح

ولذلك فقد قسم ابن سناء الملك الموشحات إلى قسمين : **الأول ما جاء على أوزان أشعار العرب . والثاني ما لا وزن له ولا إلمام له بها .**

(١) والذي على أوزان العرب ينقسم إلى قسمين : أحدهما ، ما لا يتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري ، ويبدو أن قيمة هذا النوع من الموشحات كانت ضئيلة جداً لدى المعجبين بهذا الفن الشعري في تلك العصور ، **فابن سناء الملك** يقول : « إن ما كان من الموشحات على هذا النسخ فهو **المرذول المخذول ، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء** » .

ومثل هذا النوع من الموشحات قول **ابن زهر** وهو من الرمل ومطلعه :

أيها الساقي إليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
إلخ . . . . .

وأما القسم الثاني من الموشحات السائرة على الأوزان العربية ، فهو ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أو ضمة أو فتحة **تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضاً** . فمثال الكلمة قول ابن بقي :

صبرتُ والصبرُ شيمةُ العاني
ولم أقلْ للمطيل هجراني   مُعذبي كفاني
هل كانَ غيري بعتز بالذلّه
مُلقتُهُ ينتمي إلى الجلّه
سلالةُ الناس عندهُ ملّه
لا يُحسِنُ الشعرُ وصفَهُ كُلّه
فكل يوم أراه في شانِ
أماتني حبّه وأحياني   بأشنب سقاني
شهادتي أنْ أموتَ عليه
لما جنى الوردة من كفيْه
تشوّقتْ وردتان إليه
فحلّتا في رياض خديْه
. . . . إلى أخره

هذا من المنسرح ، وقد أخرجه منه قوله «معذبي كفاني» .

ومثال **الحركة** هو أن تجعل على قافية في وزن ، ويتكلف شاعرها أن يعيد تلك الحركة بعينها وقافيتها .

قول ابن بقي :



يا ويحَ صَبٍّ إلى البرقِ لـه نـظرُ

وفي البُكاءِ مع الوُرقِ لـه وَطَـرُ

مِنْ أجلِ بُعديْ عن صَحبي   بَـكيْتُ دَمـا

كم لي هنالكَ مـن سربٍ   ووصالٍ دُمى

وعسكرُ الليلِ في الغربِ   قـد انهزما

والصبح قد فاض في الشرق له نهر وسالَ منْ أنجم الأفقِ دمٌ كدرْ

شوقي الحبُّ بترداديْ   وإنْ كثُـرا

إنَّ المُعظَّمَ في النادي   نَوى سفَرا

أقولُ لمّا حدا الحادي   بـه سَحَرا

أمسكْ فـؤاديْ بالرفقِ إذا ابتكروا

إني أراه مِنَ الخفقِ منفطرْ

..... إلـخ .

فهذا من **البسيط**، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة المخفوضة هو الذي أشرنا إليه .

(٢) وأما القسم الثاني من الموشحات الذي لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب وهذا القسم كما يقول ابن سناء الملك ، «هو الكثير ، والجم الغفير ، والعدد الذي لا ينحصر والشارد الذي لا ينضبط ، ويؤكد ابن سناء الملك أنه أراد أن يقيم لها عروضاً يكون دفتراً لحسابها وميزاناً لأوتادها وأسبابها فعز ذلك وأوعر ، لخروجها عن الحصر أو انفلاتها من الكف . . . وأكد أن ضابطها الوحيد هي **الأنغام والألحان** . . بل إن قسماً من هذه الموشحات يبدو مضطرب الوزن مهلهل النسج ، مفكك النظم ، لا يحسن الذوق صحته من سقمه ولا دخوله من خروجه ولا يعقله كما يقول صاحب دار الطراز إلا العالمون من أهل هذا الفن ، والملائكة المقربون من أهل الصناعة . . وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسده وسالمه من مكسوره إلا بميزان التلحين ، فإن منه ما يشهد الذوق بزحافه بل بكسره ، فيجبر التلحين كسره ويشفي سقمه ويرده صحيحاً ما به قلبه وساكناً لا تضطرب فيه كلمة . . . » **وهكذا يظهر لنا الموشح بعيداً عن الأوزان العربية التقليدية قريباً من الألحان الشعبية مرتبطاً بها** ولنقرأ مثلاً على ذلك ، الموشح التالي ولننظر إلى أي مدى يمكن القول بأنه تطوير للشعر العربي القديم :

أنتَ اقتراحي   لا قرَّبَ اللهُ اللَّواحي

من شاءَ أن يقولْ ، فـإني لست أسمعْ

خضعْتُ في هواكْ ، وما كُنْتُ لأخضعْ

حسبي على رضاكْ شفيعٌ لي مُشَفَّعْ

نشوانُ صاحْ   بين ارتياعٍ وارتياحْ

يا مَنْ يُطيلُ عَتْبي ، ولا يحظى بطائلْ

أين الشمولُ باللهِ من تلكَ الشمائلْ

حبائلُ العقول ، فدتْها مِنْ حبائلْ
هل في جماحي   شوقاً إليها مِنْ جُناح
إلخ ......

إن قسماً من الموشحات يتطلب لكي يُغَنَّى أن تضاف إليه ألفاظ تكون ، كما يقول ابن سناء الملك ، «دعامة للتلحين وعكازاً للمغني» ، ففي موشح ابن بقي :

مَنْ طالبٌ ثأر قتلى ظبيات الخدوج
فتانات الحجيج
ترميهم بسهام حول البيت الحرام

الجيميين الثاني والثالث . ومثل ذلك الأقفال التالية :

فالشاحبُ ينثني قطف شقيق الأريج لالا
قالتْ يا عاشقي جي
مرّتْ بي فاصفرتْ
قالتْ خبيثتْ قلتْ
فالراغبُ ثمّ في فضل الشّق والعجيج لالا
خلّفَ الشوق الوهيج
قد طالَ الشوقُ طالا
وخطّي منك لالا
يا صاحبُ قلْ لعيرٍ رحّلوا أن تعوجي
عوجي بالله عوجي
..... إلخ

وقد ذكر ابن سناء الملك أيضاً أن الموشحات تنقسم إلى قسمين من حيث مشابهة أوزان الأبيات لأوزان الأقفال ، فقسم **تتشابه أوزان أقفاله وأبياته** ، وقسم **لا تتشابه ، بل تختلف** . ويؤكد مؤلف كتاب (**دار الطراز**) أن هذه المخالفة ليست اعتباطية وإنما مستندة على ضرورة التلحين ، لذلك فإن من يتبع هذا الأسلوب دون علم تظهر ، كما يقول ، فضيحته فيه وقت غنائه ، فإن المغني ببعض الآلات يحتاج إلى أن يغير شد الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت وعند خروجه من البيت إلى القفل ، وهذا مكان ينبغي أن يلحظ ويحفظ.

إن جميع ما ذكرناه عن أنواع الموشحات لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يؤكد تأكيداً قاطعاً انبثاق الموشح من الأوزان العربية التقليدية بل إنه يرجح بوضوح أن ما نراه من تشابه بين أوزان الموشحات والأوزان العربية **كان نتيجة تقارب وتأثير متبادل بين هذين الفنين الشعريين** مع اختلافهما في المصادر التي انبثقا منها ، وليس نتيجة تفرع الأول من الثاني .

صياغة الموشح

لا شك أن الموشح لم ينشأ بالشكل الذي وصلنا ، فقد تطور وانتقل من مرحلة لأخرى منذ أن نظمه **مقدم بن معافى القبري** أو غيره حتى وصل مرحلة النضوج لدى **ابن عبادة القزاز وعبادة بن ماء السماء وابن بقي والأعمى التطيلي** وغيرهم ممن مرّ ذكرهم في كتب الأدب .

ويبدو أن الموشح كان يتكون منذ البدء من نوعين من المقاطع التي كانت تتوالى بالتتابع وهي الأقفال والأبيات ، أو كما أطلق عليها أحياناً ، **الأسماط والأغصان** . ويطلق على القفل الأخير الذي ينتهي به الموشح اسم «الخرجة» أو المركز .

وقد سبق أن تحدثنا عن أهمية الخرجة وأوضحنا منزلتها في الموشح ، وذكرنا أنها المركز الذي يبنى عليه الموشح ، كما أوضحنا صفاتها الرئيسية وخصائصها ، وذكرنا أنها تكون عموماً بلغة العامة إلا في بعض الأحوال ، وذكر قول ابن سناء الملك بأن الخرجة قد تكون **معربة** ولكن بشرط أن تكون ألفاظها **غزلة جداً ، هزارة سحارة خلابة بينها وبين الصبابة قرابة** ، وهذا معجز معوز ، وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة كقول ابن بقي :

ليلْ طويلْ   وما مُعينْ
يا قلبَ بعض الناسْ   ما تلينْ

فمن قدر أن يقول هكذا فليعرب وإلا فليغرب .

ويستمر مؤلف دار الطراز بالحديث عن الخرجة فيقول :

«والمشروط بل والمفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها وثباً واستطراداً وقولا مستعاراً على بعض الألسنة ، إما ألسنة الناطق أو الصامت ، أو على الأغراض المختلفة الأجناس وأكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنسوان والسكرى والسكران ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من : «قال» أو «قلت» أو «قالت» أو «غنى» أو «غنيت» أو «غنت» فما جعل على لسان الحمام قول ابن عبادة :

إن الحَمامْ   في أيكها
قلْ هلْ غمْ   أو هل عُهِدْ أو كانْ
كالمعتصمْ   والمعتمد ملكانْ

ومما جعل على لسان الغرام ، قول ابن بقي :

إنا وأنتما   أسوةُ هذا الهَجْر
بالصبْر بِتْنا   عندَ انصداع الفجْر
ومذ رحلتا   غنّى الجوى في صدري
سافر حبيبي   سحر وما ودعتو
يا وحشْ قلبي   في الليل إذا افتكرتو

ومما استعير على لسان الهيجا قول عبادة :

فـالهيجا تغـنـي والعسـيف قـد طَـربْ
ما أملح العساكرْ وترتيبٍ للصـفوفْ
والأبـطال تَصيح الـبوائق يـا مْليـح

وقد سبق أن ذكرنا أن الخرجة **قد تكون عجمية** ، على أن يلاحظ فيها ما لوحظ في الخرجة العامية .

أما عن الأبيات والأقفال في الموشحات فقد حدثنا عنها بشيء من التفصيل أيضاً مؤلف كتاب (**دار الطراز**) ، وهو الكتاب الوحيد الذي عني بذلك والذي وصل إلى أيدينا حتى الآن . فقال ابن سنا الملك إن الموشح **يتكون في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات** ، أي أنه يبتدئ بقفل وينتهي بقفل ، ويسمى عندئذ (**الموشح الكامل**) ، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ، أي أنه يبتدئ ببيت وينتهي بقفل ويطلق عليه آنذاك (**الموشح الأفرع**) .

والأقفال **هي أجزاء مؤلفة يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقية الأقفال في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها** .

والأبيات هي أجزاء مؤلفة أو مركبة يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع أبيات الموشح الأخرى في وزنها وعدد أجزائها لا في قوافيها ، بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت مخالفة لقوافي البيت الآخر .

ويقول ابن سناء الملك إن أقل ما يتركب منه القفل من جزءين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء (وقد يوجد في النادر ما قفله تسعة أو عشرة أجزاء) ومثال الموشح المركب قفله من جزءين قول الشاعر :

(القفل) شمسٌ قارنتْ بدرا راح ونديمْ
أدر . . . .
عنبريّـة النّشر
إن الـرّوضَ ذو بِشْر
(قفل) وقـد دَرَّع النّهـرا هبوبُ النسيمْ
(بيت) ولَسـلّتْ على الأفْـقِ
يـدُ الغـربِ والشّرقِ
سيوفاً مـن البرْقِ
(قفل) وقد أضحكَ الزهرا بكاءُ الغُيومْ
إلـخ . . . . .

ومثال الموشح الذي يتركب قفله من ثلاثة أجزاء قول الشاعر :

(قفل) حَلّت يَدُ الأمطارْ درّةَ الأنوارْ فيا خدني
اشربْ طابَ الصبوحْ في ذا اليومْ
(بيت) في روضـةٍ تفُـوحْ لـدى الغـيمْ
قـد أشرقَتْ تلـوحْ لـذي القـومْ
(قفل) ووجهُ ذا النهارْ مفعْلى بخِمارْ من الدّجنْ



ظمئت إذ بعُدْتَ عن الصَبّ
(بيت) فعُدْ كما قد كُنْت إلى قربي
غدرْتَ ونفرْتَ فيا حبّي
(قفل) افديك من غدّار تدينُ بالنفار ولا تدني

إلــخ ....

ومثال الموشح الذي يتركب قفله من أربعة أجزاء قول الشاعر :

(قفل) أنـامل العنّابْ ونقلك الـوردْ
خفت بصُدغيْ آسْ يلـويها الخـدْ
لله أيـامْ ....
(بيت) والـروضْ بسّـامْ بـاكرهْ القطْرْ
وصـال والمـامْ وأوجـهْ زُهـرْ
(قفل) فنحنُ بالأصحابْ قد ضمّنا عقدْ
ويـا أبـا العبّـاسْ لا خـانك الـودْ

إلــخ ....

ومثال الموشح الذي يتركب من خمسة أجزاء قول الشاعر :

(قفل) يا من أجود ويبْخلْ على شحي وافتقـاري
أهواكْ
وعنـدي زيـاده منْهـا شـوقي واذكاري
أما يستحي مطالكْ من طول ما أشتكيه
(بيت) وهلا كانْ وصالكْ أدنى لمنْ يرتجيه
وأين غاب خيالكْ مذ ساحتْ المزنْ فيه
(قفل) ولا تقل ربما ظلْ أثنـاء تلك المسـاري
ذكراكْ
قـد أورى زنـاده من وجدي ومن أواري
أنا المشتاق المعنى ولكنّي لا أبـوحْ
(بيت) إن كانْ للكتمان معنى في لفظةْ الفصيحْ
يا من جنى وتجنّى شكوى لو كانت تُريحْ
(قفل) صل وما راك تفعلْ ولكن عيل اصطاري
حاشاكْ
من شكوى معادةْ تحشُ نـاراً بنـار

إلــخ ....

ومثال الموشح الذي يتركب من ستة أجزاء قول الشاعر :

(قفل) ميتات الـدمنْ أحيين كرْبي
[illegible]
مت يا عـزاهْ شاهْ
يا رشَمَ الـذي أتـاح حُبّي
(بيت) ضَنِيتْ فـذي دموع عيني
تُهمي فاغتسلْ منْها بعين

(قفل) بل يا منْ ظعنْ عليك ذنْبي
فقد آن لي أنْ اقضي نحبي
فويلتاهْ واهْ
يا وضع الهوى هلْ انتَ مسودي
(بيت) أشتكي النوى أثر الصدود
(قفل) فيا مُمتحنْ بكلْ خطْبِ
كم تـأسى وتحزنْ وتشقَ بحُبْ
سال هـواهْ لاهْ

إلــخ .....

ومثال الموشح الذي يتكون قفله من ثمانية أجزاء قول الشاعر

(قفل) على عيون العينْ وعي الـدراري
منْ شغفْ بالحُبْ
واستعذبْ العذاب والتـذْ حاليه
من أسفْ وكرْبِ
نُجُلُ العيونِ سقتْ نفوسنا كأس الرحيقْ
(بيت) أحداقُها أحْدقَتْ بكل بستانٍ أنيقْ
من وجنةٍ شُقّقَتْ عن سوسنٍ وعن شقيقْ
(قفل) وتحت نور الجبينْ آسْ عـذار
ينعطفْ كي ينبي
بأن ماء الرُضابْ خامْ حواليه
منصرف عنْ قربي
لا كان يوى النوى من ملبسي ثوب الضنى
(بيت) ألوى غزال اللّوى فيه بصبري إذْ رنا
وظنْ أن الهوى ذنب فضنْ بالمُنى
(قفل) فقد أصار الضنينْ نور اصطباري
في سدلْ من نحبي
والقلبُ خوف العقابْ رجا حنانيه
فاعترفْ بالذنبِ

إلــخ ....

أما البيت فأقل ما يمكن أن يكون من ثلاثة أجزاء وقد يكون في النادر من جزءين . وقد يكون من ثلاثة أجزاء ونصف ، ولا يكون هذا إلا فيما كانت أجزاؤه مركبة .

والجزء من القفل **لا يكون إلا مفرداً** ، أما الجزء من البيت **فقد** [illegible] إلا من فقرتين أو من ثلاث فقر ، وقد يتركب في الأقل من أربع فقر .

هذه هي الأنواع التي ورد ذكرها في كتاب ابن سناء الملك للبيت ، كما أورد المؤلف أمثلة لكل من هذه الأنواع ، نذكر منها ما لم يرد مثلها فيما سبق . فجميع الموشحات التي مرّ ذكرها **تتكون من ثلاثة أجزاء ،**

وكل جزء منها يتكون من فقرتين ، أما ما تركب من ثلاثة أجزاء ونصف ، وكل جزء منها يتكون من فقرتين ، فمثاله قول الشاعر في موشح أقرع أي يبتدئ بالبيت :

من أودع الأجفانْ صوارمَ الهنْد
(**بيت**) وأنبتَ الريحانْ في صفحةِ الخدْ
قضى على الهيْمانْ بالدمع والسهدْ
أنـي وللكتمان
(**قفل**) للهائم المغرمْ بدمع نمْ
إذ يسجُمْ بما يكتُمْ
من السّرِ في عاطلٍ حالي غرير ساطٍ عليّ بالدّعج
يا بأبي أحْوَرْ كالبدرِ في التّم
يفترُّ عن جوهرْ مستعذَبَ اللثْم
وخده الأزهرْ يدمي من الوهْم
فكيفَ أنْ أعذُرْ

الأزجال والموشحات في المشرق

لا أظننا في حاجة إلى الحديث عن تأثير الموشحات والأزجال في المشرق العربي ، فلدينا دلائل كثيرة تشير إلى أن المشارقة عنوا بالموشحات والأزجال الأندلسية ، وأنهم وجهوا نحوها اهتماماً خاصاً ، فألفوا فيها الكتب ، وكتبوا عنها الرسائل وقلدوها . ويكفي أن نشير إلى كتابين مهمين ألفهما شاعران من المشرق ، الأول كتاب (**دار الطراز**) في عمل الموشحات **للقاضي أبي القاسم هبة الله بن سناء الملك في مصر** ، والآخر كتاب (**العاطل والحالي**) لصفي الدين الحلي من **العراق** . ورغم أن هذين الأديبين متأخران إلا أنهما دون شك يشيران بكتابيهما إلى الأثر الذي تركته الموشحات والأزجال الأندلسية في أبناء المشرق . . فابن سناء الملك يقول عنها : « وكنت في طليعة العمر وفي رعيل السن قد همت بها عشقاً وشغفت بها حباً ، وصاحبتها سماعاً وعاشرتها حفظاً ، وأحطت بها علماً . . . »[1] .

وقد أشار **ابن حزم وابن غالب وابن سعيد** إلى إعجاب المشارقة بالأزجال والموشحات ، بل إنه مما يلفت النظر أن النسخة الوحيدة من ديوان **ابن قزمان** التي عثر عليها الآن قد وجدت في الشرق ، وقد بقي هذا الأثر واضحاً في الأدب العربي حتى الوقت الحاضر نراه في العراق **محمد سعيد الحبوبي** ونراه في غير العراق ولا سيما في **المهاجر** .

أثر الأزجال والموشحات في الأدب الأوروبي

مما لا يحتمل الشك أن تكون الموشحات والأزجال العربية الأندلسية قد تركت أثراً عميقاً في الأدب الإسباني في القرون الوسطى ، ولا تنقص الباحثين الأدلة الكثيرة على ذلك . فيؤكد المؤرخ الإسباني **منيندث بيدال** أن الزجل يكون الحلقة التي تربط الموسيقى الايبرية القديمة بالموسيقى الإسبانية الحاضرة ، كما يؤكد أن الراقصات والمغنيات الإسبانيات كن ينشرن في كل مكان الألحان والأنغام الأندلسية التي كان يستقبلها الناس في كل مكان في أوروبا بالحماس .

ويؤكد **ليفي بروفنسال** أن الزجل الأندلسي انتقل إلى إسبانيا المسيحية ، وأنه كان من نتائجه ظهور **زجل قشتالي** يقلد الزجل الأندلسي في تركيبه النغمي ، إلا أن النظرية التي لا زالت موضع نقاش الباحثين من **المستشرقين** وعلماء **الدراسات الرومانية** Romanists **والبروفانسية** Provencialists هي تلك التي عبر عنها المستشرق الإسباني **جوليان ريبيرا** في العقد الثاني من هذا القرن ، ثم أوضحها وبسطها بإسهاب **أ . ر . نيكل** في مجلة الأندلس (١٩٣٢ م) وفي مقدمته لديوان **ابن قزمان** ولترجمته كتاب **طوق الحمامة** ، وفي كتابه عن « **تاريخ الشعر الأندلسي** » .

وجاء المؤرخ الإسباني **منيندث بيدال** فأسند هذه النظرية بأدلة كثيرة وبسط جوانبها المختلفة ، كما عرضها كذلك **دوزي** في كتابه « **الشعر العربي والشعر الأوروبي** » (بالإسبانية) ، **وليفي بروفنسال** في « الإسلام في المغرب » (بالفرنسية) وآخرون غيرهم . ولم تقتصر هذه النظرية على توضيح العلاقة الشكلية بين الشعر الأوروبي في جنوب فرنسا والزجل الأندلسي وإنما أكدت أن هذا التأثير امتد إلى الموضوعات والأفكار ولا سيما ما يتعلق منها بالحب العذري .

وقد عارض هذه النظرية معارضة شديدة فريق من المؤرخين نخص بالذكر منهم المؤرخ البرتغالي **رودريكس لابا** Lapa ، الذي نفى وجود مثل هذا التأثير وزعم أن الشعر الفرنسي في القرون الوسطى **إنما تأثر بالأدب اللاتيني القديم** ، وأورد بعض المقطوعات الشعرية اللاتينية التي نسبها إلى القرن الحادي عشر ، وقال إنها انتشرت قبل أن يعرف ابن قزمان في أوروبا .

وجاء بعد ذلك الباحثان **ايبل** الألماني ، **وجاندو** الفرنسي اللذان رأيا رغم اعترافهما بتأثير الزجل الأندلسي ، أن هذا التأثير لم يكن أساسياً أو كبيراً وردّدا الأدلة التي جاء بها رودريكس لابا ، وأضاف جاندو إلى ذلك أن **التقطيع النغمي في الشعر الفرنسي البروفنساني من البساطة بحيث يمكن أن يؤدي به دون جهد من قبل الشعراء اللاتين** .

ويؤكد **ايبل** بأن أدلة لابا ليست متصلة بأي حال من الأحوال فإن مجرد ذكر مقطوعة شعرية لاتينية لا يكفي للتدليل على وجود مثلها في الزجل الأندلسي ذي القافية الموحدة في نهاية كل مقطع والقوافي المتشابهة لأجزاء كل مقطع .

الهوامش

(١) دار الطراز ، ص ٢٤



باقة اعتذار

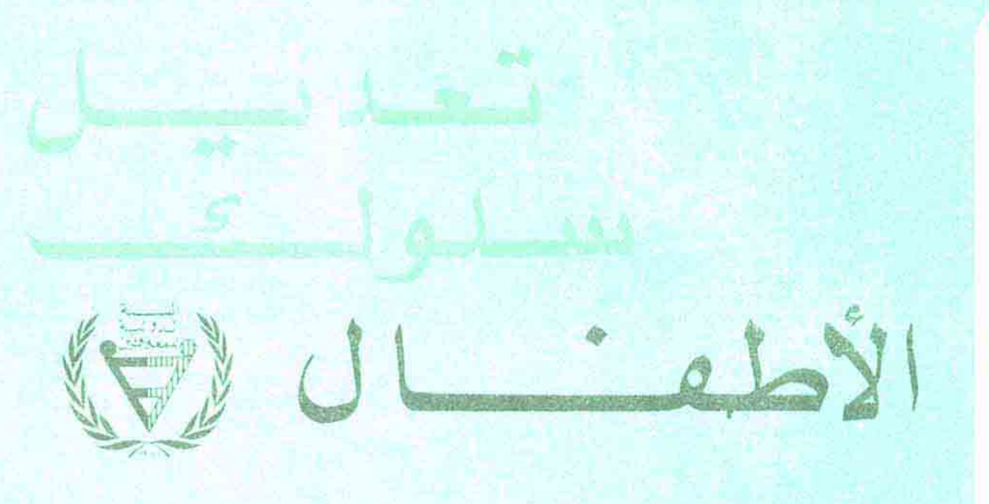
شعر: احمد سالم باعطب

قطفتُ من جَنَّةِ الإلهام أشعاري وبينَ أكمامها ذوَّبْتُ أعذاري
ومن شرايين وجداني نسجتُ لها بطاقةً صُورتي فيها وأخباري
حملتُها باقةً قُربى لفاتنتي وكم حملتُ لها مِنْ قبلُ أزهاري
حملتُها ورجاءاتي تحفُّ بها ولَيْتَ، عَلَّ، عَسَى أصداءُ مزماري
وطيفُ ماضٍ بأنسام الهوى عبقٌ أودعتُه خلسةً همسي وأسراري
حملتُها مخلصاً ذكرى لها فلقد تغفو جراحُ الأسى يوماً بتذكار
لعلَّها إنْ رأتْها تَسْتَعِدْ صوري متيَّماً بين شطيها بأسفاري
فكم عزفتُ لها من مهجتي نغماً ربابتي أضلعي والقلبُ قيثاري
وكم رسمتُ بوجداني محاسنَها بريشةٍ زيتُها مخضَرُّ أفكاري
وليلةٍ من شذى أنفاسنا سكرتْ منها البَخورُ ومني جذوةُ النار

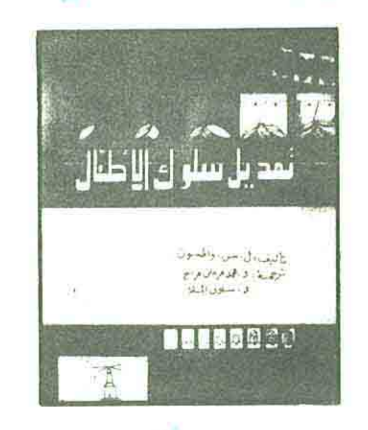
★ ★ ★

يا باقتي إنْ دَنا من فِيكِ مبسمُها وقبَّلَتْ منكِ أحلامي وأعذاري
وذوَّبَتْ من لماها فيكِ خمرتَهُ ولملمتْ شفتاها طيبَ أشعاري
وبوَّأتْكِ مكاناً كم حلمتُ بهِ من طيبهِ اغتسلتْ بالعطر أسحاري
فسائلي حُلوتي ما ذنبُ محترقٍ بالحبِّ، ملتحفٍ بالشوق، صبَّار
إنْ كانَ حبي لها وزراً أُدانُ بهِ فلتجعلِ الوصلَ غُفراناً لأوزاري
وإنْ تكنْ غيرتي مما يُلامسُها عمىً، فأين إذن مصباحُ إبْصاري
وإنْ نَعُدْ تبسم الدُّنيا لفرحتنا ما أطيبَ العودَ للأحبابِ والدَّار

رحلة في كتاب



تعديل سلوك الأطفال

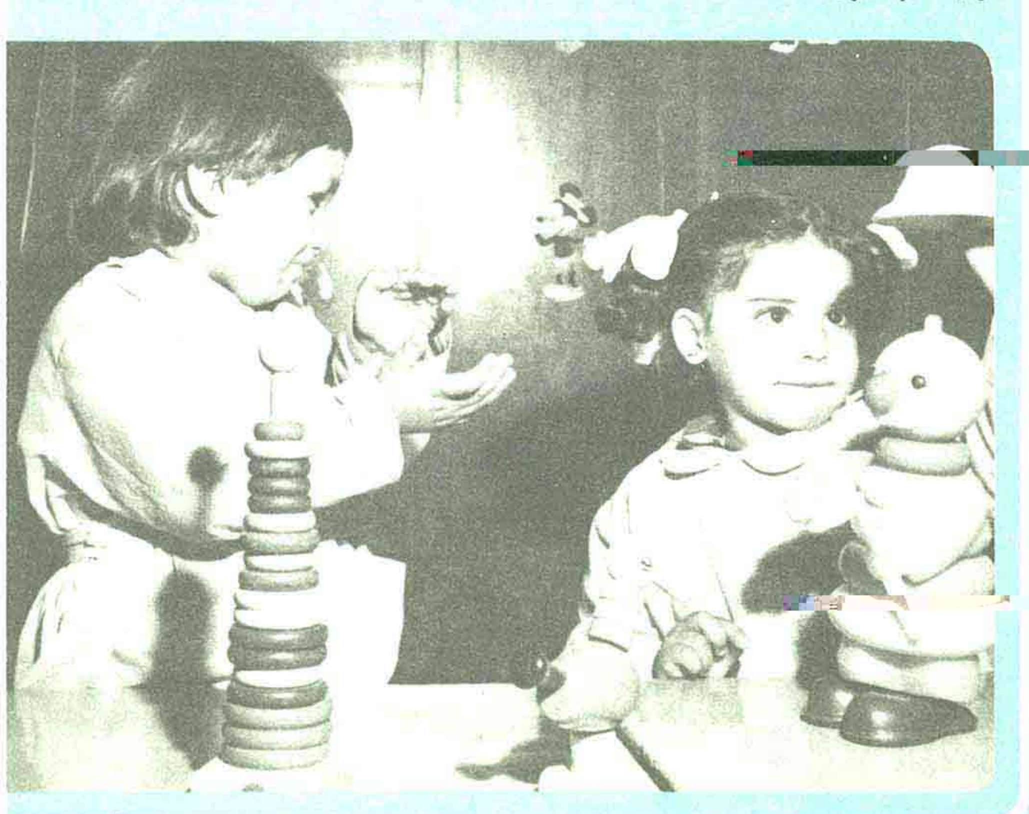


إن تقنيات العصر ، حققت تقدماً كبيراً في معالجة الأطفال المعوقين جسدياً وحسياً ، وسهلت الرعاية التربوية والنفسية لهم .

وتعديل السلوك شكل من أشكال العلاج النفسي ، ويعنى بتغيير السلوك المشاهد من الأطفال المعوقين ، كالاعتلال الجسدي ، والأمراض المزمنة ، والتخلف العقلي ، والعجز الحسي .

ويجاهد علماء النفس بوجه عام ، وعلماء النفس التربوي على وجه خاص أمام الأطفال الأسوياء والمعوقين ، لاكتساب أنماط جديدة من السلوك ، لأن السلوك هو الأساس في الدراسات النفسية ، فمنه نبدأ وإليه نعود .

[illegible] واطسون (Watson) الأميركي ، مشكلات التخلف العقلي والفصام ، واضطرابات التعلم والانفعال ، عند الأطفال ، من وجهة نظر سلوكية .



تأليف :
ل . س . واطسون
ترجمة :
د . محمد فرغلي فراج
د . سلوى الملا
عرض وتحليل :
بهاء الدين الزهوري



تعديل السلوك

برز العلاج السلوكي في السنوات الأخيرة ، كأسلوب فعال في **علاج الاضطرابات العصابية** ، كما بدأ يشق طريقه في معالجة الاضطرابات الذهانية ، ولعل أخطر إسهامات التعلم تتضح في تنمية المتخلفين عقلياً ، حيث يتم تنمية سلوكهم اللفظي والعملي ، ومهاراتهم في التعامل الاجتماعي ، واعتمادهم على أنفسهم .

ويعتبر تعديل السلوك شكل من أشكال العلاج النفسي ، وموضوع الاهتمام الرئيسي فيه ، هو السلوك الذي يمكن ملاحظته في الطفل . . والواقع أن تعديل السلوك يعتمد أساساً على مفاهيم التعلم الأساسية التي صاغتها معظم النظريات ، واستفاد منها العلاج النفسي بتطبيقاته في كافة المجالات .

محتويات الكتاب

اسم الكتاب (تعديل سلوك الأطفال) تأليف : لوك . س . واطسون ـ جامعة كولومبوس ـ أوهايو ، ترجمة : الدكتور محمد فرغلي فراج ـ والدكتورة سلوى الملا ـ ويعملان بتدريس علم النفس ـ بجامعة القاهرة . صدر الكتاب عام ١٩٧٦ م ، عن دار المعارف بمصر .

يتألف الكتاب من مقدمتين ، الأولى للمؤلف ، والثانية للمترجمين . وعشرة فصول يتخللها أسئلة الصحيح والخطأ ، التي يستخدمها المدرب لتقدير أداء الطالب .

يتناول **الفصل الأول** تقديماً لمعنى تعديل السلوك ، وكيفية استخدامه لتدريب الأطفال ، ولقد أمكن النظر إلى علم النفس المرضي فيه على أنه نتيجة مشكلات سلوكية ، أو سلوك غير مناسب .

ويتناول **الفصل الثاني** اتجاه سلوكي للتخلف العقلي والذهان مع اتجاه طبي سيكياتري .

ويضم **الفصل الثالث** ثلاثة مبادئ أساسية للتشريط الفعال : التدعيم ، والتشكيل ، وتحكم المنبهات .

ويتناول **الفصلان السادس والسابع** مبدأ التدعيم ، وكيف يستخدم للوصول إلى السلوك المرغوب بفاعلية .

ويضم **الفصل الثامن** ، التخلص من السلوك غير المرغوب .

ويتناول **الفصل التاسع** أهمية تحكم المنبهات ، لحفز هذا الطفل على التصرف بشكل لائق .

ويحتوي **الفصل العاشر** على شرح وتقييم أسلوب تسجيل البيانات وجمعها .

أهمية الكتاب

يطرح الكتاب ، أسلوباً جديداً في تناول مشكلات الأطفال المتخلفين عقلياً والفصاميين . ويستفيد منه المتخصصون ، وغير المتخصصين . . . كما يمكن أن يستفيد منه الإنسان في حياته اليومية . سواء أكان أباً لطفل فصامي ، أو متخلف عقلياً ، أو كان معالجاً نفسياً ، أو طالباً في كلية التربية وعلم النفس .

ويناقش الكتاب ، مسألة العلاج من زاوية تغيير سلوك الطفل المشاهد . ونلاحظ أن طريقة تعديل السلوك المعروضة في هذا الكتاب ، هي طريقة التشريط الفعال التي وصفها **سكينر** (Skinner) **الأستاذ بجامعة هارفارد** ، بأنها طريقة اتضحت فائدتها في تنمية الاعتماد على النفس ، والمهارات الاجتماعية ، واللغوية ، والتعليمية ، والمهنية في الأطفال المتخلفين عقلياً ، والفصاميين ، والمضطربين انفعالياً ، وذوي الاضطرابات التعليمية . سواء كانوا في المؤسسات ، أو في المجتمع العادي .

موضوعات الكتاب

● أولاً : أهمية تعديل السلوك بالنسبة لنا

إن مبادئ التشريط الفعال ، هي التي تملي سلوكنا ، وسلوك زملائنا ، وسلوك الأطفال .

(أ) **مبدأ التدعيم** : ويقرر بأن نتائج أفعالنا ، أو سلوكنا ، تحدد



ما إذا كنا نكرر هذا السلوك أو لا نكرره .

فإذا ابتسمنا لإنسان (هذا هو سلوكنا) فكان رد فعله جميلاً بالنسبة لنا (النتيجة) فأغلب الظن أننا سوف نبتسم للناس مستقبلاً (تكرار السلوك) . وإذا سأل طفل سؤالا ذكياً في قاعة الدرس ، ورأى من أستاذه تقديراً لذلك فسوف يكون هذا دافعاً له ، ليسأل أسئلة ذكية في الدروس مستقبلاً .

وعلى العموم ، يقرر مبدأ التدعيم أنه إذا كانت نتائج السلوك إيجابية فالمحتمل أن يتكرر هذا السلوك ، أما إذا كانت نتائجه سلبية فالغالب أنه لن يتكرر .

(ب) **مبدأ تحكم المنبه** : ويقرر بأن مفاتيح معيّنة ، أو أجزاء من البيئة التي نعيش فيها ، تحدد الأشياء التي نفعلها . . ومتى نفعلها . . والمثال البسيط على ذلك ، إشارة المرور ، فعندما يتحول الضوء إلى أحمر ونحن نقترب بسيارتنا [illegible]ب في تلك اللحظة . فالضوء الأحمر (منبه أو مفتاح) جعلنا نقف (سلوك) وعندما يصبح الضوء أخضراً نبدأ في التحرك .

وتسهم مبادئ التشريط الفعال عند تطبيقها عفوياً ، في نمو الطفل نمواً سوياً ، وفي تكيفه مع المجتمع الذي يعيش فيه . لكن التطبيق العفوي قد يؤدي أيضاً إلى عدم التكيف ، ويخلق للطفل مشكلات في المدرسة ويؤدي إلى مشكلات انفعالية وسلوكية . أما إذا طبقنا مبادئ التشريط الفعال بطريقة منظمة ، فقد تسهم كثير في إحداث النمو السوي ، وتقلل من المشكلات الاجتماعية الانفعالية السلوكية . وهذا ما يجب أن نفعله مع الأطفال المصابين بالتخلف العقلي والفصام ، إذ المفروض أن نستخدم طريقة التطبيق المنظم للتشريط الفعال من أجل تعديل سلوكهم .

والسؤال الآن : كيف نفسر الفرق في السلوك بين الطفل (السوي) والطفل (المتخلف) أو (الفصامي) ؟ . . .

الأطفال المتخلفون عقلياً ، أو الفصاميون لديهم سلوك أقل من الأطفال الأسوياء . فالطفل خفيف التخلف يشابه جداً الطفل السوي فيما عدا أن محصوله اللغوي أقل ، وحكمه على الأمور ليس جيداً كما في الطفل السوي .

وإذا انتقلنا للطفل متوسط التخلف نجده لا يتصف فقط بقلة المحصول اللغوي ، وسوء الحكم على الأمور بل نجده ضعيف التآزر ، بطيء الحركة أيضاً . فإذا نزلنا إلى طفل شديد وعميق التخلف ، نجد أن تنوع سلوكه وعدده يقلان جداً ، وهو أشد الناس نقصاً في السلوك بالمقارنة مع الطفل السوي . كما أن الطفل عميق التخلف ، هو الأشد نقصاً من الجميع .

إضافة إلى أن سلوك المتخلف أو الفصامي ، يقل كثيراً عن سلوك الطفل السوي في مثل سنّه وجنسه ، فإن هناك سبباً آخراً للاختلاف بينهما ، هو أن كثيراً من سلوك الطفل المتخلف ، يعد غير مناسب . مثلاً الطفل عميق التخلف يستطيع أن يأكل ، لكنه قد يأكل العيدان ، أو الأوساخ ، أو حتى البراز . كما يأكل الطعام . والمثال الثاني هو الإخراج ، أي التبرز والتبول ، فالطفل عميق التخلف عادة ، يتبرز ويتبول في سرواله .

ومثال آخر على جذب الانتباه ، فالنداء على شخص باسمه وبطريقة مهذبة ، وسيلة مقبولة لجذب الانتباه ، أما خبط الرأس على الحائط فوسيلة غير مقبولة ، وإليها يلجأ الأطفال المتخلفون عقلياً في أكثر الأحوال . أي أن مظاهر السلوك غير الملائمة هي التي تجعل الأطفال شديدي عميقي التخلف ، والفصاميين يبدون في أشكال غريبة وغير عادية .

● ثانياً : العلاج النفسي التربوي لفصام الأطفال والتخلف العقلي واضطرابات السلوك :

يعتبر التخلف العقلي والفصام ، متشابهان ، من وجهة النظر السلوكية ، ويتصفان بصفتين هما :

(أ) أن سلوك هؤلاء الأطفال أقل من سلوك الأطفال الأسوياء في سنّهم .

(ب) أن كثيراً من سلوكهم غير مقبول اجتماعياً .

وهذا تفسير سلوكي ، لا يبيّن لنا الأسباب التشريحية أو العضوية لاضطرابات التخلف العقلي أو الفصام . وإن معرفة هذه الأسباب لا تساعدنا كثيراً ، عادة ، على إزالة تخلف الطفل أو مرضه العقلي ،





مادام الضرر قد حدث فعلاً .

ونحن لا نشك بأنه في وقت ما في المستقبل ، قد يؤدي ازدياد المعلومات عن العلاقة بين الاضطرابات التشريحية والعضوية للتخلف العقلي ، أو الفصام ، وبين الاضطرابات السلوكية ، إلى زيادة الفاعلية في علاج الأطفال المتخلفين عقليًا أو الفصاميين .

ويمكن للعوامل (السيكولوجية) أن تتدخل في إحداث جميع أنواع التخلف العقلي ، أو الاضطرابات السلوكية ، أو تساعد على زيادة حدتها .

وعادة ، متى تم تشخيص الأطفال على أنهم فصاميون ، أو متخلفون عقلياً ، تنقص فرصهم في الانتفاع من الخبرات التربوية المعتادة ، ويحدث ذلك لسببين :

★ **الأول** : أن الوالدين ، حين يعرفان طفلهما بأنه متخلف عقلياً ، أو فصامي يقل حماسهما نحوه ، ولا يوفران له فرص التعليم المتوفرة لغيره من الأطفال الأسوياء .

★ **والثاني** : يأس الأمهات ، والمعلمين ، والعاملين في مؤسسات رعاية الأطفال المتخلفين عقلياً ، من الأطفال أنفسهم ، لكونهم سلبيين أو لا مبالين ، والتوقف بالتالي عن تعليمهم .

وعلى أية حال ، مهما كان سبب الاضطراب فإنه يمكن تحسين سلوك الطفل عن طريق التعليم أو التدريب ، بشرط إعداد طريقة التعليم والتربية ، وتصميمها لتناسب طفلاً بعينه ، لديه اضطراب سلوكي معيّن .

والعلاج النفسي التربوي السليم ، يتم وفق ما يلي :

١ ـ نعلم المصاب أنواعاً من السلوك للتغلب على مشكلة قلة السلوك لديه .

٢ ـ نعلمه حسن التصرف في الظروف الاجتماعية المناسبة للتغلب على مشكلة السلوك غير المناسب ، أي لا ينبغي أن نعلمه كيف يخلع ملابسه فحسب ، بل يجب تعليمه متى وأين يخلع ملابسه ، بحيث لا يحدث ذلك في غرفة الجلوس ، أو في الصف ، أو في حجرة الطعام ، أو في الملعب ، بل في الحمام ووقت الاستحمام ، أو التنظيف . وينطبق ذلك على اللغة أيضاً . فلا يكفي أن نعلم الطفل الكلام ، بل يجب تعليمه متى يتكلم ، وأين يقول كلمات أو جمل معينة .

وهدف العلاج النفسي التربوي في ميدان السلوك ، هو زيادة المحصول السلوكي للطفل ، وجعل السلوك مقبولا اجتماعياً ومناسباً ، وطريقة التشريط الفعال في تعديل السلوك طريقة مناسبة لتدريب الأطفال المتخلفين عقلياً ، والفصاميين . . . لستة أسباب . هي :

(١) تدفع الطفل السلبي أو اللامبالي لكي يتعلم .

(٢) تقدم التكنيكات للقضاء على أنواع السلوك غير المرغوبة ، مثل نطم الرأس والثورة الانفعالية .

(٣) لا تتطلب أن يكون لدى الطفل مهارات لغوية ، بل يمكن استخدامها مع الصم .

(٤) **لا تتطلب حداً أدنى** في المحصول التربوي والخبرة ، ويمكن استخدامها مع الأطفال عميقي التخلف العقلي ، أو الفصاميين .

(٥) تبسط كثيراً ، العملية التربوية بواسطة طريقة تشكيل السلوك .

(٦) يتقدم التدريب مع سرعة الطفل ذاته في التعلم .

وقد تكون الأساليب النفسية التربوية التقليدية ، فعالة في علاج حالات التخلف العقلي الخفيفة ، بل والمتوسطة وحالات إصابة المخ ، حين لا يكون الأطفال المصابون ، سلبيين جداً . لكن الأطفال شديدو أو عميقو التخلف أو شديدو السلبية (مثل الطفل الفصامي) يحتاجون غالباً إلى طرق أكثر تخصصاً موضوعة بحيث تلائم مشكلتهم الخاصة .

تهتم طريقة التشريط الفعال بتنمية السلوك الإرادي لدى الأطفال ، وهذا هو السلوك الذي يتحكم فيه الطفل مباشرة . مثل المشي ، والكلام ، وشرب كوب ماء ، أو ركوب دراجة . وهذا في مقابل السلوك المنعكس الذي لا يسيطر عليه الطفل مباشرة ، مثل إفراز اللعاب ، والنبض ، والهضم . ويشير اصطلاح الفعال إلى السلوك الذي يمكن للطفل التحكم فيه إرادياً . ويسمى بالسلوك الفعال لأنه يؤثر في البيئة ليزود الطفل بالتدعيم أو المكافآت ، مثل الطعام والماء والدفء والتسلية . . . إلخ .



وعملية التدعيم المشروط، من أعظم الأساليب قوة في تعديل السلوك، وإذا استخدمت بحكمة وبشكل مناسب، فإنها تحل معظم المشكلات في مواقف توجيه السلوك. ويمكننا استخدام هذه الطريقة في تعلم أنماط جديدة من السلوك للأطفال شديدي التخلف العقلي أو الفصاميين. لكن هذه الطريقة لا تكفي وحدها إذا أردنا تزويدهم بعدد من المهارات السلوكية المركبة، بل نحتاج إلى طريقة تعليم تصلح للأطفال الذين يفتقرون للمهارات اللغوية أو لديهم القليل منها، والذين يقل محصولهم السلوكي جداً وهذا الأسلوب هو التشكيل، أي تشكيل السلوك البسيط في سلوك أكثر تركيباً من أنواع شتى. ويتألف تكنيك التشكيل من مكونين أساسيين: التقريب المتتابع، والتسلسل.

تستخدم عملية التقريب المتتابع، لتعليم وحدة مفردة من السلوك، مثل عملية الإخراج، أو خلع القميص، أو لبس السروال، أما عملية التسلسل، فتستخدم لوصل عدة وحدات من السلوك معاً، كما في حالة اللبس الكامل، كأن يلبس الطفل الملابس الداخلية والسروال والقميص والجوارب والحذاء في تتابع مستمر.

● رابعاً: تشكيل السلوك

كما ذكرنا سابقاً، فإن أسلوب التشكيل يسهل تعليم السلوك المركب للأطفال المتخلفين عقلياً، والفصاميين. وإذا ما استطعنا ربط تكنيك التشكيل بالتدعيم تصبح لدينا طريقة فعالة لتعليم السلوك الجديد، **ويقوم التشكيل على مبدأين أساسيين للتشريط الفعال، هما التقريب المتتابع والتسلسل.**

ويستمر التدريب طبقاً لطاقة الطفل، فلا ننتقل للخطوة التالية إلا بعد أن يستوعب الطفل الخطوة السابقة. ويلاحظ أن يتلقى الطفل التدعيم الرئيسي بعد أن يكمل الخطوة الأخيرة من التتابع التدريبي.

بعد معرفة تشكيل السلوك، يجب علينا معرفة السلوك الذي نرغب في تشكيله، ولنأخذ ارتداء اللباس كمثال. فما الهدف من تدريب الطفل على ارتداء اللباس؟.. الهدف، هو أن يختار الطفل ويرتدي لباسه متى يشاء دون أن يطلب منه أحد ذلك.

وما دام هدف التدريب قد اتضح، يصبح بإمكاننا وضع برنامج التدريب على ضوئه. أما إذا كان هدف التدريب غير واضح التحديد، فلا يمكن معرفة الخطوات التي يتألف منها المكون السلوكي النهائي.

فقبل أن نبدأ في التدريب، ينبغي...

أولاً ـ تحديد مستوى الطفل السلوكي الحالي، وهذا المستوى يسمى المستوى الفعال.

ثانياً ـ اختيار خطوات التدريب التي تؤلف المكون السلوكي.... بعد ذلك يستخدم التقريب المتتابع لتعليم هذه المكونات السلوكية، حتى يصبح الطفل قادراً على تحقيق السلوك المستهدف.

وخطوات تشكيل السلوك، هي:

١ ـ التعرف على الطفل والتقرب له.

٢ ـ معرفة ما يفضله الطفل، لنقدمه له كتدعيم، ويجب استخدامه بشكل قوي فعال.

٣ ـ الانتباه.

٤ ـ وضع الطفل تحت تحكم لفظي بسيط، أي جعله يطيع التعليمات البسيطة.

٥ ـ تحديد المستوى الفعال للطفل.

٦ ـ تشكيل أجزاء السلوك، مثل ارتداء القميص باستخدام التقريب المتتابع.

٧ ـ تشكيل التتابع السلوكي المركب، مثل ارتداء الملابس كلها باستخدام التسلسل.

● خامساً: التدعيم

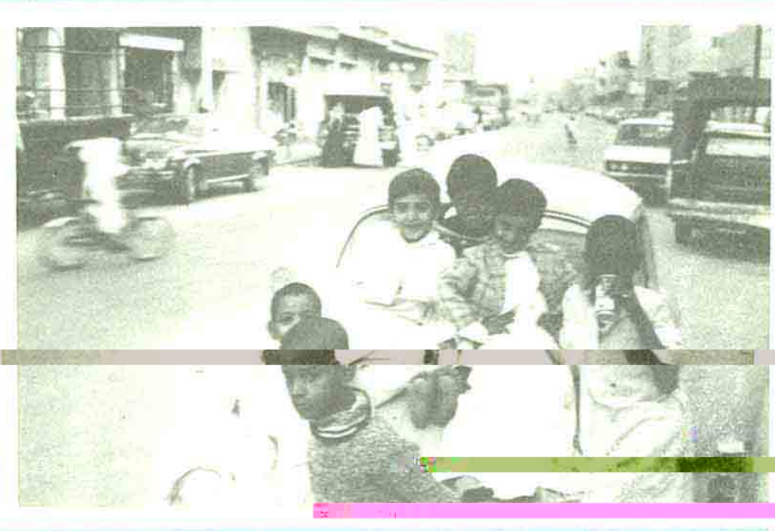
يتم تشريط، وتشكيل السلوك الجديد، عن طريق عملية التدعيم. ويتوقف نجاح أو فشل أي برنامج تدريبي على فاعلية التدعيمات المستخدمة.

وأنواع التدعيم التي تستخدم عند تدريب الطفل المتخلف عقلياً أو الفصامي، هي:

(أ) الحلوى أو الطعام أو المشروبات أو اللعب.

(ب) الإطراء.

(ج) الربت على الظهر أو الاحتضان.





لذا فمن المهم جداً ، اختيار تدعيمات لكل طفل على حدة ، بحيث تكون على قوة كافية تجعله يستجيب للتعليمات الصادرة إليه ، للقيام بواجبات معيّنة ، مثل ارتداء قميص ، أو خلعه ، أو الذهاب إلى دورة المياه .

وكلما كان التدعيم قوياً أو مرغوباً من الطفل ، كان مستعداً للقيام بعمل أكبر من أجل الحصول عليه .

ـ التدعيم المشروط : ويستخدم عند تدريب الأطفال على أنماط سلوك جديدة بموجب برنامج التدريب ، على أن تكون مقترنة بالشرط أو (الاقتران) ، فالطفل يتعلم السلوك المستهدف في برنامج التدريب من أجل الحصول على التدعيم أو المكافأة وهذا هو الشرط .

ولاستخدام التدعيم استخداماً فعالا ، هناك أربعة عوامل تحدد مدى فاعلية التدعيم في التحكم في السلوك ، وهي :

(١) الشيء المستخدم كتدعيم . (٢) الفترة الزمنية بين حدوث السلوك وتقديم التدعيم للطفل . (٣) طول الوقت الذي حرم منه الطفل من التدعيم . (٤) حجم التدعيم .

ونتيجة للتجارب المطبقة على الأطفال ، تبيّن أن :

أ ـ التدعيم ضروري لإحداث التعلم .

ب ـ الحرمان يجعل الطفل يعمل بجدية أكبر للحصول على التدعيم ، وكلما حصل الطفل على مقدار إضافي من التدعيم ، فإنه يصل إلى درجة التشبع ، فيقل اشتياقه ، وإذا تشبع الطفل فإنه لن يعمل من أجل الحصول على التدعيم .

جـ ـ يؤثر التدعيم على ما يعمله الطفل ، في الوقت الذي يحصل منه عليه ، فإذا لم يقدم مباشرة وفوراً ، فإن الطفل يتعلم ببطء ، أو يتعلم شيئاً غير السلوك الذي يريد المدرب أن يعلمه إياه .

ـ وظيفة التدعيم في التدريب :

★ **أولا** : أنه يجعل الطفل يتبع التعليمات ، أو ينفذ المهمة ما دام الطفل قد تعلم من خلال خبرته الشخصية ، أن يتوقع التدعيم عند إنجاز المهمة ، فالتدعيم يزيد من دافع الطفل للعمل .

★ **ثانياً** : يسمح التدعيم للطفل بأن يعرف ، أنه أنجز المهمة بشكل صحيح ما دام الطفل لا يحصل على تدعيم عندما يعمل بطريقة غير صحيحة ، فالتدعيم يزود الطفل بمعلومات مباشرة عن نتائج عمله .

● سادساً : معوقات السلوك

يمكن أن يفيد التدعيم المعجل كالحلوى والكعك والأحضان والمدح في تعليم الأطفال سلوكاً جديداً ، ولكن التدعيم المعجل بذاته لا يكون ، عادة فعالا في استبعاد السلوك غير المرغوب . وعندما نريد أن نتحكم في سلوك معيّن ، مثل تحطيم النوافذ أو ضرب طفل آخر أو خبط الطفل لرأسه فهناك ثلاث خطوات أساسية ، يمكن اتباعها :

★ **أولا** : خفض حالات الحرمان النفسي البيولوجي .

★ **ثانياً** : تعليم الطفل طريقة ملائمة للتعبير عن غضبه عندما يناله الإحباط .

★ **ثالثاً** : استخدام الأساليب المصممة خصيصاً ، لاستبعاد السلوك غير المرغوب ، وهذه الأساليب ، هي : (١) الانطفاء (٢) التشبع (٣) تجنب الموقف المثير (٤) تشريط السلوك المخالف (٥) استخدام العقاب (العلاجي) .

ـ خفض حالات الحرمان البيولوجي : لدى كل الأطفال ، حاجات نفسية بيولوجية ، أو حالات حرمان معيّنة . . . يجب أن تشبع بشكل منتظم ، وهي :

أ ـ الحاجة للاهتمام أو التقدير من جانب الوالدين والمعلمين والزملاء .

ب ـ الحاجة لإرضاء حب الاستطلاع .

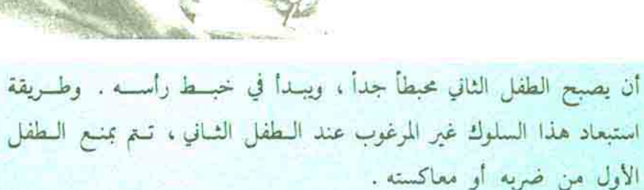
جـ ـ الحاجة لبذل النشاط الجسمي .

د ـ الحاجة للاحتفاظ بمستويات مريحة من حرارة الجو ورطوبته .

هـ ـ الحاجة لإخراج البول والبراز .

و ـ الحاجة للطعام والماء .





ز ـ الحاجة لخفض أو إزالة التعب .

ح ـ الحاجة لإرضاء الحافز الجنسي عند البلوغ .

الناس يشعرون بالغضب . ومن السوي تماماً أن يحبط الإنسان ، أو أن يغضب من وقت لآخر ، وتنشأ المشكلات المتصلة بالإحباط عندما يصبح أحد الأشخاص محبطاً بشكل متكرر جداً . . . . **ويمكن اتخاذ ثلاث خطوات لخفض مشكلة الإحباط عند الأطفال :**

★ أولا : يجب اتخاذ الخطوات اللازمة لزيادة تحمل الطفل للإحباط أو الانعصاب .

★ ثانياً : يجب أيضاً اتخاذ الخطوات المؤدية لاستبعاد أي ضغط غير معقول على الطفل .

★ ثالثاً : يجب تعليم الطفل طريقة للتعبير عن الغضب .

ـ **التحكم في الإحباط** : كل الناس يتعرضون للإحباط ، وكل

ـ **أساليب استبعاد السلوك غير المرغوب** :

١ ـ **الانطفاء** : ليس الانطفاء شيئاً أكثر من تجاهل الطفل ، عندما يعمل شيئاً لا نريده أن يعمله ، فالمدرب لا ينظر إليه ولا يكلمه ، ولا يعطيه تدعيماً . . فإذا أساء الطفل بسلوكه ، لكي يحصل على الاهتمام ، فإهماله يوقف هذا السلوك تدريجياً .

٢ ـ **التشبع** ؛ التشبع يعوق السلوك غير المرغوب ، أو يوقفه . والتشبع عبارة عن استبعاد حالات الحرمان ، فالأطفال الذين يظهرون الشقاوة باستمرار ، هم مجرد أطفال يغلب عليهم حب الاستطلاع ، ويحاولون ببساطة خفض حالة الحرمان من حب الاستطلاع بالبحث في عدد من الأشياء ، وإذا أتيح للطفل فرصة كبيرة لإرضاء حب استطلاعه بطرق مقبولة ، فإنه يكون أقل احتمالا للّجوء إلى الشقاوة .

٣ ـ **تجنب الموقف المثير** : ويتم عن طريق تجنب الظروف التي تؤدي إلى حدوث السلوك غير المرغوب من الأطفال ، فمثلاً قد يقوم أحد الأطفال بضرب أو معاكسة طفل آخر أصغر منه ، أو أقل عدوانية ، إلى أن يصبح الطفل الثاني محبطاً جداً ، ويبدأ في خبط رأسه . وطريقة استبعاد هذا السلوك غير المرغوب عند الطفل الثاني ، تتم بمنع الطفل الأول من ضربه أو معاكسته .

٤ ـ **تشريط السلوك المخالف** : السلوك المخالف أو المضاد ، هو السلوك الذي يمنع السلوك غير المرغوب من الحدوث ، فمثلاً إذا كان لدينا طفل يتهته ، فإن طريقة إلغاء التهتهة تتم بتعليمه أن يتكلم بطلاقة ، فالكلام الطلق مخالف للتهتهة ، ويستطيع الطفل أن يعمل أحدهما دون الآخر ، ولكنه لا يستطيع أن يأتيهما معاً .

٥ ـ **استخدام العقاب** : العقاب أسلوب يعطل السلوك أو يوقفه ، ولا ينبغي أن يضر بالطفل جسدياً ومع ذلك فهو مكروه عادة . ويستخدم في وقت استجابة غير مرغوبة من الطفل المتخلف عقلياً أو الفصامي . واصطلاح العقاب ، يشير إلى أسلوب علاجي ويختلف عن العقاب الانتقامي .

وأحياناً تستخدم بعض الخبرات غير العادية ، كعقاب فعال ، مثال ذلك رفع الطفل مقلوباً ورأسه لأسفل ، أو إلقاء الماء البارد على وجهه . ويمكن أن يكون تقييد حرية الطفل أسلوباً عقابياً فعالا ، خاصة إذا حرمه ذلك من الحصول على التدعيم .

● **سابعاً : تحكم المنبهات**

يعني تحكم المنبهات ، أن منبهات معينة في بيئة الفرد تتحكم في سلوكه . ونظراً لأن تحكم المنبهات غير مستقر نوعاً ما عند الأطفال المتخلفين عقلياً أو الفصاميين لذلك فإن أي تغييرات في بيئة المنزل أو المؤسسة يجب أن تتم بشكل تدريجي كما يجب على جميع المدربين استخدام نفس التعليمات مع هؤلاء الأطفال ، ويجب المحافظة على ثبات روتين المنزل أو المؤسسة نوعاً ما .

★ **الانتباه** : للانتباه أهمية بالغة في تنمية تحكم المنبهات ، فالطفل لن يتعلم ولن ينمو تحكم المنبهات في سلوكه إذا كان لا يولي انتباهاً



للعلامات الدالة المستخدمة في محاولة التحكم في سلوكه . . وعلى المدرب أن يتأكد ليس فقط من أن الطفل يعطيه انتباهه عندما يحاول أن يعلمه شيئاً ، بل عليه أن يتأكد أيضاً من أن الطفل منتبه بالضبط لما يريد أن ينبّهه إليه .

★ **الزوال والتلقين** : الزوال عبارة عن عملية تغيير الدلائل والعلامات في بيئة الطفل بطريقة تدريجية . والتلقين عبارة عن إعطاء الأطفال علامات خاصة توجه انتباههم نحو العمل الذي يحاول المدرب أن يعلمهم إياه .

وتساعد أساليب الزوال والتلقين في توجيه سلوك الطفل الوجهة السليمة خلال التدريب .

إذا أردنا أن يكون مشروع تعديل السلوك فعالا ، فينبغي استخدام أساليب تسجيل البيانات ، لتدوين ملاحظات كل خطوة تقدم للطفل المتخلف عقلياً ، أو الفصامي ، حتى نستطيع أن نحدد بطريقة دقيقة وثابتة ، التقدم الذي حققه الطفل في مشروع التدريب .

وهناك أربعة أنواع من أساليب تسجيل البيانات ، وهي :

١ ـ **تسجيل بيانات التكرار** : يعتبر أسلوب جمع المعلومات بنظام التكرار ، أبسط نوع من أنواع أساليب تسجيل المعلومات ، فهو ليس أكثر من مجرد نظام وضع العلامات على استمارات خاصة بالأطفال المتخلفين عقلياً أو الفصاميين .

ويستخدم أسلوب تسجيل البيانات بنظام التكرار ، في تسجيل سلوك استخدام المرحاض ، والسلوك العدواني ، ونوبات الهياج والنشاط الزائد ، مثلاً كأن يتكرر قفز الطفل من مقعده في قاعة الدرس .

٢ ـ **تسجيل بيانات الاستمرار** : ويستخدم أسلوب تسجيل الاستمرار عندما نريد أن نعرف كم من الوقت استمر سلوك معيّن ؟ وكم مضى من الوقت منذ أن حدث ؟ . . . ويمكن استخدام هذا الأسلوب لتقييم نوبات الهياج والسلوك المدمر للذات .

٣ ـ **تسجيل البيانات الكيفية** : ويزودنا تسجيل البيانات الكيفية ، بدرجات الاستجابة عند الأطفال ، ومن الممكن أن تمتد الدرجات من صفر إلى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، . فيقوم الطفل بعمل ثم يحال على درجة أو تقدير هذا العمل . وهذا الأسلوب مفيد جداً لا يخبرنا فقط بعدد مرات حدوث السلوك موضع الاهتمام ، بل يشير أيضاً إلى مدى جودة قيام الطفل به في كل مرة ، ويفيد هذا الأسلوب في تقييم الأداء في البرامج التربوية واللغوية ، والاجتماعية والمهنية ، ومهارات الاعتماد على النفس .

٤ ـ **تسجيل البيانات التشخيصية** : يسجل أسلوب تسجيل البيانات التشخيصية ، شيئين يمكن أن يسببا حدوث السلوك غير المرغوب :

أ ـ الموقف الذي يسبق مباشرة حدوث السلوك غير المرغوب (المنبه الذي يحتمل أن يدفع إلى السلوك غير المرغوب) .

ب ـ الأحداث التي تتلو حدوث السلوك غير المرغوب (الظروف التي يمكن أن تدعم أو تحافظ على السلوك غير المرغوب) .

ويستخدم أسلوب تسجيل البيانات التشخيصية عندما يرغب المدرب في تحديد ما الذي يسبب السلوك غير المرغوب ، حتى يستطيع إلغاءه .

خاتمة : الواقع أن المكتبة العربية تفتقر إلى مثل هذا الكتاب القيم ، الذي يمكن أن يستفيد منه المتخصصون ، وغير المتخصصين ، في استخدام الأساليب المتنوعة لتعديل سلوك الأطفال المتخلفين عقلياً أو الفصاميين .

وقد أعده مؤلفه لوك . س . واطسون ، الأميريكي ، بأسلوب واضح ، بحيث يكون مفهوماً من قبل جميع الأفراد الذين لديهم خلفية علمية قليلة ، أو ليس لديهم خلفية على الإطلاق في علم النفس أو تعديل السلوك .

ولقد استخدم هذا الكتاب ، كدليل للتدريب في مؤسسة كولومبوس لتعديل السلوك في البرامج الأكاديمية .

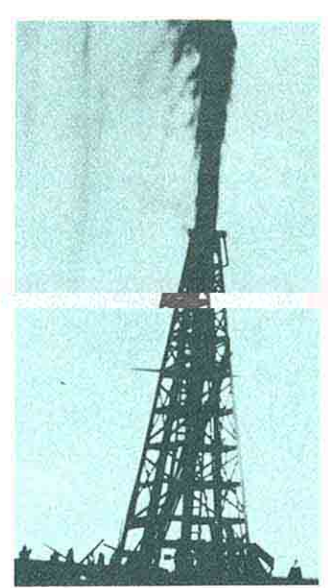
وكلي أمل أن أكون قد وفقت في عرض مادة الكتاب وتحليلها ، وأتمنى أن تكون سبيلاً للاهتمام بعلم النفس التربوي وخاصة ما يتعلق بتعديل السلوك ، لأنه يعني الكثير بالنسبة لنا جميعاً .

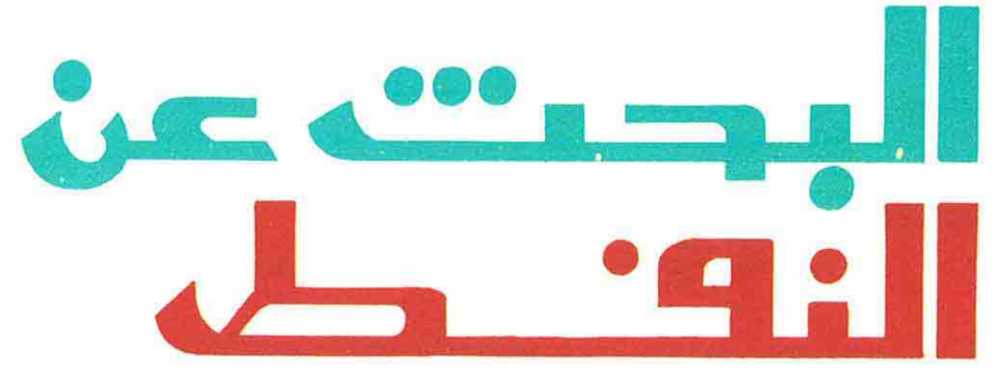
موضوع خاص











بقلم: المهندس محمد عبد القادر الفقي

يعد البترول أو النفط أهم مصدر للطاقة استطاع الإنسان أن يستغله في العصر الحديث. وبالرغم من أن زيت البترول قد يكون تحت سطح الأرض منذ ملايين السنين السابقة، إلا أن الإنسان لم ينتبه إلى وجوده، ولم يدرك قيمته إلا منذ عهد قريب.

فمنذ قرن تقريباً، أصبح عالمنا البشري يعتمد اعتماداً رئيسياً وكلياً على البترول، وفي عالم اليوم لم يعد الإنسان يعتمد على البترول كوسيلة من أجل الحصول على مصدر رخيص للطاقة فحسب، بل أصبح يستخدمه من أجل الحصول على آلاف المركبات والمواد الكيميائية الأخرى التي لا غنى عنها، والتي تقوم عليها أسس حضارتنا الحالية، كالأسمدة والأدوية والمنسوجات "والبلاستيك"، ومواد "الطلاء"، بل والمواد الغذائية أيضاً.

البترول والتاريخ

لقد تعرف الإنسان على البترول منذ عهد قديم، حينما كان يراه متدفقاً من خلال الينابيع الصغيرة التي كانت تظهر في بعض المناطق

البحث عن النفط

المحتوية على صخور مختلطة بالزيت ، وكثيراً ما كان الزيت يرشح من هـذه الينابيع ليكون قنوات صغيرة أو مستنقعات ، وأحيـاناً كان هـذا الـزيت يختلط برمال الشواطئ والخلجان .

ولقد كان الإنسان منذ العصور السحيقة يستخدم البـترول لأغـراض الإضاءة ، وفي الأغراض الطبية ، وكمادة للبناء ، وتدل الحفـريات الأثـرية على أنه كانت توجد صناعة يدوية لاستخراج البـترول بـطرائق بـدائية في حوض **نهر الفرات** منذ حوالي ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وقـد عـرفه **البابليون** ، كما عرفه أيضاً **قـدامى الإغـريق** الـذين اسـتخدموه في صناعة الأقمشة التي لا ينفذ من خلالها الماء ، كما استخدموه في طـلاء السفن ، وفي علاج المرضـى ، وفي بعض الأحيـان كانـوا يسـتخدمونه كوقود .

كما تم استخراج الغاز الطبيعي في كل مـن **مقـاطعتي يـون نـان وشانسي بالصين** قبل ميلاد المسيح بعـدة قـرون ، وفي **بـورما** ، وعلى طول **شواطئ بحر قزوين** كان الناس يحفرون آباراً ضحلة قليلة العمـق بأيديهم ، ويستخدمون الزيت الذي يحصلـون عليـه في إيقـاد قنـاديلهم ومصابيحهم .

وكانت النار المقدسة التي لا تنطفئ شعلتها أبداً عند الفرس ، تستمد وقودها من زيت البترول الذي كان ينسـاب مـن بـين شـقوق الأرض إلى السطح .

وكانت **النار (اليونانية)** ، المتشكلة من مـواد قـابلة لـلاشتعال ، التي استخدمها الإغريق في الحروب لقذف الحصون ، كانـت تحتـوي على **القار** أحد مكونات البترول .

وكان القدماء يحصلون على القار أو الأسفلت من البقع الصغيرة التي كان البترول يتسرب إليها من بـاطن الأرض خـلال الصـخور والشـقوق الموجودة في القشرة الأرضية ، وبمرور الأيام ، وتعاقب السنين ، وتحت تأثير العوامل الجوية المختلفة ، كانت مـكونات زيـت البـترول الخفيفـة تـتبخر وتـتطاير ، تاركة ما يعرف بالقار أو الأسفلت .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القار بمفهومه الحـديث يختلف عـن القـار الذي عرفه العرب في جاهليتهم ، فالأخير كان يحصلون عليه كعصارة من شجر الأرز والأبهل ، ثم يطبخونه لطلاء الإبـل بـه إذا أصـابها الجـرب ، وهذا شاعرهم الكبير (**النابغة الـذبياني**) يقـول في إحـدى قصـائده الذائعة الصيت :

فــلا تـتركني بـــالوعيد كأنـني
إلى الناس مطليٌّ بـه القـار أجـرب

وهذا **طرفة بن العبد** يقول في معلقته الشهيرة :

ومـا زال تشرابي الخمـور ولـــذتي
وبيعـي وإنفـاقي طـريفي ومتلـدي

★ البحث عن البترول في البحار ★

إلى أن تحـامتني العشـيرة كلهـــا
وأفـــردت إفـــراد البعـــير المعبـــد

والمعبد : هو الذي قد طلي بالقار أو القطران من الجرب .

ولقد عرف الكيميائيون المسلمون النفط أو البترول ، بل إن أئمة المذاهب الفقهية في الدين الإسلامي قد أدركوا أيضاً قيمة البترول ، ولذلك جعلوه من بين الأشياء الـتي لا يختص أحد بملكيتها ، يقول **الإمام الشافعي** في كتابه **(الأم)** :

« ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفـط أو قـار أو كبريـت أو مـومياء أو حجارة ظاهرة في غير ملك واحد ، فليس لأحد أن يحتجزها دون غـيره ، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ، أو لخاص من الناس ، ولو احتجـز رجـل لنفسه من هذا شيئاً ، أو منعه من له سلطان ، كان ظالماً » .

وفي **مذهب أبـي حنيفة** أن « أرض الملح والقـار والنفـط ونحـوها مما لا يستغني عنها المسلمون لا يجوز للإمام أن يعطيها لأحد ، لأنها حق لعامة المسلمين » .

وعندما وصل **المغامرون الإسبان** الذين قاموا بالكشوف الجغـرافية إلى العالم الجديد ، لاحظوا أن هناك بعض المناطق التي يرشح الزيت فيهـا



★ مستودعات للنفط ★

من الصخور، ليتجمع في ينابيع صغيرة على سطح الأرض، شاهدوا ذلك في **ترينيداد وفنزويلا** وبعد ذلك في **كاليفورنيا**.

وحين تعمق الرجل الأبيض داخل الجزء الشمالي الشرقي من قارة أمريكا الشمالية، وجد **الهنود الحمر** يستخدمون زيت البترول الراشح من هذه الينابيع في الطلاء وعمل الأدوية، مما أثار شهية بعض المغامرين، فراحوا يجمعون هذا الزيت ويعبئونه في زجاجات، ويبيعونه للناس باعتباره علاجاً يشفي جميع الأمراض (CURE ALL).

وأثناء العمليات التي كانوا يقومون فيها بالحفر بحثاً عن **الملح**، كثيراً ما كانوا يجدون الملح مختلطاً بزيت البترول، وكان ذلك مدعاة إلى ضجر وانزعاج هؤلاء الذين يقومون بتمويل عمليات الحفر عن الملح، ولهذا كانوا يقومون بالتخلص من البترول عن طريق حرقه.

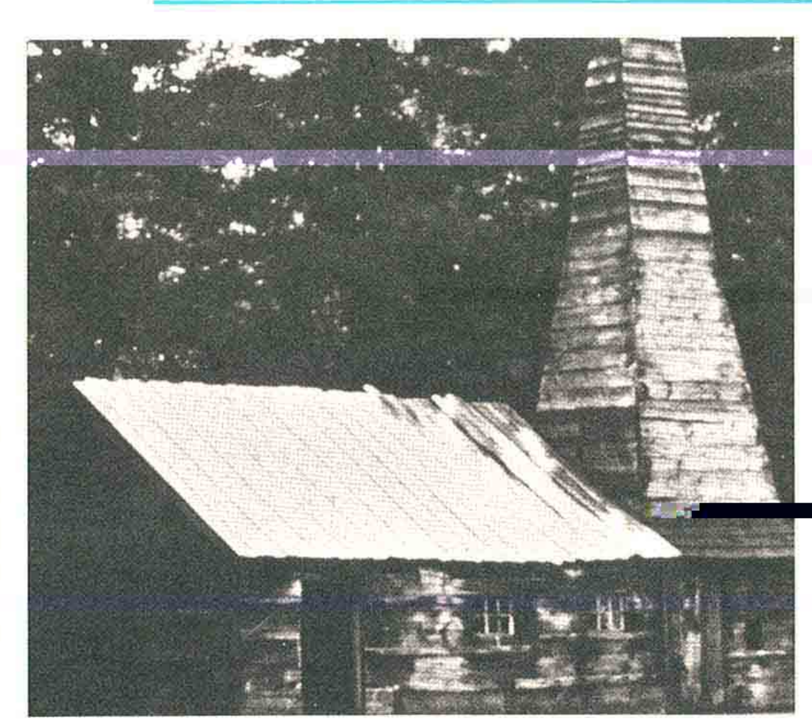
من بين هؤلاء المغامرين الذين وصلوا إلى العالم الجديد، واحد كان يدعى (**صمويل كير**)، الذي كان يمتلك عدداً من آبار الملح قرب **تارنتام بولاية بنسلفانيا** الآن، ولاحظ «كير» أن آباره تنتج كميات كبيرة من البترول بالإضافة إلى الملح، فقرر أن يستغل ذلك المنتج الثانوي، وأن يحقق منه ربحاً معقولا، ولذلك راح يعبئه في زجاجات لبيعها وسماه (**زيت صخر بنسلفانيا**)، ولكنه فشل في إيجاد سوق له، ولم ييأس كير، وتوصل إلى اختراع جهاز لتقطير هذا الزيت، وحصل منه على (زيت للمصابيح)، إلا أن محاولته هذه أيضاً لم يصادفها التوفيق، ومنيت بالفشل الذريع، فلقد كانت رائحة الزيت كريهة، ودخانه كان أسود وكثيفاً عند احتراقه.

إلى أن جاء منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث شهدت الولايات المتحدة ثورة في مجال التعليم، انتشرت المدارس في أرجاء البلاد، وانتشرت الجرائد والمجلات، وأصبحت الحاجة ملحّة إلى مصدر جديد للإضاءة يحل محل الشموع التي كانت تصنع آنذاك من زيت الحوت، الذي كان غالياً، وغير متاح لعامة الناس.

ودار البحث في كل من أوروبا وأمريكا على قدم وساق، سعياً وراء مصدر جديد رخيص للإضاءة، يمكن تصنيعه بسهولة، ويعطي ضوءً قوياً إذا احترق، وفي عام ١٨٤٧م، نجح **الكولونيل (فيريس** FERRIS) في تحويل زيت المصابيح الذي اخترعه كير إلى زيت جيد للإضاءة، ومن ثم أرسل رجاله يطوفون في أرجاء الولايات ليشتروا له زيت البترول بسعر عشرين دولاراً للبرميل الواحد، وهو سعر عال جداً لم نصل إليه إلا منذ سنوات قليلة!!.

وفي **كندا**، قام (**جيمس ميلر ويليامز** JAMES MILLAR

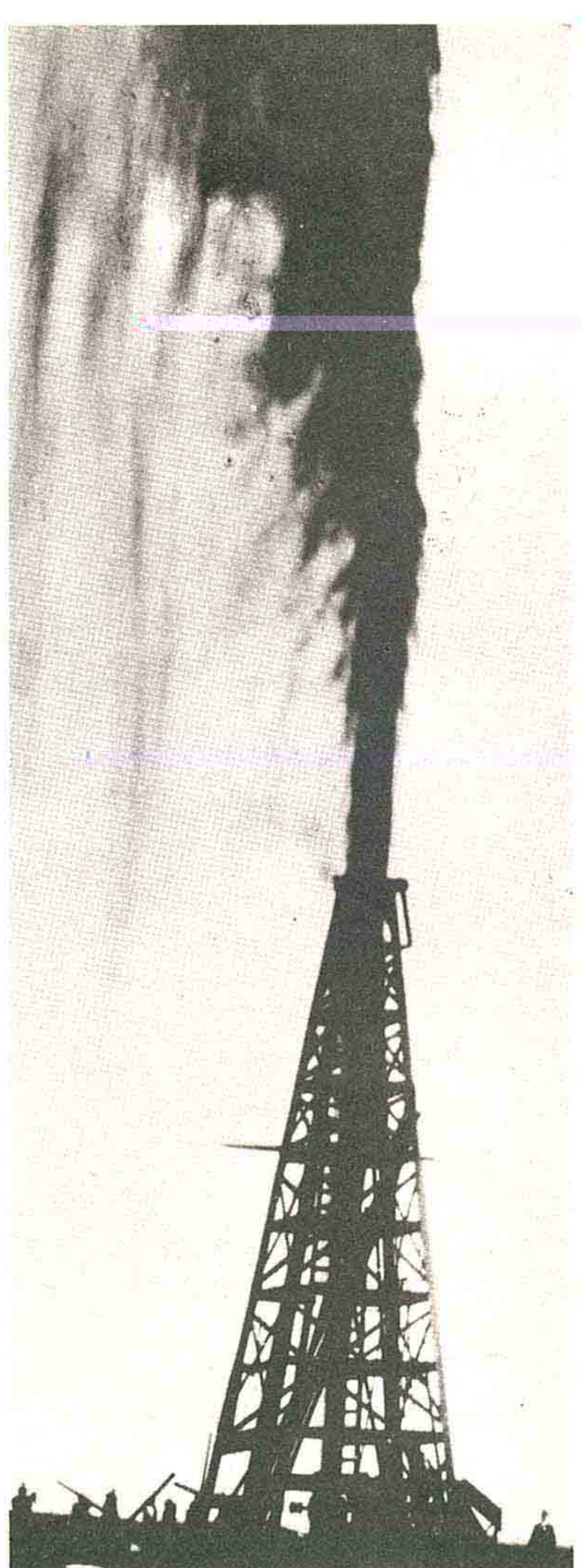
البحث عن النفط



★ في هذا الموقع حفر ادوين ديريك أول بئر بترولية عام ١٨٥٩ م ، في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأميركية ★



★ إعلان دعائي لزيت المحركات في بداياته الأولى ★ ◀



★ دفقة البترول الظاهرة في الصورة من بئر بدئ استغلالها يوم ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٠١ م ، كانت البداية التي جعلت من تكساس أهم المناطق المنتجة للبترول في الولايات المتحدة الأمريكية ، أما برج الحفر فكان مصنوعاً من الخشب ، ومركباً على زنود من جذوع الشجر ★ ◀

WILLIAMS) بتقليد فيريس ، وأنشأ معملاً للتكرير في أونتاريو لإنتاج زيت المصابيح .

ميلاد صناعة البترول

يعرف يوم السابع والعشرين من أغسطس (آب) عام ١٨٥٩ م ، بيوم ميلاد صناعة البترول ، حيث استطاع الأمريكي (أدوين ديريك EDWIN DRAKE) أن يحصل على الزيت مباشرة عن طريق حفر بئر في الأرض وصل عمقها إلى ٦٩,٥ قدماً (١٩,٩٥ متراً) فكان ذلك بداية عهد زاهر للنفط لا يزال في أوجه حتى يومنا هذا .

ولقد قضى (أدوين ديريك) زهاء ثلاث سنوات، يحاول خلالها جاهداً أن يجمع الزيت بواسطة المناشف من الينابيع الصغيرة التي كان البترول يتسرب إليها بصورة طبيعية من باطن الأرض، ولقد استخدم ديريك نفس الأدوات التي كانت تستخدم في حفر آبار الملح، وأنتجت بئره ٤٠ لتراً في اليوم، وهي كمية لم تكن متوقعة آنذاك، وتعد إنجازاً ضخماً في ذلك الحين، وبعد أقل من ٢٤ ساعة من حفر هذه البئر كانت الأرض حول الموقع تتخاطفها الأيدي في المزاد، وبروح تذكر بروح التسابق الشهير إلى الذهب الذي اكتشف بكاليفورنيا عام ١٨٤٩م، أخذت المدن تنبت بسرعة هائلة في كل مكان تحفر فيه الآبار، ولم ينقض عام واحد حتى كانت هنالك ٧٤ بئراً منتجة تقريباً على طول «**أويل كريك**» ـ وهي المنطقة التي حفر فيها ديريك البئر الأولى ـ وفي مدى خمس سنوات ارتفع الإنتاج ليصل إلى ٦٠٠٠ برميل يومياً.

ولقد لعبت الصدفة والحظ دوراً كبيراً في اختيار (ديريك) لموقع الحفر، حيث كان الزيت ـ بمجرد الصدفة البحتة ـ يتواجد قرب سطح الأرض، كما كان الوصول إلى المنطقة الموجودة بها الآبار سهلاً وميسراً، مما سهل عملية نقل المعدات وأجهزة الإنتاج إليها، ومن حسن الحظ أيضاً أن الزيت المنتج كان عالي الجودة، ويحتوي على نسبة قليلة من



★ أدوين ديريك بقبعته العالية واقفاً قرب البرج الخشبي وغرفة المحركات اللذين بناهما قريباً من بئره الأولى الشهيرة ★

عنصر الكبريت، الذي يؤدي تواجده إلى اكساب زيت البترول رائحة كريهة، وبذلك أصبح في الإمكان تكريره والحصول على كيروسين عالي الجودة بدون أي عمليات معقدة، ولو كانت البئر التي اكتشفها ديريك تحتوي على نسبة عالية من الكبريت لتأخر ميلاد هذه الصناعة فترة طويلة من الزمن، وذلك نظراً للصعوبات الكبيرة التي يواجهها رجال الصناعة في عمليات التخلص من الكبريت ومركباته.

نمو صناعة البترول

لقد قامت الحرب الأهلية الأمريكية والصناعة البترولية لا تزال حديثة العهد، وبانتهاء هذه الحرب ازدادت الحاجة إلى البترول من أجل بناء الدولة الجديدة، وأصبح هؤلاء الذين يضعون أيديهم على حقول البترول من أغنياء أمريكا. **ومما هو جدير بالذكر أن الرائد الأول لهذه الصناعة العملاقة (أدوين ديريك) لم يستفد كثيراً من هذه الصناعة التي ولدت على يديه، بل قضى سنواته الأخيرة في حالة تداني العوز إلى أن قضى نحبه.**

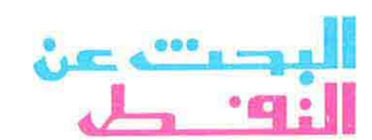
ولقد نمت معامل التكرير وتزايدت بسرعة بعد اكتشاف ديريك للبئر الأولى، حتى إذا جاءت نهاية عام ١٨٧٠م، أصبح هنالك ما يزيد عن مائة معمل للتكرير في الولايات المتحدة وحدها، وفي ذلك الوقت لم يكن لوقود السيارات (**الجازولين**) أو النافثا أي استخدامات تجارية، ولذلك كان يتم حرقها، أما **الكيروسين** الذي كان يتم الحصول عليه من معامل التكرير فقد كان يعد المنتج الرئيسي آنذاك.

ولقد كان **اختراع السيارة** السبب الرئيسي في أغلب التغييرات

★ «عصبة الملاقط»، وهي مجموعة من الرجال العاملين في خطوط أنابيب البترول قديماً، وسميت هذه المجموعة كذلك بسبب الملاقط التي كانت عدة هذه العصبة في شد الأنابيب وتثبيتها ★



المستمرة المتلاحقة في صناعة البترول، حيث زاد الطلب على الجازولين الذي كان يعد قبل ذلك من المخلفات، ولقد أدت زيادة حجم السيارة إلى الحاجة إلى آلات قوية أكثر مما دفع معامل التكرير إلى أن تبدأ في معالجة الجازولين بحامض الكبريتيك من أجل زيادة رقم الأوكتان، ولقد أصبحت هذه العملية ذات أهمية خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية،



★ تواجه عمليات الحفر في المنحدر الشمالي لألاسكا صعوبات ناجمة عن الطقس البارد هناك ★

وذلك نظراً لشدة الحاجة إلى وقود للطائرات له رقم أوكتان أعلى أثناء الحرب ، مما أدى إلى تقدم علم التكرير ، واستخدام المواد الحفازة في عمليات التكرير ، وساعد ذلك على تخليق عالم كامل جديد من المنتجات أعظمها شهرة الجازولين ووقود الطائرات النفاثة (النافثا) ، وزيت الديزل ، بالإضافة إلى العديد من زيوت التشحيم المستخدمة في الماكينات .

أين تتم عمليات الحفر

منذ أن قام ديريك بحفر أول بئر بترولية ، فتح المجال أمام العديد من الأفراد والشركات للبحث والتنقيب عن زيت البترول في كل مكان بالعالم تقريباً .

وقد تم اكتشاف احتياطات كبيرة من زيت البترول في كل من القارات بما في ذلك الرصيف القاري والخلجان والمستنقعات . ومن المعروف أن البترول لا يتواجد إلا في المناطق المحتوية على صخور رسوبية ، التي كانت في يوم ما مغمورة بمياه البحر ، وتقع مهمة تحديد هذه المناطق على الجيولوجيين والجيوفيزيائيين .

إن البترول يتواجد دائماً في المناطق التي تتميز بعدم التناسق في الطبقات الجوفية ، ولقد أدت التغييرات المستمرة التي طرأت على القشرة الأرضية خلال العصور الجيولوجية المختلفة ، إلى إحداث صدوع وثنيات وقبب وفوالق ، وكثيراً ما تتزحزح الطبقات والتكوينات الصخرية الموجودة تحت سطح الأرض نتيجة للضغوط الواقعة عليها ، كما أن الطبقات الصخرية الرسوبية من السهل أن تتحرك ، وهي بذلك تزود الزيت الذي يهاجر خلال مسامها بأماكن يمكن أن يتجمع فيها ، والتي تسمى **بالمصائد البترولية** ، وفيها يتم وقف هجرة الزيت بواسطة الغطاء الصخري الموجود أعلاها ، كما أن المصائد تكون محاطة بتكوينات وطبقات غير مسامية من الصخور ، تمنع هجرة الزيت من جوانب المصيدة .

وتتواجد أنواع عديدة من المصائد البترولية الناتجة من حركة الصخور وهي :

(١) المصائد المتكونة نتيجة الصدوع : وهذا النوع من المصائد يتم تكوينه عندما تنفصل الطبقات الصخرية عن بعضها البعض بحيث تؤدي إلى أن يتحرك قسم منها لأعلى أو إلى أسفل ، بينما يبقى الشق الثاني ثابتاً في مكانه ، ويؤدي طي الطبقات إلى أعلى نشوء الطيات المحدبة ، أو الطيات المستطيلة ، التي تحصر بينها الطيات المقعرة في المواقع المنخفضة .



★ عملية إنزال مواسير الحفر أثناء حفر بئر بترولية جديدة أو إصلاح بئر قديمة ★

(٢) المصائد الطبقية : وهي تحدث نتيجة لانخفاض مسامية ونفاذية بعض الطبقات الصخرية .

وتعرف المسامية بأنها مجموع كل المسامات (الفراغات) الموجودة في الصخور ، وهي تقدر بالنسبة المئوية لحجم الفراغات إلى الحجم الكلي ، أما النفاذية فهي مقياس لدرجة السهولة التي يتحرك بها السائل (الزيت أو الماء أو هما معاً) خلال الطبقات الصخرية .

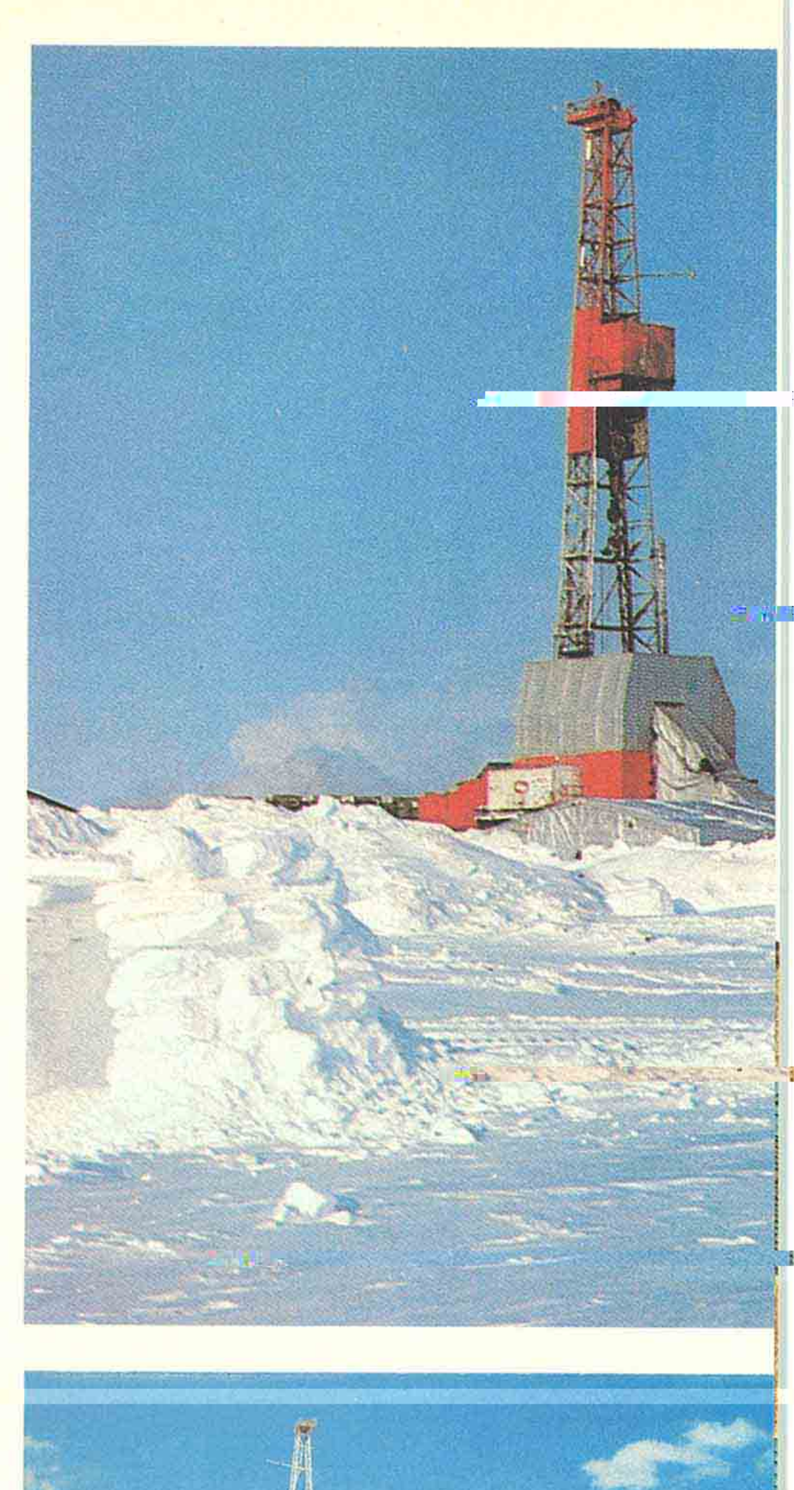
(٣) مصائد قباب الملح : وهي تتكون عندما تتحرك الصخور الملحية الواقعة تحت الطبقات الرسوبية إلى أعلى هذه الطبقات مكونة ما يعرف بالقبة الملحية ، التي يتراوح قطرها عادة بين ميل وميلين ، وتتكون المصائد البترولية عادة على جوانب هذه القباب ، ويتدفق معظم الزيت المنتج في خليج السويس من مصائد على شكل قباب الملح .

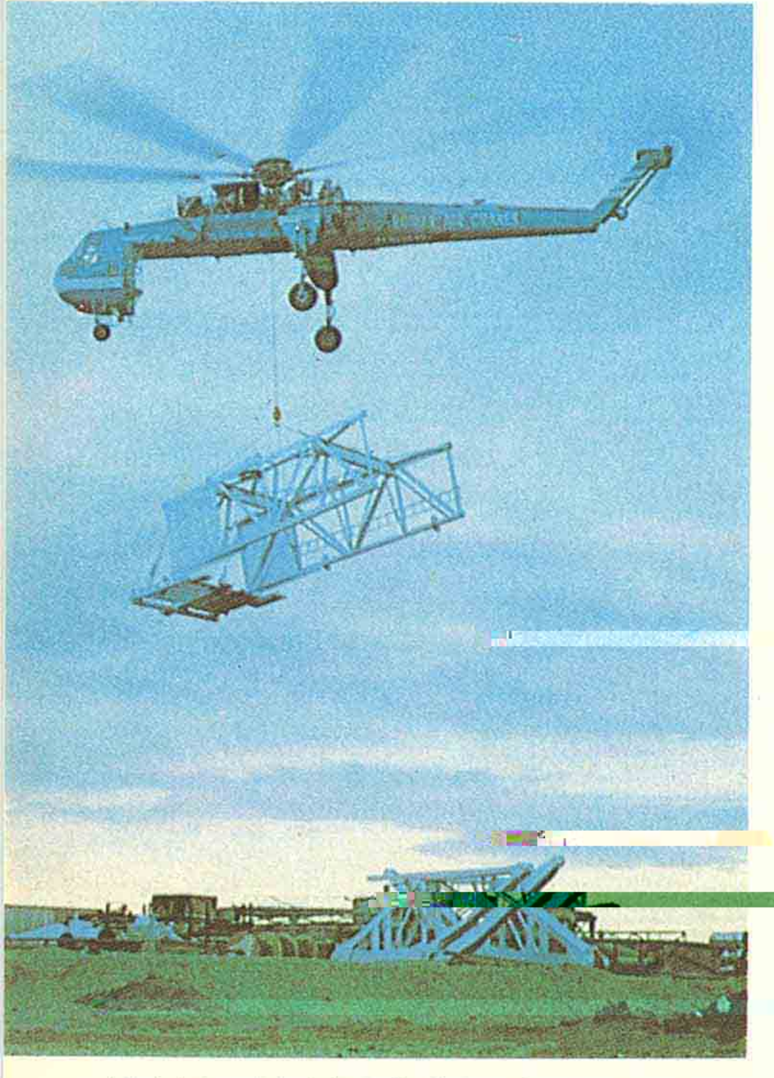
طرق البحث عن البترول والغاز الطبيعي

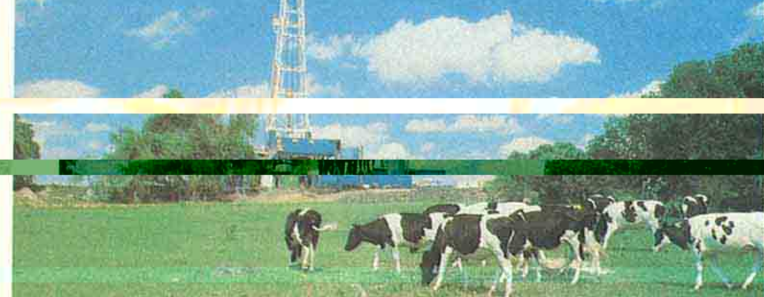
هناك عدة طرق تستخدم لمعرفة الأماكن التي يحتمل أن يتواجد فيها البترول أو الغاز الطبيعي. غير **أن الوسيلة الوحيدة التي نستطيع بها أن نجزم بأن منطقة ما تحتوي على الزيت أو الغاز، هي الحفر، وأهم الطرق المستخدمة في البحث ما يلي :**

(١) المسح الجوي للكشف عن الطبقات المختلفة الموجودة فوق سطح الأرض في المناطق النائية، حيث ترتبط كل حقول البترول الموجودة في العالم بالعناصر التضاريسية لسطح الأرض، ومن المعروف أنه لا يوجد حقول بترولية أو آثار سطحية للبترول في الأماكن المركزية لسلاسل الجبال، حيث توجد الصخور النارية، أو الصخور المتحولة، ولكنها تتواجد في أطراف هذه السلاسل الجبلية، كما يوجد عدد كبير من حقول البترول في المنخفضات الكبيرة التي تقع بين المناطق الجبلية الضخمة.

ويفيد المسح الجوي في تحديد هذه الأماكن، وقد استفيد من الصور

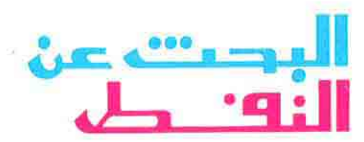


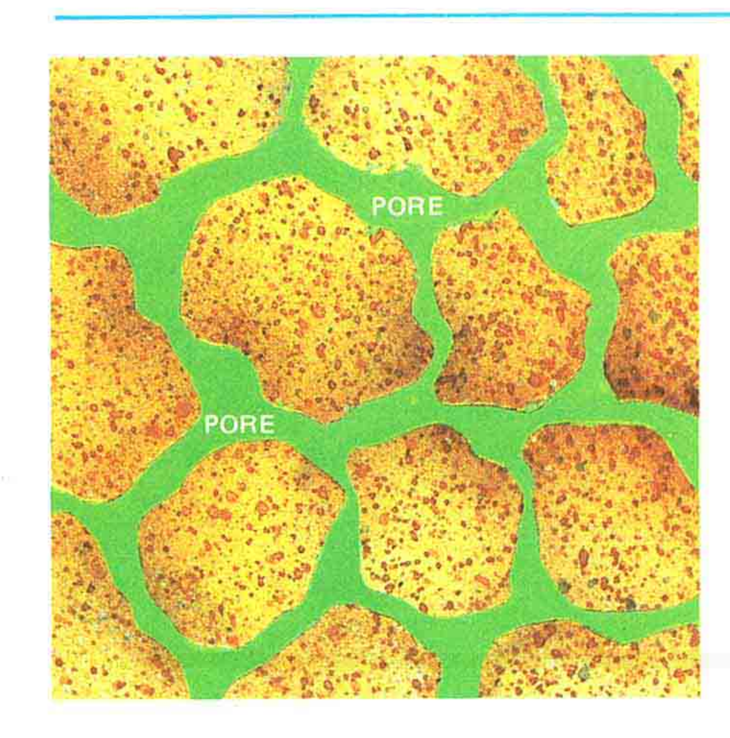


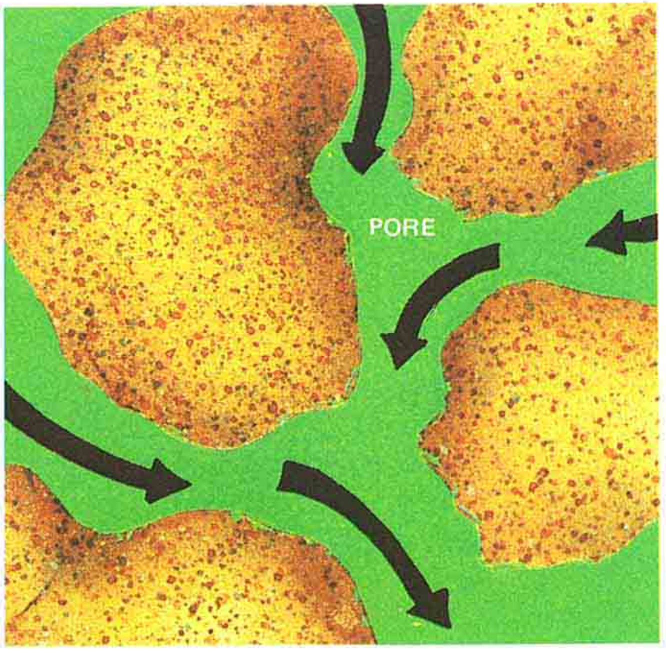


★ صورة توضح جهازاً للحفر يبحث عن زيت البترول في مزرعة بولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية ★

★ طائرة هليوكبتر ضخمة تستخدم في نقل جهاز الحفر والإمدادات إلى السهل المنحدر الشمالي في ولاية الاسكا ★







▲ ★ الأسهم في الصورة توضح اتجاه حركة زيت البترول أو الغاز الطبيعي بين مسام الصخر ★

◀ ★ عينة من الصخور المكونة لخزان البترول الموجود تحت سطح الأرض ، يلاحظ وجود مسام بين حبيبات الصخر التي يمكن أن يتواجد زيت البترول أو الغاز الطبيعي فيها ★

التي التقطتها الأقمار الصناعية لهذا الغرض .

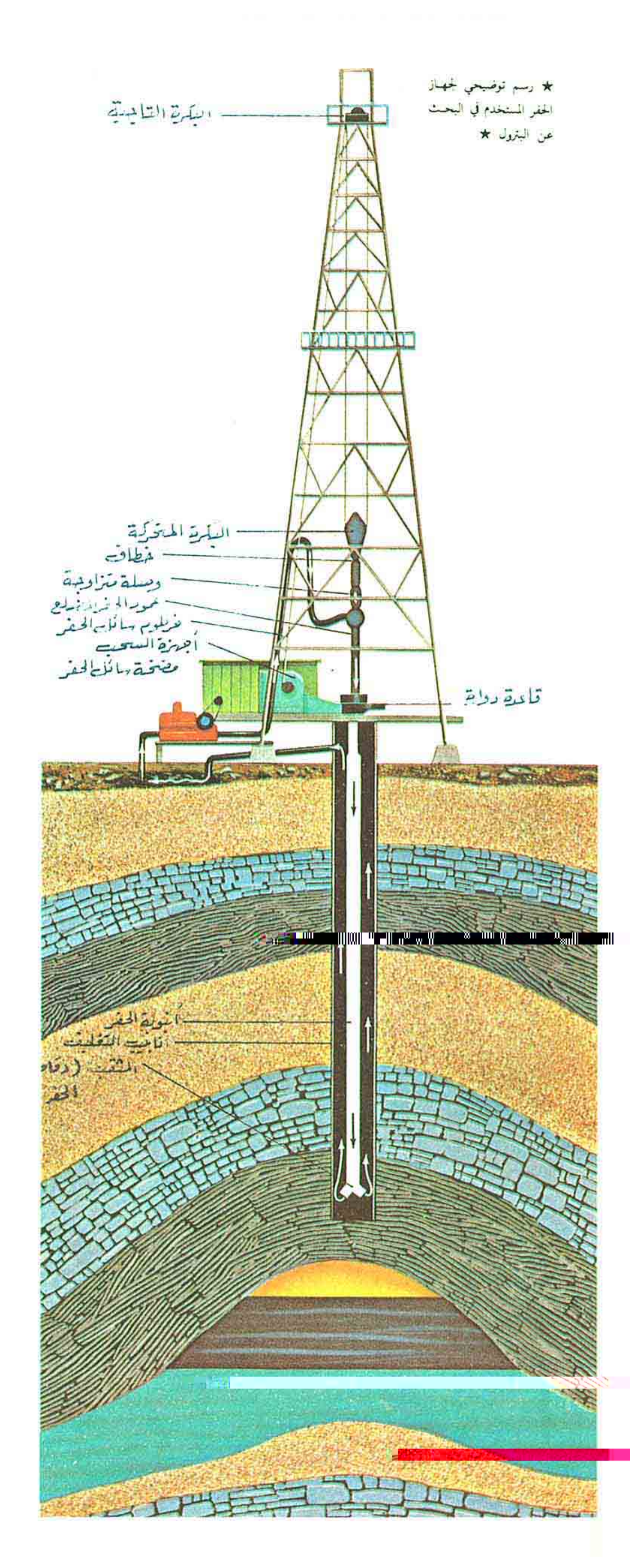
(٢) رسم الخرائط السطحية : التي عن طريقها يستطيع الجيولوجي أن يدرس سطح الأرض ، ويتعرف على التكوينات الصخرية لطبقاتها ، وتتم هذه الطريقة بعد معاينة الجيولوجي للموقع قيد البحث ، ومعرفته لنوع الصخور ، وشكل الطبقات ، ودراسته لطوبوغرافيتها ، ثم يقوم الجيولوجي بعد ذلك برسم الخرائط السطحية التي تساعد في تحديد ما إذا كان البترول متواجداً في هذه المنطقة أم لا .

(٣) طرق البحث الجيوفيزيقية : والجيوفيزيقا كلمة تعني فيزياء الأرض . . وهي تهدف إلى دراسة الخواص والظواهر الطبيعية للأرض ، والتغيرات التي تطرأ عليها بشكل عام ، شاملة النواحي الميتورولوجية (رياح وحرارة وأمطار) والمغناطيسية والجاذبية ، والهزات الأرضية ، والتعرف على البنية الداخلية للأرض ، وتهدف طرق البحث الجيوفيزيقية إلى معرفة الخواص الطبيعية للصخور ، **ومن أشهر الطرق الجيوفيزيقية ما يأتي :**

★ **أولا : الطريقة السيزمية** THE SEISMIC METHOD : وفيها يتم إحداث زلزال صناعي بين الصخور المكونة للقشرة الأرضية باستخدام المفرقعات ، وتعتمد هذه الطريقة على قياس سرعة الموجات الصوتية التي تنتج من تفجير هذه المفرقعات ، فمن المعروف أن الموجات الصوتية تمر داخل الأجسام الصلبة بسرعات مختلفة نظراً للاختلاف في كثافاتها ، فعلى سبيل المثال نجد أن سرعة انتقال الموجات الصوتية في الصخور النارية والمتحولة (صلدة) أكبر منها في الصخور الرسوبية (أقل صلادة) ، كما أن سرعتها خلال الطبقات الملحية الصخرية تكون أكبر بكثير من سرعة انتقالها في تكوينات الصلصال والطفل ، ويتضح ذلك من الجدول الآتي الذي يوضح سرعة انتقال الموجات الصوتية خلال أنواع مختلفة من الصخور :

وفي هذه الطريقة يتم عمل حفرة في الأرض يبلغ عمقها من ١٠٠ إلى

الصخر	الطمي	الحجر الجيري	الطفل	الملح الصخري	الجرانيت البازلت
سرعة الصوت قدم/ ثانية	٦٠٠٠ ـ ٨٠٠٠	١٦٠٠٠ ـ ١٨٠٠٠	٦٠٠٠ ـ ١٣٠٠٠	١٥٠٠٠ ـ ١٧٠٠٠	١٩٠٠٠ ٢٠٠٠٠



★ رسم توضيحي لجهاز الحفر المستخدم في البحث عن البترول ★

١٢٠ قدماً ، وتوضع شحنة متفجرة مثل الديناميت داخلها ، وفي نفس الوقت توضع أجهزة حساسة تقوم بالتقاط الموجات الصوتية وتسجيلها ، وتسمى **الجيوفونات** GEOPHONES ، ثم يتم التفجير ، وتسجل الجيوفونات الموجات الناتجة عن الانفجار والتي ترتد إليها بعد انكسارها وانعكاسها عند السطوح الفاصلة بين الطبقات الصخرية المختلفة ، وفي نفس الوقت يتم قياس الزمن بين لحظة التفجير ، ولحظة وصول كل موجة صوتية إلى أجهزة التسجيل ، ويجري كل ذلك أوتوماتيكياً ، وبذلك يمكن حساب العمق الذي يقع عنده السطح العاكس بين الطبقات الصخرية ، كما يمكن معرفة نوع الصخور والتراكيب الجيولوجية الموجودة تحت سطح الأرض ، ولقد استخدمت هذه الطريقة بنجاح كبير في عمليات البحث والتنقيب عن البترول ، وأمكن بواسطتها اكتشاف كميات هائلة من زيت البترول في مناطق مختلفة من العالم .

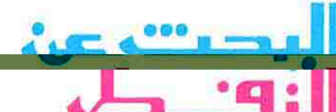
★ ثانياً : طريقة الجاذبية GRAVIMETRIC METHOD :
تختلف **قوة الجاذبية الأرضية** من مكان إلى آخر على سطح القشرة الأرضية ، ويرجع ذلك إلى اختلاف كثافة الصخور المختلفة المكونة لهذه القشرة ، فمن المعروف أن الصخور النارية مثل الجرانيت والبازلت أكبر كثافة من الصخور الرسوبية كالطفل والطين ، ولذلك فإن قياس الجاذبية الأرضية في أماكن مختلفة على سطح الأرض يؤدي إلى التعرف على التكوينات الداخلية للصخور الموجودة في هذه الأماكن ، كما يؤدي إلى معرفة أماكن الالتواءات بها ، ويستخدم لذلك الغرض جهاز خاص يسمى **الجرافيمتر** GRAVIMETER ، أو جهاز مقياس الجاذبية ، وهو يقيس قوة جذب كتل الصخور المدفونة ، ويعطينا بيانات عن عمق وطبيعة التكوينات الصخرية الموجودة تحت سطح الأرض ، وباستخدام هذه البيانات يمكن رسم خرائط كونتورية تفيد الجيولوجيين في دراسة هذه التكوينات ، ومعرفة احتمالات تواجد البترول أو الغاز الطبيعي خلالها .

★ ثالثاً : الطريقة المغناطيسية : وتتشابه فكرة هذه الطريقة والطريقة السابقة إلى حد كبير ، فمن المعروف أن الأرض ككل لها مغناطيسية ولها مجال مغناطيسي ، بحيث تبدو كما لو كانت تحتوي بداخلها على مغناطيس كبير ، وقد دلت التجارب العلمية على أن للأرض قطبين مغناطيسيين قريبين من القطبين الجغرافيين ، ولذلك فإن البوصلة المغناطيسية تأخذ دائماً اتجاه الشمال ـ الجنوب في أي مكان على سطح الأرض .

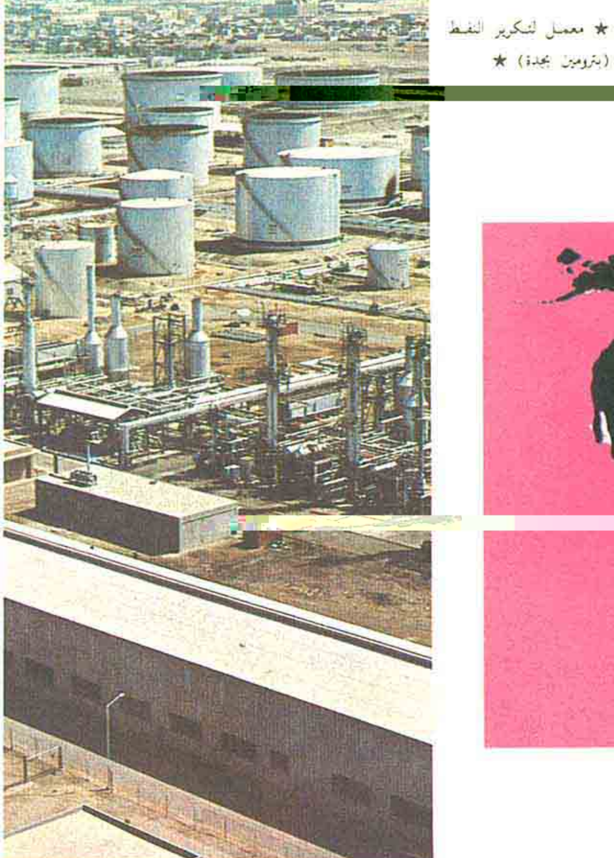
ومن السهل قياس المجال المغناطيسي للأرض ، وقياس شدته عند أي نقطة ، وبذلك يمكن رسم خرائط مغناطيسية لجميع أنحاء سطح الأرض تقريباً .

ولما كانت التكوينات الصخرية المكونة للأرض تحتوي على طبقات غير متجانسة من الصخور التي لبعضها خواص مغناطيسية ، فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف شدة المجال المغناطيسي للأرض من نقطة إلى أخرى ، ويحدث ذلك بصورة واضحة إذا احتوت الطبقات القريبة من سطح الأرض على مواد مغناطيسية كالحديد أو النيكل .

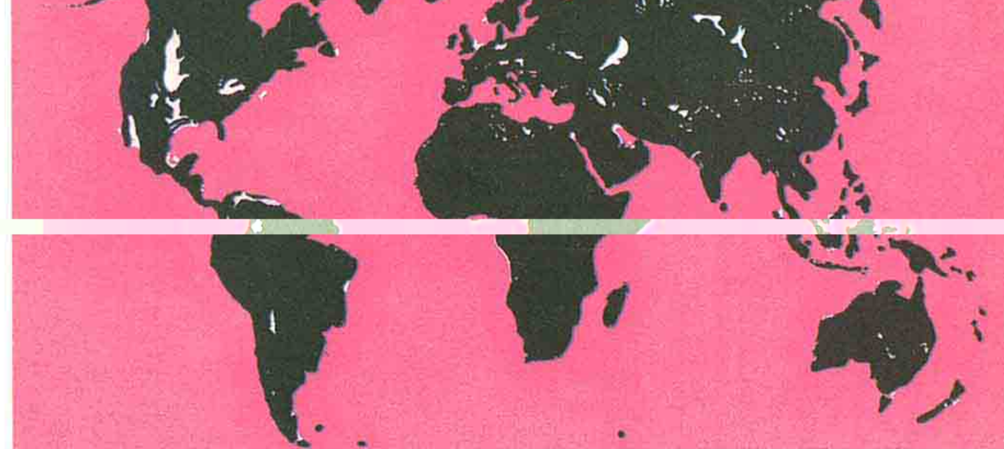
ويستخدم جهاز خاص يسمى **الماجنيتومتر (أو المغناطومتر)**




البحث عن النفط



★ معمل لتكرير النفط
(بترومين بجدة) ★



▲ ★ الأماكن الرئيسية التي يجرى فيها البحث والتنقيب عن البترول والمناطق التي اكتشف فيها البترول والغاز الطبيعي والموضحة بالمناطق البيضاء ★

▼ ★ مصطبة تعبئة ناقلات نفط ★

MAGNETOMETER في قياس شدة المجال المغناطيسي للأرض في مواقع مختلفة ، وتشير الاختلافات المسجلة لشدة المجال المغناطيسي إلى عمق وطبيعة الطبقات الصخرية التي لا يمكن مشاهدتها من الأرض ، وتفيد هذه الطريقة في عمليات البحث والتنقيب عن المعادن وعن البترول في الأماكن التي يتعذر الوصول إليها ، حيث يمكن استخدام الطائرات في عملية المسح الجوي المغناطيسي لسطح الأرض .

★ **رابعاً : الطريقة الكهربية** : وهي تعتمد على خاصية اختلاف المعادن والصخور في شدة توصيل كل منها للكهرباء أو ممانعتها لسريان الكهرباء فيها ، ومعظم المعادن ذات البريق المعدني يفوق توصيلها للكهرباء توصيل الصخور التي تحويها بعدة آلاف المرات ، ولذلك ، ففي هذه الطريقة يمرر تيار كهربي مستمر أو متقطع في الأرض على عمق قليل داخل القشرة الأرضية بين زوج من الأقطاب الكهربائية ، ومن الطبيعي أن تختلف شدة سريان التيار الكهربي خلال طبقات الأرض تبعاً لقدرة هذه الطبقات على توصيل التيار الكهربي ، وكلما بعدت المسافة بين القطبين الكهربيين المار فيهما التيار ازداد العمق الذي يمكن أن يصل إليه التيار الكهربي .

وتفيد هذه الطريقة في معرفة طبيعة التكوينات الجيولوجية الموجودة تحت سطح الأرض .

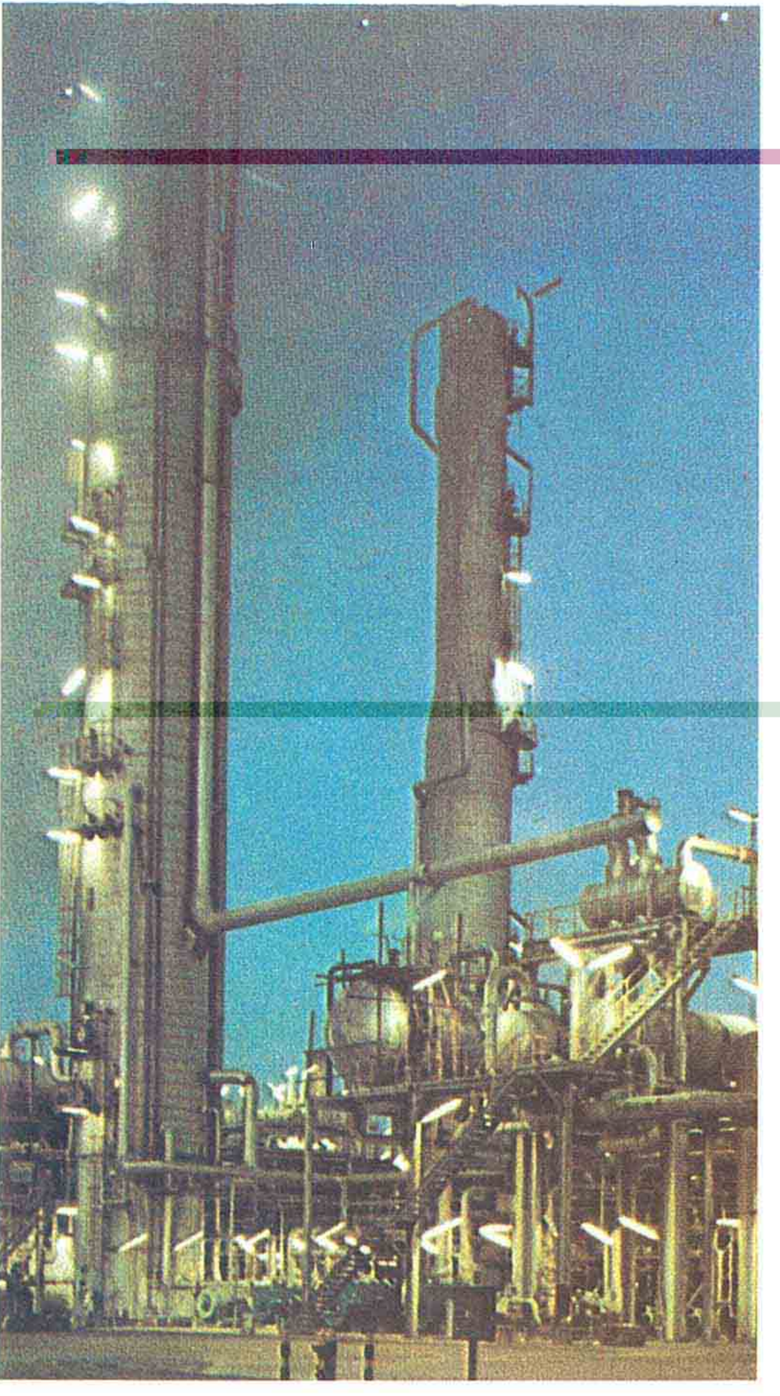
(٤) **حفر آبار الاستكشاف** : ويأتي ذلك في نهاية عمليات البحث ، ويعتبر حفر هذه الآبار أكثر الطرق التي يوثق فيها عند الاستكشاف عن الزيت ، ولكنه أكثر تكلفة ، وإذا عثر على البترول في إحدى هذه الآبار ، يتم حفر آبار أخرى حولها لتعيين حدود الحقل البترولي ، وتقييم الأهمية التجارية له ، ومعرفة احتياطي الزيت والغاز داخله .

وبعد التأكد من وجود البترول تكون الخطوة التالية هي حفر آبار الإنتاج ، ويلزم لعمل ذلك القيام بعدة أعمال مثل تعبيد الطرق وتمهيدها لتسهيل عمليات النقل والإمداد بالتموين .

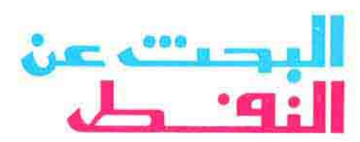
ويجب أن يؤخذ في الاعتبار الظروف المناسبة للتربة ، والظروف الجوية عند عمليات الحفر ، وتختلف الأجهزة المستخدمة في البر عن تلك المستخدمة في البحر ، ومن أهم المشاكل التي تواجه رجال الحفر في المناطق القطبية أو في الغابات الاستوائية ، هي عدم وجود طرق ممهدة لنقل آلات الحفر إلى هذه المواقع ، ولذلك تستخدم الطائرات المروحية في هذا الغرض ، وفي **خليج المكسيك** يوجد خطر الزوابع ، وفي **سهول الاسكا الشمالية** جوبهت مشكلة انهيار رؤوس الآبار والمواسير نتيجة لذوبان الجليد ، وتتفاقم المشاكل أثناء الحفر في البحار نظراً لمشاكل المد والجزر والعواصف والأمواج ، كما هو الحال في **مضيق كوك بألاسكا** ، وكما هو الحال في بحر الشمال .

ويستلزم عمليات الحفر في البحار والخلجان تشييد أرصفة بحرية للإنتاج وسط المياه ، ويكلف ذلك كثيراً ، كما يستدعي ذلك مد خطوط الأنابيب إلى البر .

وتختلف الأدوات المستخدمة في الحفر التي تسمى : **الدقاقات** تبعاً لنوع التكوينات الصخرية التي سيتم فيها الحفر ، وفي بعض الأحيان يستخدم أكثر من نوع من هذه الدقاقات في الموقع الواحد ، نظراً للاختلاف في صلادة الصخور التي تتكون منها الطبقات الجيولوجية الموجودة تحت سطح الأرض ، **وهناك ثلاث طرق رئيسية لحفر الآبار هي** : الحفر السلكي ، والحفر الدوار ، والحفر بالماس ، ويفضل الحفر بالدقاقات المصنوعة من الماس في الصخور الصلدة جداً ، حيث تبلغ صلابة الماس حوالي ٤٠ إلى ٥٠ ضعف صلابة الحديد الصلب .



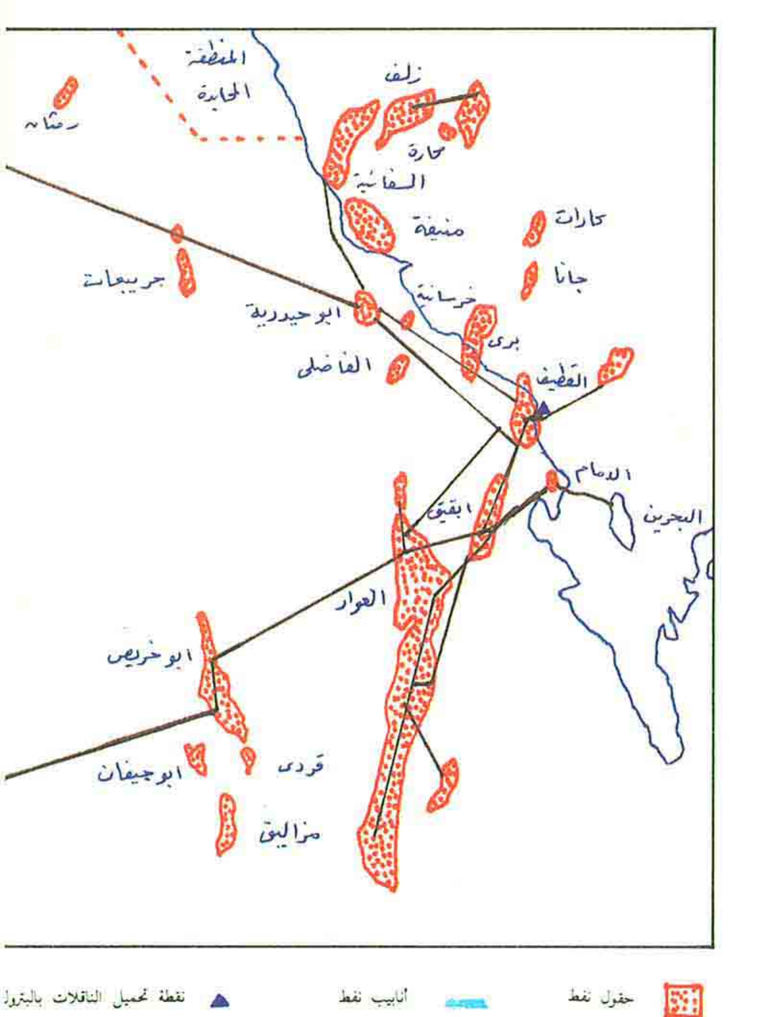
★ مصفاة نفط ★



البحث عن البترول في السعودية

نشطت عمليات البحث عن البترول في **المملكة العربية السعودية** وفي منطقة شبه الجزيرة العربية مع زيادة الاعتماد على البترول كوقود ، وتنافست الشركات على الحصول على امتيازات الحفر في هذه المنطقة الغنية باحتياطيها من الزيت ، وقد حصلت شركة الزيت العربية الأميركية (**أرامكو** ARAMCO) على امتياز الحفر في معظم المنطقة الإدارية الشرقية بالسعودية وبعض المناطق البحرية المقابلة لها ، ويسري هذا الامتياز من عام ١٩٣٣ م ، أما **شركة تنكو** TENNCO ، فهي تختص بالبحث في سواحل البحر الأحمر ومياهها المقابلة ، أما المؤسسة العامة للبترول والثروة المعدنية السعودية (**بترومين**) فهي مؤسسة حكومية تقوم بمتابعة الاستكشاف ، وعقد اتفاقيات البحث عن النفط مع الشركات الأجنبية التي تعمل في الحفر ، على أن يكون لبترومين حق المساهمة بنسبة ٥٠ ٪ من رأس المال بعد اكتشاف النفط بكميات تجارية . كما أسست بترومين **شركة المسح الجيولوجية والجيوفيزيائية** لرسم الخطوط الكبرى للبحث عن المصادر الطبيعية غير البترول ، وأسست أيضاً **شركة الحفر العربية (أدس)** بالتعاون مع شركتي حفر فرنسيتين ، وقد حصلت هذه الشركة على عقود في **المملكة العربية السعودية** وفي المنطقة المحايدة .

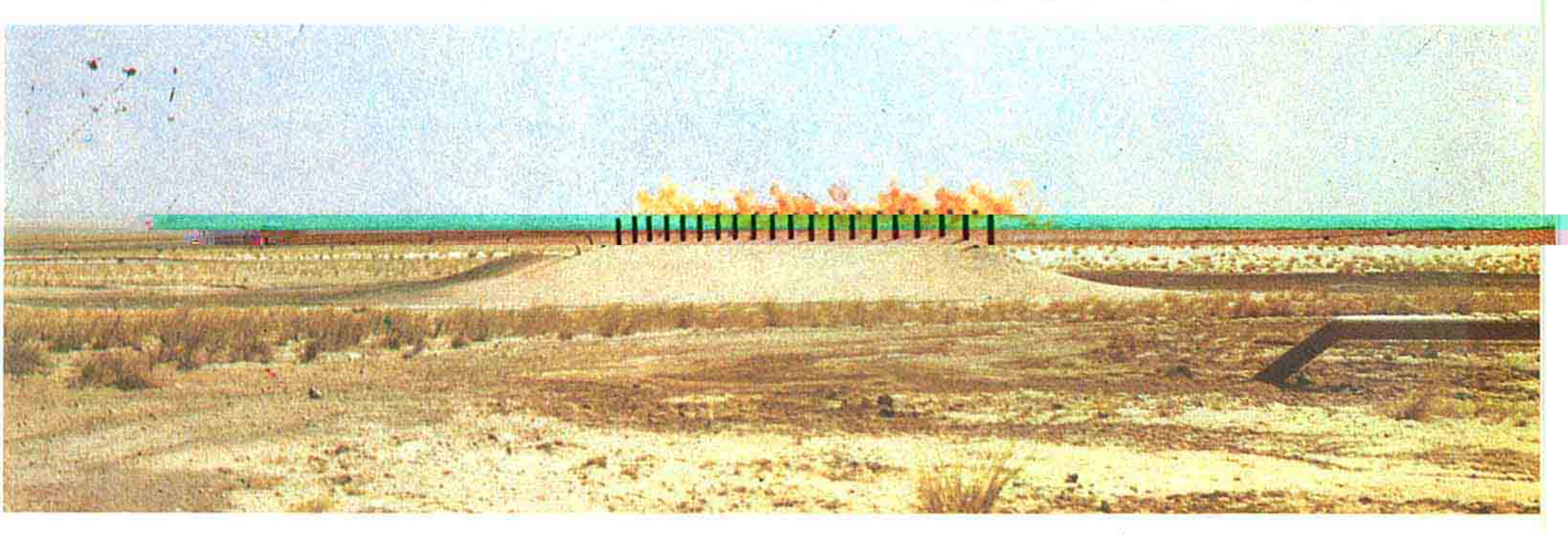
ومما هو جدير بالذكر أن **حقل غوار يعتبر أهم حقل منتج للنفط في العالم ، وهو يقع على بعد ٥٠ ميلاً إلى الشاطئ الغربي للخليج العربي داخل الأراضي السعودية في منطقة الأحساء ، وقد اكتشف هذا الحقل عام ١٩٤٨ م ، عندما حفرت أول بئر تجريبية في عين دار** ، ثم توالت الآبار بعد ذلك ، حيث حفرت بئر **حارثة** عام ١٩٤٩ م ، **والعثمانية** عام ١٩٥١ م ،



★ حقول البترول بالمملكة العربية السعودية ★

وشدغم عام ١٩٥٥ م ، وكلها تقع على نفس الطية المحدبة المكونة لحقل غوار .

والجدول التالي يوضح الحقول المنتجة للنفط في المملكة العربية السعودية ، وتاريخ اكتشافها ، وعمق كل منها بالأقدام ، وذلك حتى نهاية عام ١٩٧٨ م :



★ إحراق الغاز الزائد . سوف يتلاشى هذا المنظر في المستقبل القريب عند إنشاء مصنع تعبئة الغاز الطبيعي ★

اسم الحقل	تاريخ الاكتشاف	العمق بالأقدام	الآبار المنتجة طبيعياً	متوسط الإنتاج اليومي خلال الستة شهور الأولى لعام ١٩٧٩ م (برميل / يوم)	درجة الكثافة
أبقيق	١٩٤٠	٦٩٦٠	٥٣	٦٦٧٠٠٠	٣٧
أبو حدرية	١٩٤٠	٩٣٤٠	٧	٩٥٠٠٠	٣٥
أبو سعفة	١٩٦٣	٦٦٠٠	١٧	١٣٩٠٠٠	٣٠
بري	١٩٦٤	٨٣٠٠	٣١	٥٣٧٠٠٠	٣٢
الدمام	١٩٣٨	٤٨٠٠	١٢	٢١٠٠٠	٣٥
فاضلي	١٩٤٩	٨٠٥٠	٣	٤٦٠٠٠	٣٩
غوار	١٩٤٨	٦٩٢٠	٣٥٦	٥٠٩٦٠٠٠	٣٤
خريص	١٩٥٧	٥٢٠٠	٩	٣٣٠٠٠	٣٣
خرسانية	١٩٥٦	٦٥٦٠	٢١	٢٠٨٠٠٠	٣١
منيفة	١٩٥٧	٧٩٥٠	—	٢٣٠٠٠	٢٩
مرجان	١٩٦٧	٦٨٠٠	٧	١٠٨٠٠٠	٣٣
قطيف	١٩٤٥	٧١٠٠	٢٣	١٥٠٠٠٠	٣٢
صفانية	١٩٥١	٥١٠٠	١٥٤	١٣١٤٠٠٠	٢٧
ظلف	١٩٦٥	٥٨٠٠	٣٢	٥٥٧٠٠٠	٣٢
حرمالية	١٩٧١	٨٤٣٠	—	—	٣٥
المجموع			٧٢٥		

أهم المراجع

(١) د . أحمد رمضان شقلية : الخريطة النفطية لشبه الجزيرة العربية ، **مجلة «الفيصل»** ، العدد ٢٦ ، شعبان ١٣٩٩ هـ/يوليو (تموز) ١٩٧٩ م .

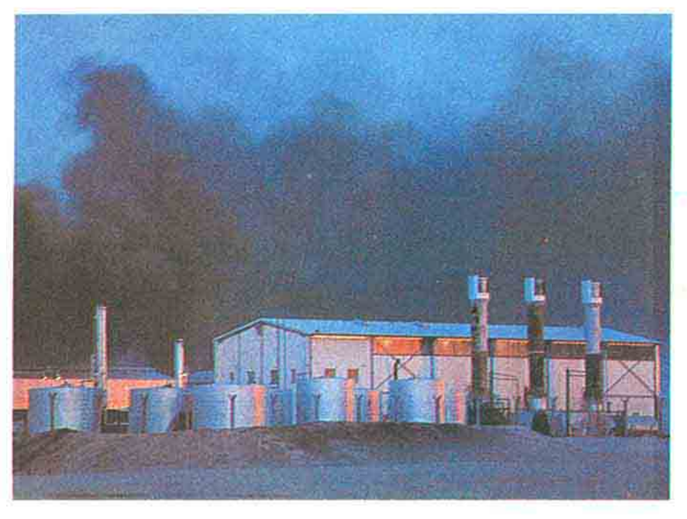
(٢) الأسس النظرية للبحث والتنقيب عن البترول لباكيروف وآخرون ، ترجمة : الدكتور سمير رياض ، دار مير ، موسكو .

3 - International Petroleum Encyclopedia, Vol. 12, New York, 1979.

4 - Oil & Gas Journal, Dec. 1978.

5 - Ron, Baker, A Primer of Oil-Well Drilling, Austin, Texas.

6 - World Oil, Drilling, new and old, October 1979.



★ منشآت بترولية في حقل للنفط ★

لوحة و فنان

● الثالث من مايو عام ١٨٠٨م ●

رسم جويا تلك اللوحة عام ١٨١٤م بالألوان الزيتية على قماش بمقاس ٢٦٦ × ٣٤٥ سم الموجودة حالياً بمتحف **بارادو** **بمدريد** تعبيراً عن أحداث عامي ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩م، التي كانت بمثابة قفزة جديدة في فنه، وكانت تلك الأحداث حينما أرسل **نابليون** جيوشه إلى **إسبانيا**، واستسلم الملك والطبقة الأرستقراطية بسهولة، وقد ثار الشعب ضد الغزاة، وصور جويا هذا في عملين عظيمين هما الثاني والثالث من مايو (أيار)، وقد صور في الأولى الثورة في المدينة. وفي الثانية «المنشورة هنا» قيام القوات الفرنسية بإعدام الثوار.. وفي تلك اللوحة نجد أنه ركز بقعة الضوء على الإنسان الثائر الذي يرتدي قميصاً أبيضاً، وهو محور الموضوع، ونجد أن كل شيء غير جوهري بالنسبة للموضوع قد محي.. فقد استخدم ألواناً بسيطة توحي بدراية الموضوع.. وترجع أهمية هذه اللوحة إلى أنها تصور وتسجل أحداث أمته في ذلك الوقت.

● فرانسيسكو دي جويا ●

● ولد **جويا** بإسبانيا في عام ١٧٤٦م، وتوفي عام ١٨٢٨م.

● كان فقيراً، وقد ثقف نفسه بنفسه، فقرأ أعمال **الأنسكلوبيديين** **الفرنسيين** والفلاسفة النقديين من أمثال **روسو**، **وفولتير**.

● وجه فنه ليعكس بطريقة مباشرة **التاريخ** لزمانه، وهكذا أبرز مستوى جديداً من الواقعية، فغيَّر من شكل الفن، وعبَّر عن الأحداث الجسيمة في أواخر القرن الثامن عشر.. وتميز أعماله في تلك الفترة إلى الهدوء والاهتمام بحياة القرية والتعاطف مع الفقراء والمعذبين.

● أصبح جويا الصديق المقرب للمصلحين والمثقفين البارزين في الحياة الإسبانية، ولبعض الوزراء، وقد بدأ يرسم صوراً لشخصيات البلاط.

● في عام ١٧٩٩م، نشر سلسلة من الكتابات والرسوم تحت عنوان «**أهواء**» عبَّر فيها عن بعض أشكال الجنون الشائع، وعن بعض العادات في عصره، وقد أبرزها في إطار المشكلات الإنسانية والأخلاقية والسياسية.. تم إنجاز معظم تلك الأعمال بعد أن وصل إلى سن الخمسين.

● حتى عام ١٧٩٥م، كان **مديراً لقسم التصوير** **في الأكاديمية**، وكان فنه يتبع أنموذج التكوين السليم الموجود في الـ[...] جـ[...]زها الجهل كمادة لموضوعاته الساخرة وأبرزها كمسوخ، ثم تم سحب الكتاب بعد أيام قليلة من نشره ولم يسمح ببيعه للناس إلا بعد فترة تحجير قصيرة (١٠٦/١ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨).

● مارس **فن النحت**، وكانت له أعمال قريبة أكثر فيها من التماثيل، كما كانت له أعمال متميزة في **فن الحفر**، بتركيز أسلوب جميل، وكانت بمثابة تصاوير واقعية للحياة الإسبانية رغم أنها تحتوي على أشكال خيالية ورمزية.

● كان صور «**مستشفى الأمراض العقلية**»، و«**موكب الجلادين**» و«**محكمة التفتيش**» بطريقة واقعية، وعبَّر عن الشر بأكبر قدر من السوء والقبح، فتطرف في مجموعة كبيرة من اللوحات.

● أمضى سنواته الأخيرة بعد عام ١٨٢٤م في منفى فرضه على نفسه وهو يرسم صوراً رمزية لرفاقه الإسبان في المنفى، ويجسد فنه حياة الرواية الإسبانية من القمة إلى القاعدة.



جاكوار ذات القوة الخارقة

مهما بحثت، لن تجد سيارة أخرى تماثل جاكوار في أدائها.
فجاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تحقق سرعة ١٠٠كم/ساعة في أقل من ١٢ ثانية بينما تتجاوز سرعتها القصوى حدود ٢٠٠ كيلومتر بالساعة.

وهي الى جانب ذلك تستجيب استجابة تامة لتحكمك بها في كافة أحوال القيادة.
بينما يحافظ نظام التعليق المقاوم للهبوط في المقدمة على التوازن المنتظم حتى اثناء الكبح بالسرعات العالية. ولتأمين المزيد من السلامة والامان بالسرعات العالية، فان منصة قاعدة الهيكل الصلبة توفّر مركز ثقل منخفض، وهذا يعني بالحقيقة قدراً اكبر من الثبات والاستقرار على الطريق.

ان سيارة جاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تعكس دون شك، التقاليد العريقة لسيارات جاكوار الاصيلة.

اكتشف القوة الكامنة في سيارة جاكوار لدى وكيل جاكوار المعتمد في منطقتك.



أبو ظبي: الشركة المتحدة للسيارات والتجارة
البحرين: محمّد جلال وأولاده

الكويت: شركة السيارات الكويتية للتجارة ذ.م.م
المملكة العربية السعودية: شركة العليّان للمقاولات العامة
دبي: عبد الرحمن الزياني وأولاده

سلطنة عمان: محسن حيدر درويش
قطر: شركة الدوحة للسيارات والتجارة

من عادات الشعوب

حكايات من افريقيا

بقلم: مهندس سيد علي شعبان

تتابعت الأجيال وتتالت، وانقرضت أمم وزالت.. وتطورت الحضارات.. وتغيرت كثير من المفاهيم والأفكار.. وتحولت قصص الأجيال القديمة، التي كانت يوماً ما تعد قصصاً مقبولة الأفكار.. منطقية الأحداث.. تحولت إلى أساطير ينظر لها جيلنا أحياناً بالاستخفاف.. وأحياناً بالدهشة والإعجاب، لسعة خيال الأجداد وأفكارهم المليئة بالترهات.. أو بالخيالات المشحونة بالخوف من المجهول، أو بالرغبة في ادعاء المعرفة بأسرار الكون.. أو بتصرفات الإنسان والحيوان.. من سالف الدهر والزمان.



★ دان جيرو تغوص وتستنجد بأهلها ★



والحقيقة أن الأساطير ستظل أبداً رسالة الأجداد للأحفاد.. تحوي ما تحويه من أفكار ذات قيم إنسانية.. أو وصايا مستترة في أحداثها.. وتبقى هذه الأساطير تتناقلها الأجيال.. وتكاد تكون شاهداً حياً في أن العالم باختلاف أجناسه وتباين ألوانه.. واختلاف معالمه وأجوائه.. إنما هو من أصل واحد.

فالأسطورة تكاد تتشابه من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.. تكاد تكون وكأنها من مصدر ملهم واحد.. وإن اختلفت فيها الأسماء أو الأحداث.. فهي أفكار متقاربة، والأساطير ليست بالضرورة أقاصيص تحوي أحداثاً غريبة لا تتفق مع المعقول، أو تحكي عن أبطال

ذوي قوى خارقة .. بل هي تحوي أحداثاً بسيطة أو أفكاراً ساذجة .. بدأت بحكاية حبكتها قريحة أحد أبناء الأجيال القديمة .. وما فكر حين ألقاها عن عفو خاطر، أو تلقائية طبيعية، أن الألسنة ستتناقلها وتطورها .. وتبقى حية في أذهان السامعين .. وتتحدى كل التغيرات، حينذاك تتميز عن الحكايات الشعبية بأنها ولدت ولن تموت .. وتتحول إلى أسطورة وإن فقدت أصلها .. أو حتى معنى ما يرمي إليه قائلها .. وتفقد كثيراً من مقومات حياتها مع تطور العقل البشري .. لكنها تبقى بثروتها الأدبية .. وخيالها الواسع في تقريب الأجيال .. كشد رباط الفكر الإنساني المتطور، والعقل الحديث بالفكر البدائي .. والفكر المنقرض عبر أجيال قديمة.

إفريقيا .. أرض الأساطير

كانت إفريقيا، وما زالت حلماً غامضاً عند كثير من أبناء القارات الأخرى، بهرت عذرية إفريقيا، وثراؤها الطبيعي، وعواطفها المتفجرة في شعوبها تفجرها في الطبيعة الخضراء، خلت الباب مستعمريها .. ومن أبناء أوروبا من استقر بها وقد غلبه سحرها .. وبات لا يقوى على فراقها .. فابتلعته أدغالها .. ومنهم من كان بقاؤه وبالاً على أهلها فجازاهم **جزاء سنمار** .. واستغل علمه المتطور، وأخلاقه البدائية في التسلط على أهلها .. وسلبهم حريتهم .. والاستبداد بهم حتى شاء الله أن تنمو بذرة التحرر فيهم فتحرروا منه ومن ربقته.

شدت الفنون الشعبية في إفريقيا أنظار المهتمين بالفنون التلقائية .. أو الفطرية .. ومن هذه الفنون التي خلبت الألباب **فنون نحت الأخشاب والتماثيل المصنوعة من الطين** (الطفل)، والرسوم المتعددة، وتبقى الأساطير الإفريقية قمة هذه الفنون .. فهي تدور أحياناً حول الحيوانات التي يعاشرها الرجل الإفريقي ويألفها .. أو التي يصيدها درأً لخطرها فيرهبها أو يخشاها .. أو التي لا يجد تفسيراً لتصرفاتها، وهو هنا يبحث عن تبريرات تبدو أحياناً ساذجة.

وتدور قصصه أحياناً عن تفسير الظواهر الطبيعية الغامضة كالبرق أو الرعد .. أو سقوط الأمطار .. وتدفق السيول.

من الأساطير الإفريقية

لماذا يعيش الشمس والقمر في السماء ..؟

يقال إنه في قديم الزمان كانت الشمس والقمر يعيشان على سطح الأرض، وكانت الشمس صديقة حميمة للماء، وكانت الشمس تزور الماء يومياً، والماء لا يرد عليها زيارتها. وذات مرة سألت الشمس الماء وهي غاضبة لماذا لا يزورها كما تزوره؟ لكن الماء رد على سؤالها بأنها لا تستطيع أن توفر له مكاناً واسعاً وعميقاً، حتى إذا ما دخل بيتها لا يهده.

لكن الشمس أصرَّت على أن تدعو الماء لزيارتها، وقامت الشمس مع زوجها القمر في تجهيز بيت واسع شمل نصف الأرض بوسعها وارتفاعه يكاد يصل للسماء، وذهب الماء في موعد الزيارة، وارتفع على الأرض، وارتفعت الشمس والقمر قليلاً عن سطح الأرض، وتدفق الماء هادراً، وهو يحمل الأسماك والحيوانات البحرية، وكرر سؤاله للشمس هل هي مصرة على زيارته؟ .. وركبت الشمس رأسها، وأصرت على أن تستضيف الماء، فتدفق الماء بعنف أكثر، وحطم جدران البيت، وارتفع حتى كاد يلامس السقف .. وظل القمر يرتفع، والشمس ترتفع، حتى استقرا أخيراً في مكانهما في السماء.

وغضب القمر غضباً شديداً من الشمس لحماقتها، ولأنها أعطت الفرصة للماء ليطردهما من على سطح الأرض .. ومن هذا اليوم لا يظهر القمر مع الشمس أبداً، فما أن تبزغ الشمس حتى يبادر القمر بالاختفاء .. أما الشمس فقد احترق قلبها على فراق القمر، وما زالت حرارة قلبها تدفئنا إلى يومنا هذا وحتى تزول الأرض بمن فيها.

الحيلة تغلب العمل

ذهب **الأرنب** يوماً إلى **الفيل**، وعقد



معه اتفاقاً على أن يقوما بالزراعة مناصفة، على أن يقوم الفيل بقطع الأشجار، ويقوم هو بتسويتها. ووافق الفيل، وقام بتقطيع الأشجار، وذهب الأرنب إلى **الزرافة**، وعقد معها اتفاقاً مماثلاً، على أن يقوم هو بتقطيع الأشجار وتقوم هي بتسوية الأرض .. وقامت الزرافة بتسوية الأرض .. ولم يفعل الأرنب شيئاً سوى أنه حرص على ألا يرى الفيل والزرافة كلا منهما وهو يعمل.

وبعد أن سويت الأرض ذهب للفيل

★ إفريقيا وفنون النحت ★



متباهياً ، وقال إنه قام بتسوية الأرض وجاء وقت الزراعة ، وعليك أن تحرث الأرض ، أما أنا فسأقوم ببذرْ البذور . وذهب للزرافة وقال لها إن عليها بذر البذور ، وقامت الزرافة بعملها بعد أن حرث الفيل الأرض .

واستوى الزرع ، وأصبح جاهزاً للحصاد . . ذهب للفيل وقال له انتهى تعبنا ، وآن لنا أن نحصل على غذائنا ، وعليك أن تحصد المحصول . . وأنا سأجمعه ، وبينما كان الفيل يحصد المحصول ، قامت الزرافة بجمعه .

أصبح المحصول جاهزاً للتقسيم فذهب الأرنب للفيل وأخبره أن يأتي ليأخذ نصيبه ، لكن عليه أن يكون حذراً فهناك حيوان ضخم اسمه الزرافة يريد أن يستولي على محصولنا ، لكن الفيل قال مستهيناً بالأمر : « أياً كان هذا الحيوان فدعه لي » .

ذهب الأرنب للزرافة وأسر في أذنها أن هناك فيلاً ضخماً يريد أن يستولي على محصولنا . فهزت الزرافة رأسها وقالت له واثقة بنفسها : « إن رقبتي عالية ، وسأهزم أي عدو يريد محصولنا » .

وفي الصباح المبكر . . ذهبت الزرافة مبكرة إلى مكان المحصول ، حيث ضرب لها الأرنب ميعاداً ، وانتظرا سوياً قدوم الفيل .

وعند أول الطريق جاء الفيل مزمجراً . . رافعاً خرطومه إلى السماء . . وصوته يهز الأرض وما إن رأته الزرافة حتى ارتعدت فرائصها . . ودارت الأرض بها . . وصاحت بالأرنب إنها لا تقوى على نزاله . . وإنها هالكة لا محالة . . فنصحها الأرنب ألا تهرب فالفيل سيلحق بها حتماً ، وسيقتلها ، ونصحها بأن ترتمي على الأرض وتخفي رأسها . . وفعلت الزرافة ذلك حتى يظنها الفيل جثة هامدة فلا يقتلها ، وجرى الأرنب ليلحق بالفيل قبل وصوله . . وسأله الفيل عن الزرافة . . فهز الأرنب رأسه وقال : « لقد ملت من انتظارك . . فذهبت لتستحم . . وتركت قيثارتها التي كانتْ تعزف عليها » ، ونظر الفيل للزرافة وهاله كبر حجمها وقال فزعاً : « إذا كانت هذه كلها قيثارتها . . التي ترفعها وتعزف عليها فماذا يكون حجمها . . دعني أهرب قبل أن تعود » .

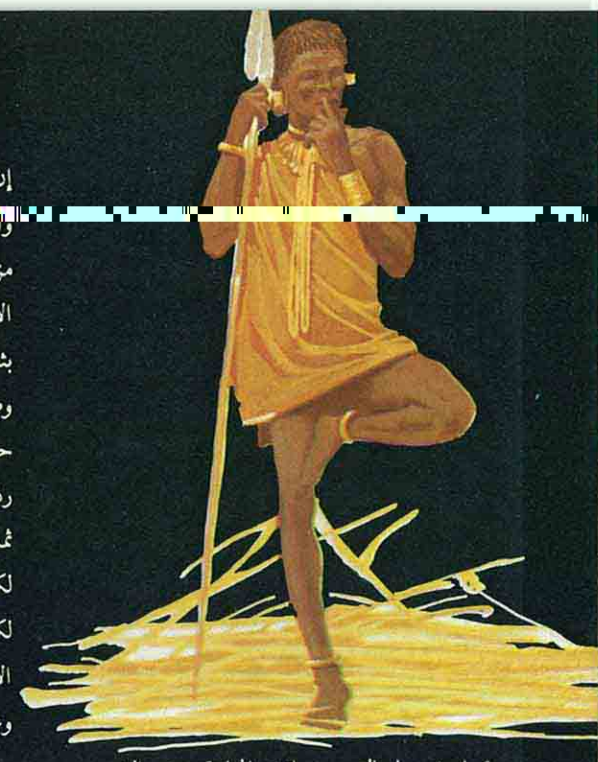
وهرول الفيل هارباً إلى الشرق . . ونهضت الزرافة ، فنصحها الأرنب بالهرب قبل عودة الفيل ، ففرت إلى الغرب . . وفاز الأرنب بالمحصول دون الزرافة والفيل ، مع أنه أجبنهما وأضعفهما في المجهود .

الفتاة التي باعها أهلها

جفت الأرض . . وماتت الزراعة واصفرت أوراق الشجر . . وتقلصت ثمراتها ، وجفت الآبار . . وعجفت الماشية وضمرت . .



★ الفيل يسعى للدفاع عن محصوله ★



وتبخرت مياه النهر ، وباتت المجاعة تهدد القرى وسكانها ، ولم يألو الناس جهداً في الابتهال إلى الله أن ينقذهم .. ومرت الأيام ، وضربت المجاعة كل بيت في البلدة .. فلجأوا لساحر القرية يبحثون عن حل لمشكلاتهم .. وإنقاذ مزارعهم من الجفاف .

حضر الساحر بملابسه المميزة ، يلبس تاجاً من الريش .. ولباساً من جلد النمر ، ويحمل عصا طويلة معلق بها جمجمة قرد . وخلفه مساعده يحمل جراباً من جلد الماعز ، يحوي كل متطلبات السحر والشعوذة ، وتوسط الساحر أهل القرية ، وبدأ يلقي بتعاويذه وأسحاره ، ثم نظر إليهم ساخطاً وقال مؤكداً : « إن الآلهة تطلب فتاة عذراء اسمها « دان جيرو » .. عليكم أن تشتروها من أهلها وتدعوها تغوص في الأرض في مكان الغوص » .

كان هذا المكان معروفاً لأهل القرية بأن من يوضع فيه تبتلعه الأرض حتى ولو وضع فيه فيل .

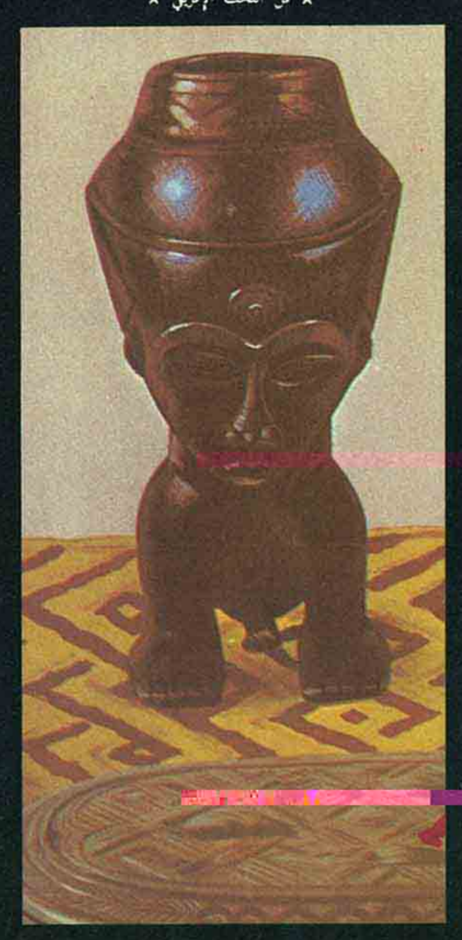
أشاح الناس بوجوههم عن الساحر ، لكنهم استجابوا أخيراً ، وتوجهوا لأهل الفتاة وسحبوها إلى المكان المعروف وبدأوا يزايدون في سعرها ، عشرة أبقار ، عشرون ، ثلاثون .. ومع كل مزايدة يغوص جزء من الفتاة في الأرض .. وفزعت الفتاة واستعانت بأهلها لينقذوها وصاحت :

« لقد أضاعني أهلي .. وباعني أحبابي » .

بدأت السحب تتراكم في السماء .. وما إن رأى أهل القرية السحب السوداء تتراكم وأهل الفتاة يهرعون لنجدتها حتى ارتفعت مزايداتهم .. وغالوا في ثمن الفتاة .. واندفع الأب فزعاً لينقذ ابنته صائحاً إنه لن يبيعها بثقل الأرض ذهباً ، لكن قدمه تثاقلت حين وصل ثمنها مائة رأس من البقر ، وغاصت الفتاة حتى لم يبق إلا صدرها .. ونزلت الأمطار رذاذاً ، فأشعلت حماس أهل القرية في رفع ثمنها .. واستغاثت « **دان جيرو** » بأمها وأبيها لكي ينقذاها .. واندفع أهلها ليسحبوها ، لكنهم تراجعوا حين وصل ثمنها ألف رأس من الأبقار والماشية .. وسقطت الأمطار غزيرة ، وغاصت الفتاة تماماً في باطن الأرض .

كان للفتاة حبيب يهواها ، ويسعى للزواج

★ فن النحت الإفريقي ★



منها من قرية قريبة ، وحين سمع بما حدث ، انفجر غاضباً مؤنباً أهلها على تهاونهم في إنقاذ ابنتهم ، والتفريط في حياتها ، وقال لهم : لولا حبه لابنتهم لخجل منهم ومن سوء أخلاقهم .

لم يهدأ الفتى ، واندفع إلى المكان الذي غاصت فيه حبيبته ، وألق بنفسه في رماله وترك الرمال تبتلعه .. حتى اختفى تماماً ، وفجأة وجد أمامه سرداباً طويلاً سقط فيه ، ورأى طريقاً طويلاً .. ورأى حبيبته « دان جيرو » ما زالت حية لكن ثيابها تمزقت .. وهي ترتجف من الخوف والبرد .. والجوع والعطش .. فأخذ بيدها .. وما إن رأته حتى عادت إليها الرغبة في الحياة .. وخرج بها حبيبها من نفس المكان الذي غاصا فيه .. ثم ذهب بها إلى منزله .. ووصى بها أمه وأبيه .. وعادت « لدان جيرو » نضارتها وحيويتها .. وفي يوم الرقص الكبير حيث يجتمع أهل القرية يرقصون ويغنون .. خرجت « دان جيرو » بأبهى زينة .. وأنضر ما تكون .. وحين رآها أهل قريتها صاحوا : إنها هي « دان جيرو » ، لكن حبيبها نهرهم وصاح بهم مؤنباً :

« لقد بعتم ابنتكم .. وانصعتم لترهات ساحركم ، ألا تخجلون من أنفسكم » .

وعاد بها إلى منزله فتبعه أهلها .. وهم يبكون بعد أن شعروا بجرمهم لتهاونهم في حقها .. وأخيراً اعترف لهم بأنه أنقذها ، وأنه يطلب الزواج منها ، فوافق أهلها ، ودفعوا لها بالثمن الذي تقاضوه ثمناً لها ، وعاشت مع زوجها في سعادة وبحبوحة من العيش .

الإنسان ينسى الموت دائماً

تضور أحد الفقراء جوعاً .. وتمنى الموت من أن يعيش جائعاً فقيراً .. فظهر له ملاك الموت وهو يقود « عجلاً » ضخماً .. وقاده للرجل وقال له :

« لقد تمنيت الموت .. وأنا لن أقبض روحك .. بل سأبيع لك هذا العجل مقابل ألا تنسى اسمي لمدة عام .. وسأعود العام القادم فإذا كنت نسيتني فسأقبض روحك وتذكر اسمي جيداً .. دانا كيري .. دانا بيري » .

قبل الرجل الشرط الغريب وذهب يقود « العجل » السمين لأسرته ، خشي الرجل أن ينسى اسم الموت .. فعلمه لزوجته وأولاده ، وطلب منهم أن يتغنوا به دائماً .. وانتشرت الأغنية وتعدت منزل الرجل إلى الحقول ،

الموت ساخراً : «هل تذكرني ..؟.. هل تذكر اسمي ..؟» .

أسرع الرجل هلعاً لزوجته يحثها على أن تتذكر :

«هل تذكرين الأغنية التي أوصيتك أنت وأولادي بألا تنسوها» تلعثمت الزوجة وخجلت من أن تعترف بأنها قد نسيتها وصاحت : «طبعاً أذكرها إنها دندن .. دينا جونا» .

وهلل الرجل فرحاً ، وصاح بملاك الموت «اسمك دندن .. دينا جونا» .

ضحك الموت ضحكة الانتصار .. ورفعه ليأخذه بعيداً عن عالم الأحياء ، وفزعت الزوجة لخطئها وصرخت بكل ما تملك من قوة .. وهرع إليها ابنها فقصت عليه ما جرى .. فأسرع الابن ليصعد أحد الأشجار العالية .. وانتظر الموت وهو يرفع أباه وصاح بكل قوته :

«دانا كيري .. دانا بيري .. دانا كيري .. دانا بيري» .

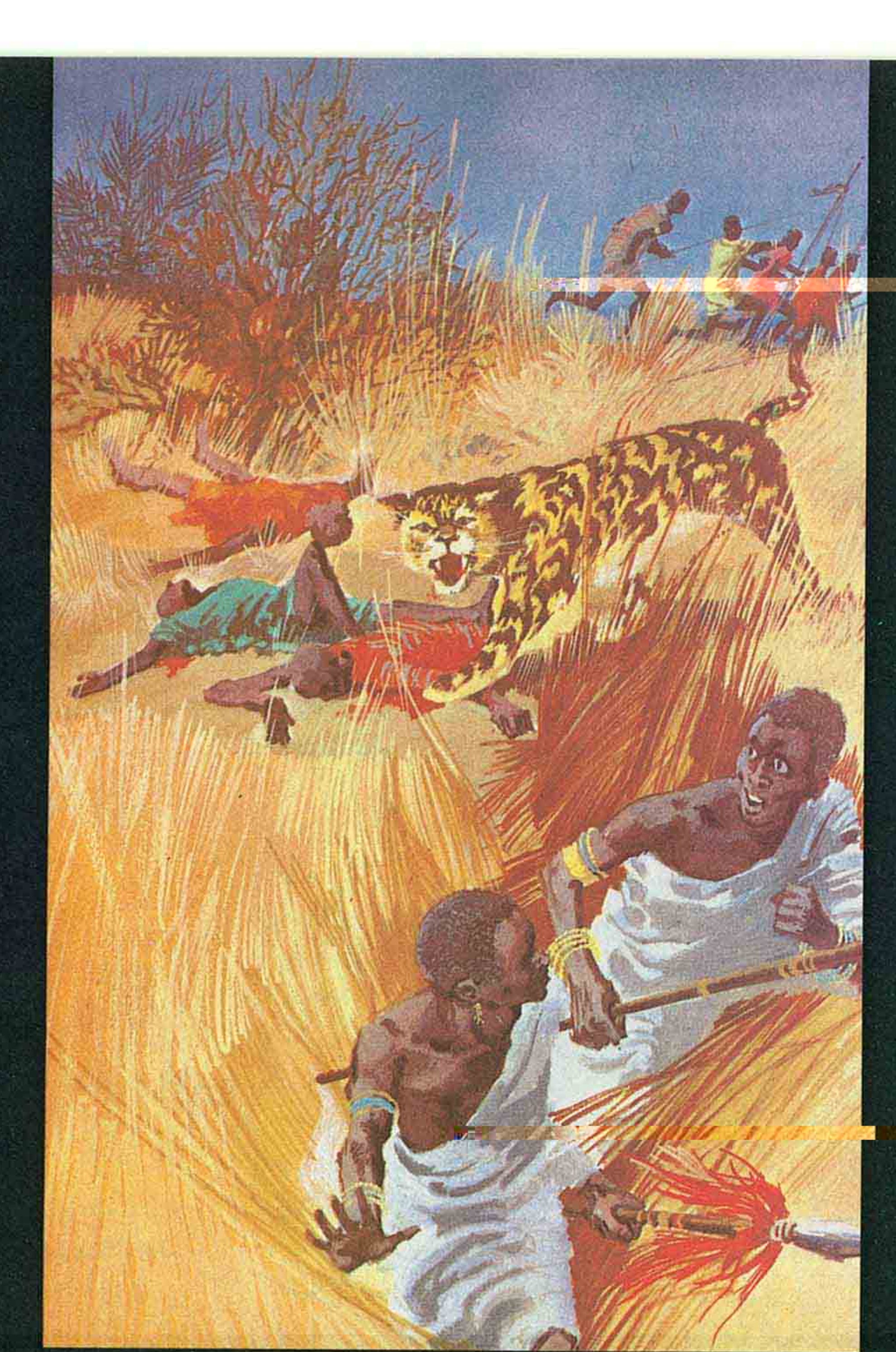
ما إن سمع الموت اسمه حتى تراخت يداه عن الرجل الذي استرد وعيه ، وعاد حياً يضم ابنه لإنقاذ حياته .. وهكذا يجب على الابن ألا ينسى أبداً ما قاله له أبوه .. فلعل كلمة يذكرها تنقذه من الموت .. أما الإنسان فمن يومها وهو ينسى دائماً الموت في حياته .

★ ★ ★

هذه الأمثلة من القصص الشعبية والأساطير والخرافات الإفريقية المتنوعة وما ورد إلا مختارات محدودة ، ومن القصص الشعبية ما يلوم الحاكم إذا ظلم كقصة حاكم مجنون كان يملك قطاً .. فتوحش القط وتنمر ، والحاكم يمنع قتله حتى بدأ يقتل الناس .. وأخيراً لم يرتدع أو يدرك خطأه إلا حين قتل القط بعض أبنائه .

ومن القصص ما تفسر سلوك الحيوانات .. كاختباء الثعبان .. أو سر عواء الذئب في الليالي المظلمة ، وهو ينادي على أخيه الكلب الذي تركه وفضل البقاء مع الإنسان .

وهكذا كان الإنسان الإفريقي .. وكذلك الإنسان في كل مكان يخلط الواقع بالخيال ، ويحول الظواهر المعروفة إلى قصص ممزوجة بالأسطورة والخرافة .

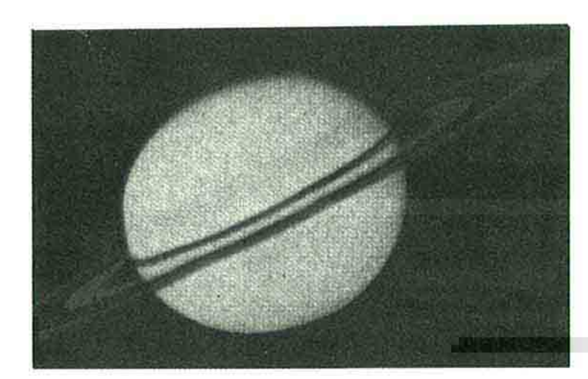


وانتشرت على ألسن الأطفال والكبار .. وما تدور طاحونة إلا وصاحبها يغني «**دانا كيري .. دانا بيري**» ، ولا يجتمع أطفال إلا ويكونون حلقة ويتغنون «**دانا كيري .. دانا بيري**» حتى الأمهات تهدهد أطفالها وتغني «دانا كيري .. دانا بيري» .

وبعد ستة شهور بدأت الأغنية تتضاءل .. وبعضهم يغني «**دانا كيري**» ، وآخرون يغنون «**دانا بيري**» ، وبعضهم حوّر الاسم وغيره تماماً ، وفي الشهر الثامن تذكر الناس ايقاع الأغنية ، وتحولت إلى لحن يرددونه بألسنتهم ، ولا يعرفون مصدره .. وبعد عشرة شهور أصبحت الأغنية حروفاً متقطعة مثل ديري .. أو دانا .. وفي الشهر الحادي عشر بات الذين يذكرونه يعدون على الأصابع .. وفي الشهر الثاني عشر اختفت الأغنية تماماً .. وما بات أحد قط يذكرها ، وفي الميعاد المحدد .. وبعد عام من الانتظار .. دق ملاك الموت باب الرجل بلا إنذار ، وما إن رآه حتى غاصت روحه في قدمه ، وضاقت الدنيا به ، وسأله

١٩٧٩ ميلادي

د . مظفر صلاح الدين شعبان
المهندس : سمير صلاح الدين شعبان



★ زحل كما صورته بيونير ١١ ★

حلم الإنسان منذ زمن بعيد بالتنزه على سطح القمر الذي هام بجماله العاشقون وأثارت إشعاعاته الفضية البراقة إلهام الشعراء والمفكرين . ولم يكد الإنسان يطلق أول قمر صناعي في ١٩٥٧ م ، حتى وجدنا ، بعد حوالي ١٠ سنوات فقط (في ١٩٦٩/٧/٢٠ م) ، ملايين الناس في جميع أنحاء المعمورة يتتبعون الخطوات الأولى التي وضعها أول إنسان على سطح القمر القاحل .

وشيئاً فشيئاً تحسنت أحوال رواد القمر بشكل ملموس خلال « الاستعراضات التلفزيونية » الستة التي تمت على سطح القمر خلال السنوات الثلاث التي أعقبت نزول الإنسان الأول على سطح القمر ، فقد غزت العجلات سطح القمر مما سمح لرواد الفضاء باجتياز عشرات الكيلومترات . ومع انتهاء الاستعراضات التلفزيونية تلاشى اهتمام الناس العاديين بغزو الفضاء ، وكأنه قد استنفد أغراضه .

لقد هام الإنسان العادي منذ آلاف السنين بالقمر ، إلا أن الفلكيين كانوا يهيمون بكواكب أبعد وأصعب منالا . فقد كانوا يتحرقون شوقاً لاستكشاف توأم الأرض ، الزهرة ، التي تحتجب عن أنظار الفلكيين ومناظيرهم وراء « حجاب » من الغيوم . ولم يكن استكشاف تلك الكواكب السيارة ، **المشتري** ، وأقماره التي تشبه مجموعة شمسية مصغرة ، بأقل أهمية من استكشاف **الزهرة** . ولطالما تمنى فلكيو الأرض الاقتراب من « **صاحب الحلقات** » ، **زحل** ، ليقلدوه وسام **ملك الجمال** . . لكنه كان بعيداً جداً لا تحظى مراصدهم حتى بنظرة « رضى » منه .

وبمرور الأيام حقق الفلكيون بعض النجاح وهبطت إحدى المركبات على المريخ ، وأرسلت مركبات أخرى إلى الزهرة والمشتري لتجيب عن بعض تساؤلاتهم .

لكن كثيراً من الأسئلة بقي دون جواب . كما أن تعطشهم لاستجلاء غوامض كواكب أسرتنا الشمسية بقي دون الحد الذي يشفي غليلهم حتى انقضى عام ١٩٧٨ م ، أو كاد .

١٩٧٩ م ، عام قطف الثمار

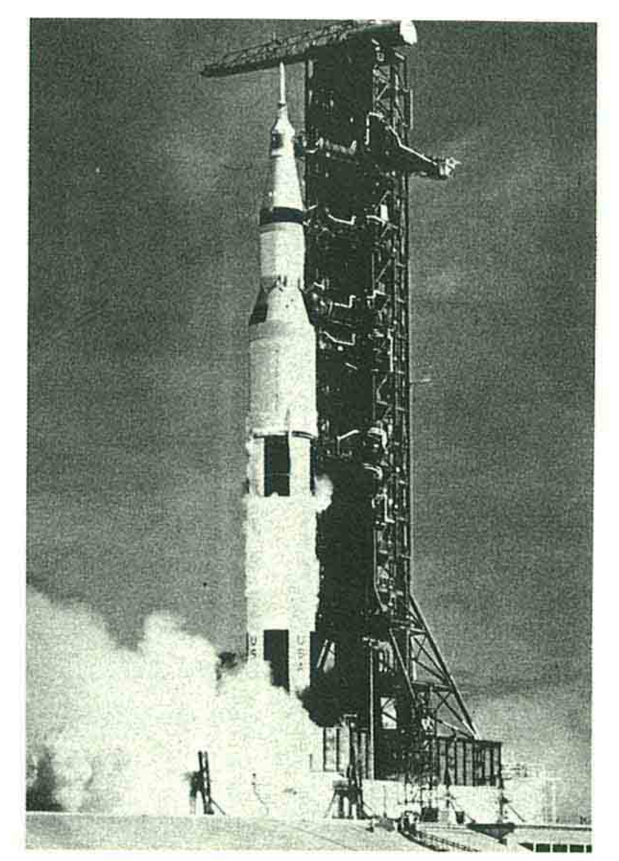
ولكن في عام ١٩٧٩ م ، نجحت المركبات التي أطلقها الإنسان في اختراق حجب المجهول ، فوصلت إلى سطح **الزهرة ذي النار الحامية** ، كما درست كوكب **المشتري** عن قرب وداعبت « صغاره » المحيطة به . كذلك فقد اقتربت للمرة الأولى في تاريخ الإنسانية من « **ملك الجمال** » واخترقت حلقاته وهتكت أستاره .

ونبادر على الفور إلى القول : إن عام ١٩٧٩ م ، شهد نهاية المطاف أو عملية قطف الثمار . . والبداية كانت قبل ذلك بعدة سنوات ، ففي نيسان (أبريل) ١٩٧٣ م ، أطلقت مركبة بيونير ١١ (**أي الرائد**) إلى الفضاء لتقترب من **المشتري** في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ م ، ثم لتقوم بعملية التفاف طويلة تصل بعدها إلى زحل في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ م . وستتابع المركبة رحلتها وتغادر المجموعة الشمسية بعد حوالي ٤٠ سنة حاملة معها رسالة رمزية من أهل الأرض إلى أية حضارة عاقلة تصادف المركبة في الفضاء الخارجي .

وفي صيف ١٩٧٧ م ، أقلعت مركبة **فوياجير (١)** (أي الرحالة) باتجاه الكواكب العملاقة في المجموعة الشمسية (**المشتري - زحل - أورانوس**) . وبعدها بعدة أشهر ، عمدت **الولايات المتحدة** إلى إطلاق مركبة **فوياجير (٢)** . وقد تقابلت المركبة **فوياجير (١)** مع **المشتري** الذي يبعد عن الأرض حوالي ٨٠٠ مليون كيلومتر في آذار (مارس) ١٩٧٩ م ، في طريقها إلى **زحل** الذي ستتصل إليه في نهاية عام ١٩٨٠ م ، بينما اقتربت **فوياجير (٢)** من **ملك الكواكب** في تموز (يوليو) ١٩٧٩ م ، في طريقها إلى **زحل** الذي ستلتقي به في عام ١٩٨١ م ، لتتابع طريقها إلى **أورانوس ونبتون** .

وفي ٢٠ أيار (مايو) ١٩٧٨ م ، أطلقت مركبة « بيونير الزهرة ١ » وقد وصلت إلى توأم الأرض الذي يبعد عنها حوالي ٣٠ مليون ميل في ٤ كانون الأول (ديسمبر) وبدأت بالدوران حوله . وقد أرسلت أختها « **بيونير الزهرة ٢** » في إثرها في ٨ آب (أغسطس) من العام نفسه ، وعلى متنها « أوتوبيس » ينقل أربع قذائف (مجسات) محشوة بالأجهزة العلمية . وجهت هذه القذائف نحو **الزهرة** في أواسط تشرين الثاني (نوفمبر) لتخترق غلافها الجوي في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ م ، في أربعة مواقع متباعدة .

عام المجموعة الشمسية



★ مركبة أبولو تنطلق من قاعدة كيب كينيدي باتجاه القمر ★

وما نهدف إليه هنا في هذه المقالة هو استعراض أهم النتائج التي توصلت إليها هذه المركبات والإنجازات التي حققتها والتي يمكن اعتبارها بحق نقاط مضيئة في تاريخ غزو الفضاء .

اكتشافات حول الزهرة[1]

كانت الزهرة ـ حتى عهد قريب ـ توأم الأرض نظراً لأنها تشبه الأرض في كثير من الوجوه ، حتى اعتقد البعض أنها تمثل جنات عدن « الثانية » . ولكن المركبات الفضائية بددت حلم جنات عدن . فعندما اخترقت مركبات **فينيرا** (Venera) السوفياتية في الستينات للمرة الأولى طبقة الغيوم الفضية المحيطة **بالزهرة** ، وجدت نفسها فجأة في **جهنم حامية** . وقد استنتج العلماء وقتها أن درجة حرارة كوكب **الزهرة** عند سطحه تتجاوز ٤٨٠ درجة مئوية ، تكفي لصهر المعادن الملونة كالتوتياء والرصاص .

وقد وجد أيضاً أن الضغط هناك كبير جداً يعادل الضغط السائد في محيطات الأرض على عمق ٩٢٠ متراً . كما علم فيما بعد أن غلاف **الزهرة** الجوي الكثيف يتألف بصورة رئيسية من ثاني أكسيد الكربون (أكثر من ٩٣ بالمائة) ، تختلط فيه سحب صفراء باهتة من حمض الكبريت الكاوي ، تحملها رياح عاتية تبلغ سرعتها ٣٦٠كم في الساعة ، لتدور بها حول الكوكب كله في أقل من أربعة أيام . الماء معدوم تماماً ، وليس هناك مجال مغناطيسي يحمي الكوكب من قصف الأشعة الكونية التي تنهال عليه .

مما لا شك فيه أن أحدث الاكتشافات حول جارنا السماوي وأهمها بعثت بها المركبتان الأميركيتان (**بيونير الزهرة ١ و ٢**) . ففي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨ م ، وصلت (**بيونير الزهرة ١**) إلى **الزهرة** ، وبدأت « بالتجسس » على الكوكب من مدارها حول الكوكب ، بواسطة أجهزتها العلمية الدقيقة . أما (**بيونير الزهرة ٢**) ، فإنها لم تكتف بالرصد والمراقبة عن بعد ، بل عمدت إلى قصف الزهرة بخمسة من المجسات اخترقت طبقة الغيوم المحيطة بالكوكب ، والتي تمنع رؤية سطح الكوكب بواسطة مراصدنا الأرضية . وأثناء اختراق المجسات للغلاف الجوي قامت هذه بإجراء تحاليل كيميائية عديدة ، كما قامت بإرسال مشاهداتها إلى الأرض قبل أن ترتطم بعنف بسطح الكوكب الناري .

في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨ م ، بدأ « الجواسيس » هجومهم لكشف خبايا كوكبنا **التوأم** . وخلال دقائق معدودة انطلقت المجسات الخمسة (الأوتوبيس وركابه الأربعة) لتخترق جو **الزهرة** الكثيف كالسهم المارق . وقد دعمت « حواسها » الإلكترونية مشاهدات الرحلات الفضائية السابقة والمحطات الأرضية ، ولكنها أضافت كذلك كثيراً من المفاجآت .

أولى المفاجآت نقلتها المجسات من أعلى طبقات الجو ، إذ وجدت أن درجة الحرارة هناك شديدة الانخفاض وقدرها ٨° مئوية فقط . وهكذا تشكلت أمام الفلكيين صورة محيرة لكوكب ساخن حتى درجة الاحمرار يحيط به غلاف من الغيوم شديدة البرودة . أصيب جميع العلماء بالذهول عندما فوجئوا **بأن الجو في كوكبنا التوأم يعاكس تماماً وضع جو الأرض** . فعلى سطح الأرض تبلغ درجة الحرارة ٢٠° مئوية ، تزداد مع الارتفاع حتى تصل في أعلى الطبقات الجوية إلى ٨٠٠° مئوية .

ويبدو أن الاختلاف في تطور كوكبي **الأرض والزهرة** ، يكمن في أن **الزهرة** لم تحتفظ بثاني أكسيد الكربون المنطلق على سطحها بشكل صخور كما فعلت **الأرض** ، ولكنه بقي في الغلاف الجوي .

وعندما اقتربت المجسات من « حجاب غيوم ثاني أكسيد الكربون » الذي يغلف **الزهرة** ، وجدت جسيمات معلقة من زهر الكبريت

الأصفر . وفجأة جن جنون مقاييس درجة الحرارة في جميع المجسات ، ربما لأن قطرات حمض الكبريت الموجودة على هذا الارتفاع كونها . وقـد تبـين أن هذه الطبقة من جو **الزهرة** غنية جداً بحمض الكبريت الكاوي الذي سبب تآكل الأجهزة بسرعة غريبة .

لكن أكثر المشاهدات مدعاة للدهشة ، قدمتها ثلاثة من المجسات عندما أصبحت على ارتفاع ١٣ كم من سطح الكوكب : **فقد سجلت تحسناً متزايداً في وضوح الرؤية على الجانب المظلم من الكوكب ! فمن أين يأتي النور** ؟ فسر بعض العلماء منشوءه بأن هناك كميات كبيرة من زهر الكبريت ربما يؤدي احتراقها إلى تغطية سطح **الـزهرة** المظلم بألسنة من اللهب المضيء .

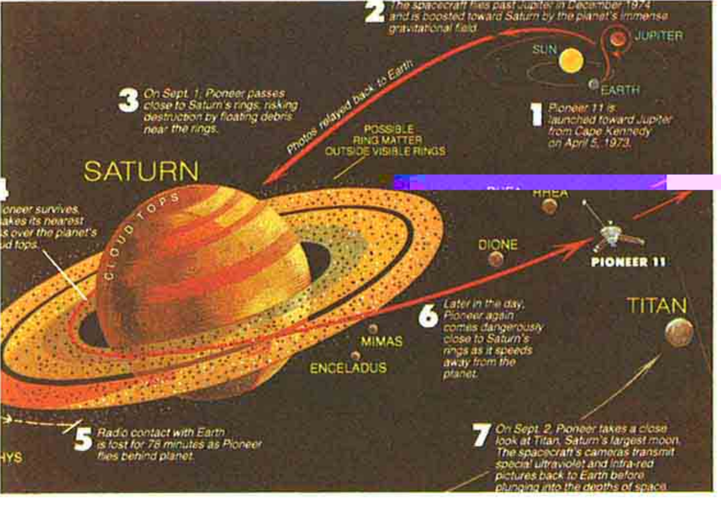
وقد دعمت النتائج المرسلة إلى الأرض نظرية « **المستنبت الزجاجي** » المسؤول بالدرجة الأولى عن الجحيم الموجود على سطح **الزهرة** . تسمح غيوم ثاني أكسيد الكربون بدخول ضوء الشمس – الذي يصل إلى **الـزهرة** بضعفي شدته إلى **الأرض** – إلى سطح **الزهرة** حيث يقوم بتسخين صخورها . تقوم هذه الصخور بإصدار الحرارة ، لكن غيوم ثاني أكسيد الكربون تمنعها من مغادرة جو **الـزهرة** مما يؤدي إلى تسخين جو **الزهرة** إلى درجة عالية من الحرارة تكفي حتى لصهر المعادن . وهكذا فإن ثاني أكسيد الكربون في غلاف **الـزهرة** الجوي يلعب نفس الدور الذي تؤديه « نوافذ المستنبتات الزجاجية » .

مع أن **بيونير الزهرة ٢** قدمت نتائج باهرة ، إلا أن أهمها كان عندما قامت بإطلاق أحد أجهزة التحليل ليخترق جو **الـزهرة** بسرعة كبيرة بلغت ٤٠٠٠٠ كم في الساعة . وقبل أن ينصهر الجهاز على ارتفاع ١٣٠ كم أرسل خلال ٣ دقائق فقط ٦٠ تحليلاً كيميائياً لتركيب الغازات الموجودة في جو **الزهرة** ، كان لها وقع الصاعقة في الأوساط العلمية . **فقد دلت التحاليل أن جو الزهرة غني جداً بالغازات النادرة الخفيفة** : فقد بلغت كمية غاز الأرغون في جو **الـزهرة** ٣٠٠ مثل ما هي عليه في جو **الأرض** ، وتجاوزت نسبة الهيليوم أكثر من ١٠٠٠ ضعف .

وهذه الاكتشافات زعزعت جميع النظريات السابقة التي تصدت لمحاولة تفسير أصل المجموعة الشمسية . **فـالأرغون** هـو « **بصمات أصابع** » المادة الأصلية التي تشكلت منها الكواكب . وعليه يجب أن تكون كمياته الموجودة في كل من **الأرض والـزهرة** متساوية تقريباً . وهذا ينطبق على غاز الهيليوم أيضاً ، نظراً لأن الغازات النادرة نشأت نتيجة التفكك الإشعاعي لبعض العناصر الثقيلة مثل الأورانيوم والثوريوم التي توجد على الكوكبين بكميات متساوية تقريباً .

فلو صحت النظريات السابقة التي تقول **إن الشمس تكونت أولاً ثم تكونت الكواكب بعد ذلك** ، لكان بمقدور الشمس الحامية طرد جميع الغازات الخفيفة من أجواء الكواكب « الوليدة » قبل انتهاء عملية تشكلها .

ويرى الباحثون الآن أن المادة الأصلية التي تشكلت منها **الـزهرة** تختلف بشكل جوهري عن مادة **الأرض** ومادة **المريخ** باحتوائها على



★ بيونير ١١ تقترب من زحل بعد رحلة استغرقت أكثر من ٦ سنوات ★

كميات كبيرة من الأرغون ، وأن **الزهرة** « أمسكت » بالغازات النادرة ومنعتها من التسرب إلى الفضاء الخارجي . ولعل مرد ذلك هو برودة طبقات الجو العليا في **الزهرة** وعدم وجود حقل مغناطيسي فيها .

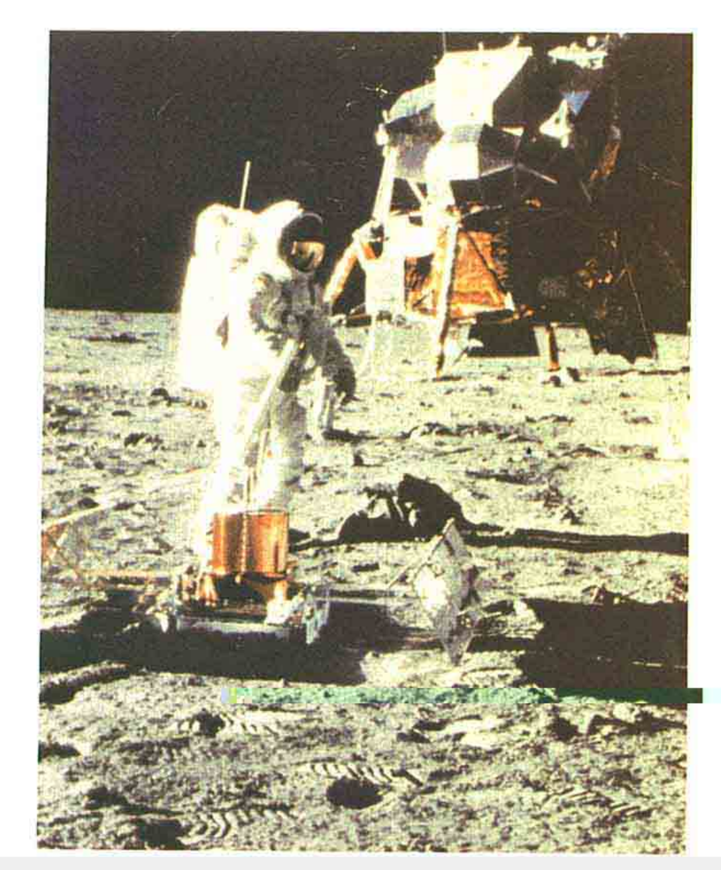
وحيث إن الزهرة تدور حول نفسها ببطء شديد ، لذا فإن تقلبات الطقس فيها أقل بكثير من تقلبات جو الأرض . لهذا السبب يعتقد علماء الطقس أن معرفة المزيد عن طقس **الـزهرة** البسيط قد يساعدنا على التعمق في فهم تقلبات الطقس المعقد على **الأرض**، والتنبؤ بتطوراته المستقبلية بشكل أفضل .

كذلك قد تفيد دراسة أثر « المستنبت الزجاجي » على **الـزهرة** في تدارك الأمور على سطح **الأرض** بحيث تمنع حدوثه لدينا . فإحراق الوقود بكميات هائلة بعد الثورة الصناعية قد أدى إلى زيادة نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون (وهو المسؤول الأول عن فعل المستنبت الزجاجي في **الـزهرة**) في جو **الأرض** مما سبب ارتفاع درجة حرارته . وقد يؤدي ذلك على المدى البعيد إلى « انقلاب » الظروف الجوية السائدة حالياً . فقد تذوب الأقطاب الثلجية المتجمدة على سطح الأرض مما يؤدي إلى تغييرات جذرية في المناخ والطقس ، وهذا يمثل تهديداً خطيراً لأجيالنا القادمة إذا لم نتخذ للأمر عدته .

المشتري : ملك الكواكب

في الصباح الباكر من يوم ٥ آذار (مارس) ١٩٧٩ م ، اجتمع العلماء والصحفيون في مختبر المتابعة الأرضي في **كاليفورنيا** ، عندما اقتربت **فوياجير (١)** إلى بعد ١٧٢٤٠٠ ميل من **ملك كواكب المجموعة الشمسية : المشتري** . وبدأت الصور التلفزيونية العادية تصل من عالم غريب يبعد عنا حوالي ٤٠٠ مليون ميل . وبالتدريج أصبحت الصور أوضح وأقرب مظهرة غيوم **المشتري** ذات الحركة الدائمة وبعض أقماره الغريبة في شكلها وعمرها .

وفي اليوم التالي بدأت الصور الملونة تتوارد كوابل المطر مسجلة اكتشافات متلاحقة يمثل كل منها مفاجأة بحد ذاته .



★ حق الإنسانية يتحقق .. الإنسان يتجول على سطح القمر ★

وبعد عشرة أيام لم يتمالك العلماء أنفسهم ، فأعلنوا أن **رحلة فوياجير ١ إلى المشتري هي أنجح عملية استكشاف فضائية تمت حتى الآن** . وقد فاقت بنجاحها الباهر هبوط مركبة **فايكنغ** على **المريخ** واختراق بيونير **الزهرة** ، لجو **الزهرة ولا يعلو عليها إلا هبوط الإنسان على القمر عام ١٩٦٩م .**

كانت نتائج **فوياجير ١** مفاجأة كاملة لم يكن أحد يتوقع حدوثها حتى قبل أسبوع من وصولها . وفي تموز (يوليو) ١٩٧٩ م ، وصلت أيضاً **فوياجير ٢** لاستكمال اكتشافات الكوكب العملاق[٢] .

ومن أكبر المفاجآت التي أصابت المراقبين بموجة من الذهول :

١ ــ اكتشاف « حلقة » رقيقة من الصخور حول المشتري ، **فأصبح بذلك ثالث كوكب يحيط نفسه بحلقة بعد زحل وأورانوس** . وقد صورتها **فوياجير ٢** عن قرب وبوضوح في تموز (يوليو) ١٩٧٩ م .

٢ ــ التقاط أول صورة لقمر « **أمالتيا** » الصغير الذي يدور حول **المشتري** على بعد صغير جداً ، وكذلك التقاط صور واضحة مفصلة لأقمار **المشتري** الكبيرة **ايو ، أوروبا ، غانيميد ، كاليستو** ، وكل منها يختلف عن الآخرين إلى حد يصعب معه قبول أنها أفراد « أسرة » واحدة .

٣ ــ التقاط « فيلم سينمائي » لعواصف **المشتري** المتلاحقة التي بلغت من الكبر ما يجعلها قادرة على ابتلاع عشرات « الكرات الأرضية » .

إلا أن أعظم مفاجأة كانت عندما وصلت صور قمر المشتري ايو الذي يقارب لونه البندورة (الطماطم) . فقد ظهر في هذا القمر عن قرب شكل فوهة بركانية خامدة مما أدهش الجيولوجيين بسبب صغر عمره . وبعد عدة ساعات شوهدت ٨ براكين نشطة تطلق سحباً ضخمة من المواد ترتفع عشرات الأميال فوق سطحه ، وقد وصل بعضها إلى ١٥٠ ميلاً ، علماً أن هذه هي أولى البراكين التي شوهدت خارج **الكرة الأرضية** .

كان العلماء يعتقدون في السابق أن **ايو** متقدم في السن مثل قمر **الأرض** . لكن مشاهدة البراكين دلت أنه أحدث سناً وأن باطنه يعج بالمواد المصهورة والغازات . لذلك فقد قدر عمره بـ ١٠٠ مليون سنة ما لبثت أن انخفضت بعد عدة أيام من الدراسة إلى أقل من مليون سنة . فهو يمثل أنشط السطوح وأكثرها حركة وحيوية في المجموعة الشمسية برمتها .

قد تفيد دراسة النشاط البركاني في **ايو** في التعرف على ماضي **الكرة الأرضية** بشكل أفضل واكتشاف المراحل التي مرت بها قبل أن تتحول إلى وضعها الحالي . كذلك فإن النشاط البركاني لا يجعل جو **ايو** دافئاً فحسب ، بل يطلق كذلك بخار الماء مما يوفر له بيئة داخلية رطبة وهي الشروط الأساسية لاحتضان الحياة .

قبل رحلات **فوياجير** كان الاعتقاد السائد لدى العلماء أن قمري **المشتري غانيميد وكاليستو** متشابهان جداً تغطيهما الثلوج ، ويتكونان بصورة رئيسية من الماء والجليد والصخور . إلا أن صور **فوياجير** أظهرت تباينهما الشديد ، فقد بينت الصور المأخوذة **لغانيميد** عن قرب أن فيه مرتفعات طويلة ووديانا واسعة تشبه إلى حد كبير السلاسل الجبلية الأرضية ، والوديان الهائلة التي شكلت البحار فيما بعد .

لكن أمر **كاليستو** مختلف تماماً . فهو يشبه « بصلة » مقصوصة عرضياً تقارب حجم قمرنا الأرضي . ويعتقد العلماء أن هذا الشكل نشأ عن سقوط نيزك كبير ، ولد على سطح **كاليستو** فوهة يبلغ قطرها حوالي ٢٠٠ ميل . كما يشاهد على سطحه عدد كبير جداً من الفوهات الصغيرة ، يزيد عددها عن ١٠,٠٠٠ فوهة ، يتراوح قطر كل منها بين ١٢ و ٣٠ ميلاً .

اقتربت **فوياجير ٢** من « **أوروبا** » في تموز (يوليو) ١٩٧٩ م ، لتنقل إلينا صورة أنعم السطوح في المجموعة الشمسية . وقد شبهوا نعومته « بكرة البلياردو » ، **إذ وجد أن الجليد يغطي هذا القمر بطبقة تقارب سماكتها ١٠٠ كم ، وهي سماكة كافية لتغطية جميع المرتفعات والوهاد ، لتعطي بالنتيجة مظهراً أملساً لأوروبا .**

لم تقتصر المفاجآت على الاكتشافات العلمية غير المتوقعة التي أنجزتها **فوياجير** على أقمار **المشتري** الكبرى فحسب ، بل اكتشفت على **المشتري** كثيراً من المفاجآت المحيرة : **حزام الإشعاعات حول الكوكب ، العواصف الشديدة ، اللطخة الحمراء ، والبرق في الجانب المظلم من المشتري** . [لمزيد من التفاصيل انظر مجلة « **الفيصل** » العدد ٣١ ، محرم ١٤٠٠ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ م] .

وقد علق أحد العلماء على رحلة **فوياجير** بقوله : « لقد غيرت هذه الرحلة نظرتنا إلى المجموعة الشمسية بشكل جذري » .

زحل : ملك الجمال

لئن كان **المشتري ملك الكواكب السيارة لضخامته ، فإن زحل هو ملك جمالها بدون منازع** . ويرجع ذلك إلى **مجموعة من الحلقات** التي تحيط به والتي تلفت النظر إليه . ونظراً لأن بعده عنا **يزيد عن ١,٤ مليار كم** ، لم يتمكن الفلكيون ــ قبل زيارة بيونير ١١ ــ من دراسة هذه الحلقات باستخدام المناظير الفلكية .

من غير المشكوك فيه أن حلقات **زحل** تحظى بأكبر اهتمام من العلماء بشكل عام ومن الفلكيين بشكل خاص . وقد كان **غاليليو** أول من شاهد هذه الحلقات بواسطة أول منظار فلكي ابتكرته الإنسانية ، ولكنها سببت له مزيداً من الحيرة والاضطراب ، نظراً لأن شكل هذه الحلقات كان يتغير باستمرار حسب موقع **زحل** بالنسبة **للأرض** .

ونظراً لأهمية هذه الحلقات البالغة فقد صدرت الأوامر **لبيونير ١١** باختراق هذه الحلقات مرتين . وقد تركز نجاح **بيونير** الأكبر على هذه الحلقات بالذات . ورغم اكتشاف حلقة حول **أورانوس** وأخرى حول **المشتري** ، لكن حلقات **زحل** تبقى أكثرها إثارة . وعندما اقتربت المركبة إلى مسافة ٩٤,٣٠٠ كم عن سطح الكوكب قامت باكتشاف مثير جداً . **فقد كان معروفاً منذ عام ١٩٧١ م ، أن عدد حلقات زحل هو أربع فقط. لكنها اكتشفت حلقة جديدة تحيط بجميع الحلقات المعروفة سابقاً أطلق عليها اسم الحلقة F تبعد عن سطح الكوكب حوالي ٨٣,٥٠٠ كم** ، ويبلغ عرضها حوالي ٥٠٠ كم . لذلك أطلق على الفراغ الذي يفصلها عن الحلقة التالية اسم « **فراغ بيونير** » الذي يبلغ عرضه حوالي ٥٠٠ كم ، بالإضافة إلى ذلك فقد صححت **بيونير** معلوماتنا عن الحلقات السابقة .

ورغم أن كل حلقة تبدو بشكل قرص متراص ومتماسك ، لكنها ليست صلبة قطعاً ، لأنها لو كانت كذلك لتهشمت تحت تأثير قوة الجذب الهائلة التي يتمتع بها كوكب **زحل** العملاق .

وقد أثبتت **بيونير** أن الحلقات مكونة من عدد لا يحصى من الجسيمات الصغيرة الصلبة . وتشير أقوى الاحتمالات إلى أنها صخور مفتتة ممزوجة بالجليد ، لا يزيد حجم كل منها عن عدة سنتيمترات مكعبة وهذه الصخور الصغيرة تبعد عن بعضها عدة أمتار ، ولكنها كثيرة بحيث نراها على بعد حوالي ألف مليون ميل وكأنها حلقة معتمة .

درست **بيونير** جو **زحل** ، ووجدت فيه رياحاً عاتية تصل سرعتها أحياناً إلى ٥٠٠ كم في الساعة . **أما حقله المغناطيسي فهو أقوى من حقل الأرض بحوالي ١٠٠٠ مرة** . كذلك فقد درست أقمار **زحل** العشرة ، وبشكل خاص القمر **تيتان** سابع الأقمار بعداً عن **زحل** وأكبر أقماره على الإطلاق . ويتميز هذا القمر بكبره ، إذ يبلغ قطره ٥٨٠٠ كم ، وهو أكبر من قمر **الأرض** ، حتى أنه أكبر من كوكب **عطارد** . إلا أن أهميته لا تكمن في كبر حجمه ، وإنما لأنه المكان الوحيد في المجموعة الشمسية الذي تسود فيه الشروط نفسها التي كانت سائدة على **الأرض** قبل حوالي ٤٠٠٠ مليون سنة . وعليه فإن دراسة القمر **تيتان** ، ستمهد السبيل إلى توضيح معلوماتنا عن مراحل تطور الكون منذ نشأته الأولى .

كانت **بيونير ١١ أول سفينة فضائية تصل كوكب زحل بعد رحلة مليئة بالمخاطر ، قطعت هذه المركبة فيها مسافة تزيد عن ٣٠٠٠ مليون كم** . وقد اقتربت هذه المركبة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ م ، من كوكب **المشتري** حتى أصبحت على بعد ٤٢,٠٠٠ كم بعد أن تجاوزت حزام الكويكبات ، وهو عبارة عن حزام من الأنقاض المؤلفة من الصخور والأحجار التي تدور حول الشمس بين مساري **المريخ والمشتري** . بعدها كان على المركبة أن تتغلغل في المناطق الداخلية لحزام الإشعاع قرب **المشتري** ، مما أدى إلى تعطل بعض أجهزتها .

ومع أن الصور التي أرسلتها **بيونير ١١ أفضل** من الصور التي التقطتها أفضل مراصدنا لكوكب **زحل** بعشرين مرة ، إلا أن تعطل بعض أجهزة المركبة الفضائية حال دون استكمال الأبحاث المرسومة التي تبقى بحاجة إلى بعض التفاصيل وبعض المعلومات الإضافية .

عام المجموعة الشمسية

يجمع العلماء اليوم على تسمية عام ١٩٧٩ م ، بعام المجموعة الشمسية ، تماماً كما أطلق على عام ١٩٦٩ م ، اسم عام القمر لأنه شهد نزول الإنسان على سطح القمر . ففي عام ١٩٧٩ م ، نجحت المركبات الأمريكية **بيونير الزهرة (٢) ، وفوياجير (١) ، وبيونير (١١)** في تزويدنا بكميات هائلة من المعلومات عن ثلاثة من أهم وأغرب الكواكب في مجموعتنا الشمسية وأكثرها إثارة لفضول أهل الأرض ، خصوصاً وأنها صححت كثيراً من تصوراتنا السائدة عن هذه الكواكب والتي جمعناها في السابق نتيجة المراقبة والتصوير عن بعد .

لقد شهدت الستينات نزول الإنسان على سطح القمر . كما تميزت السبعينات بوصول المركبات الفضائية إلى بعض كواكب المجموعة الشمسية البعيدة . وهكذا يمضي الإنسان قدماً في استجلاء غوامض الكون المحيط به ، فيضرب في ملكوت الله الواسع متسلحاً بالعقل ، مدفوعاً برغبة شديدة في المعرفة . ولئن كان عام ١٩٧٩ م ، تتويجاً لمرحلة جديدة من مراحل غزو الفضاء ، إلا أنها لن تكون الأخيرة .

لقد انطلق العقل الإنساني من عقاله ، ومضى يحلق في أجواء العلم والمعرفة ليثبت **أن الإنسان أهل ليخلف الله في الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها** .

الهوامش

(١) تطلق هذه التسمية على **الزهرة** لأنها أول « نجم » يظهر في السماء بعد الغروب ، كما أنها آخر نجم يغرب عند الفجر .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع مجلة « **الفيصل** » ، العدد (٣١) محرم ١٤٠٠ هـ ــ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ م .



بقلم : د. أحمد محمد غندور

يعيش الحيوان في عدة بيئات متباينة من أهم مميزاتها اختلاف العوامل الطبيعية المحيطة به ، وعدم بقائها على حال واحد ، وقد نظم الحيوان نشاطاته المختلفة من تزاوج وتكاثر ونوم وحركة وتغذية وهجرة على حسب هذه العوامل المحيطة ، واستجاب لها بدقة متكيفاً لها لإيجاد أحسن مناخ مناسب لحياته .

والحيوان له مقدرة عجيبة على إدراك وقياس هذه التغيرات من حوله وكأنه يمتلك ساعة داخلية تساعده في رصد **الليل والنهار** ، وحركة **المد والجزر** ، ومكان **الشمس والقمر** ، وحتى فصول السنة الأربعة ، ولا تضاهي الساعات الزمنية وأجهزة القياس الإنسانية هذه الساعات الداخلية الدقيقة لدى الحيوان والتي أطلق عليها العلماء اسم « **الساعات البيولوجية** » .

★ تدرك الطيور قدوم موسم الشتاء فتهاجر بعيداً إلى المناطق الدافئة ، ثم ترجع مع انتهاء الشتاء إلى موطنها الأصلي ★



★ الأوز وباقي الطيور تعيش ساعات الليل والنهار بواسطة الساعات البيولوجية الداخلية ، وتبدأ في الغناء في وقت محدد ★

دقة في قياس ساعات الليل والنهار

لاحظ العلماء أن جميع الحيوانات تستجيب بدقة لدورة الليل والنهار بالرغم من أنها لا تستعين بساعات زمنية مرئية ، فكل الحيوانات تنظم حياتها تبعاً لهذه الدورة فمنها ما **ينشط في الليل** ويخلد للراحة نهاراً **كالبوم والخفافيش والقوارض في الصحراء** ، ومنها **ما ينشط في النهار** ويخلد للراحة ليلاً كأغلبية **الحيوانات المستأنسة والبرية** ، وفي العادة يبدأ الحيوان نشاطه في زمن محدد كل يوم فأغلبية الطيور ، مثلاً تبدأ

نشاطها مع تباشير الصباح بالغناء ، وقد أجرى العلماء عدة تجارب على هذه الظاهرة واتضح لهم بأن كل طائر له وقت محدد (لا يزيد ولا ينقص ثانية واحدة من يوم إلى آخر) يبدأ فيه بالغناء .

وقد درست نفس هذه الظاهرة في **النحل** الذي يزور الزهور في وقت محدد كل يوم للحصول على الرحيق حتى لو غيمت السماء واختفت الظواهر الطبيعية الدالة على الزمن فإن ذلك الوقت المحدد لا يتغير ، وحتى لو وضع النحل تحت ظروف معملية ثابتة (نور دائم أو ظلام دائم) ، فإن ذلك لا يؤثر إلا قليلاً على نشاط النحل فلا يزال يبدأ في البحث عن الطعام في نفس الوقت المحدد الذي ألف عليه !!

وأغلبية **الحشرات** لا تخرج من **الشرنقة** إلا في وقت محدد من الصباح الباكر أو عند المغيب ، ولعل لهذا السلوك فوائد عدة للحشرات من أهمها أن في هذا التوقيت تنخفض **درجة الحرارة** ، وتزيد **نسبة الرطوبة** ، وبالتالي لا تؤثر هذه العوامل على الحشرة لأن الغشاء الخارجي يكون ليناً ويحتاج إلى بعض الوقت لكي يجف ويقوى !



★ سرطان البحر يشعر بقدوم المد فيخرج من مخبئه في الرمال ليقتات على الكائنات الحية من مياه البحر ★

ومن الطريف أن هذه الساعات البيولوجية توجد حتى في الطفيليات التي تعيش في جسم الإنسان أو الحيوان ومنها على سبيل المثال **طفيليات الفلاريا** ، وتعيش بعض أطوار هذه الطفيليات في دم الإنسان وتلعب هذه الأطوار دوراً هاماً أثناء دورة حياة الطفيلي ، إذ لا بد أن تدخل هذه الأطوار في جسم أحد الحشرات التي تتغذى على دم الإنسان (وتنقل المرض من إنسان لآخر) لكي تنمو إلى الطور المعدي ، ومن العجب أن الحشرة ناقلة المرض يكون نشاطها إما ليلاً أو نهاراً وبالتالي تنظم الأطوار في الدم نشاطها تبعاً للحشرة فهي تكون موجودة بكثرة رهيبة في الدم ليلاً أو نهاراً ، ويعد هذا من أشد أنواع التكيف لدى الكائنات الحية للبقاء !!

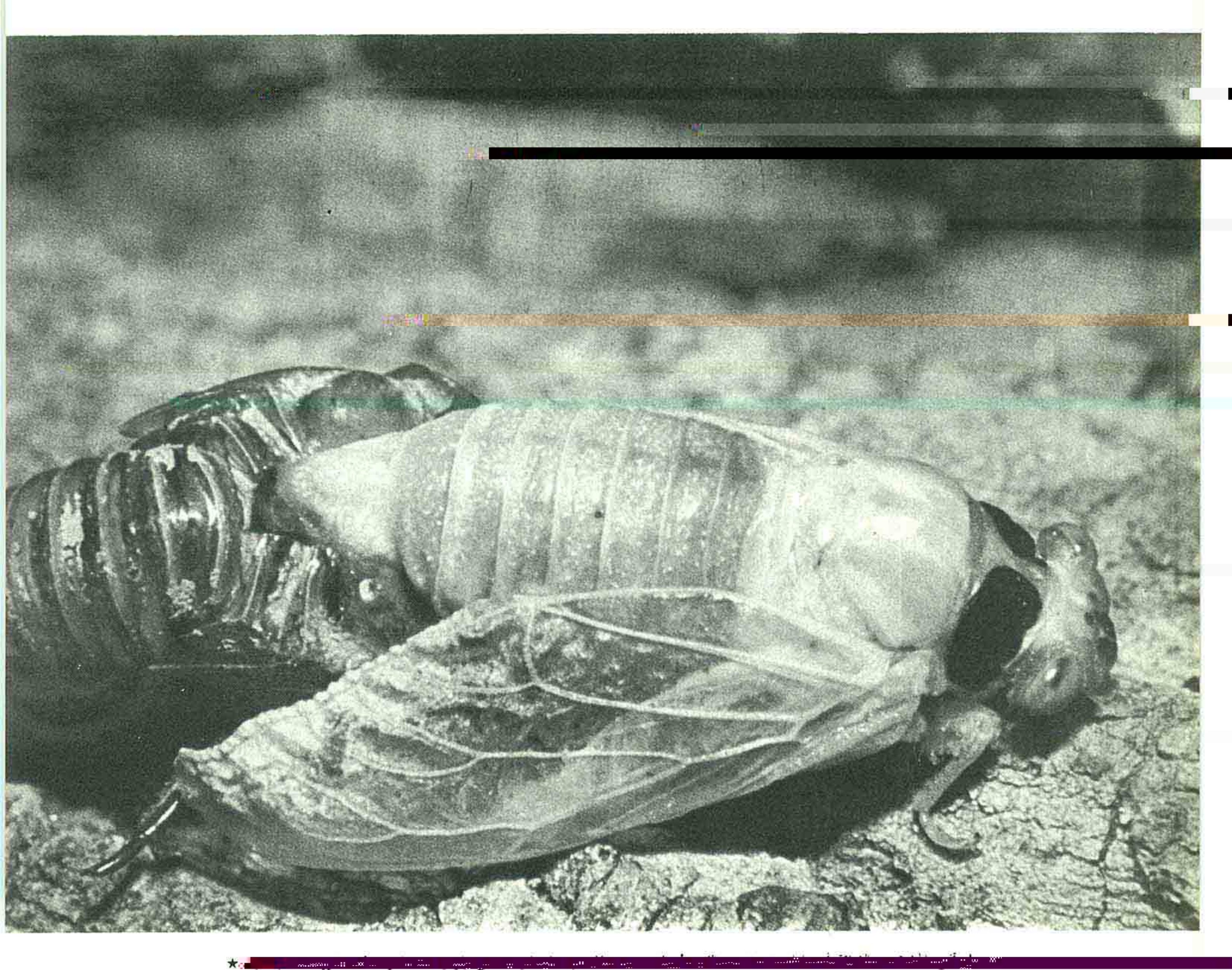
استجابة لحركة المد والجزر

[illegible] البيولوجية في الكائنات الحية [illegible]

على شاطىء البحر ، ومنها على سبيل المثال **أحد أنواع سرطان البحر** الذي يعيش في أنفاق تحت الرمل وعندما ينحسر الماء أثناء الجزر لا يخرج من بيته خوفاً من الجفاف ويحتمي به ، ولكن مع قدوم المد وحتى قبل أن يمتلئ الشاطئ بالماء يخرج من البيت استعداداً للسباحة في الماء حيث يتغذى على الكائنات الموجودة هناك ثم يعود سريعاً إلى بيته مع بداية الجزر وتتم هذه النشاطات بدقة عجيبة وكأن سرطان البحر استطاع أن يسجل حركة المد والجزر !!

استجابة لحركة القمر

لاحظ ملاحو وركاب السفن وسكان الشواطئ حول **جزيرة فيجي** في المحيط **الهندي** حدوث ظاهرة غريبة تتكرر كل عام أثناء موسم



الربيع ، وتتم مرتين في الشهر عندما يكون القمر بدراً أو هلالا ، وهذه الظاهرة هي امتلاء سطح الماء بالملايين من بعض الديدان البحرية التي تعيش في العادة في قاع البحر ، لكنها في هذه الأوقات تطفو الأجزاء الجنسية على سطح البحر حيث يتم التزاوج ، فكيف تقدر الديدان لولا الساعات البيولوجية على معرفة هذا الوقت وهي تعيش في أعماق البحر حيث لا ترى سطح الماء ؟ وتوجد نفس الظاهرة عند **بعض أسماك البحر** فتأتي **الأنثى** خلال نفس الأوقات وتحفر حفرة على شاطئ البحر حيث تضع البيض ثم يأتي **الذكر** ويلقح البيض ويغطي الحفرة ثم يرجع إلى أعماق البحر !!

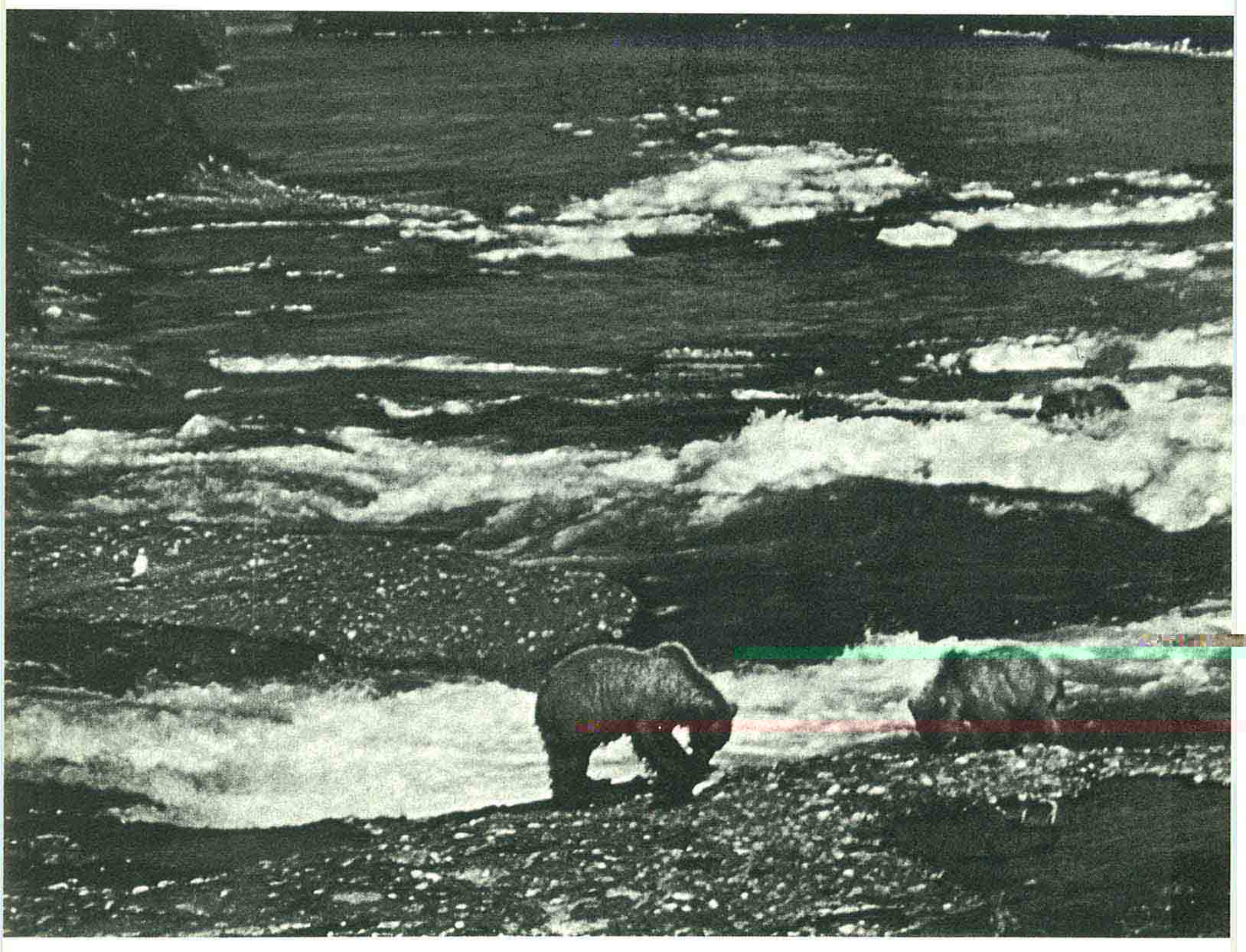
معرفة فصول السنة

تأكد للعلماء أهمية وجود هذه الساعات البيولوجية عند دراسة النشاطات الموسمية لبعض الحيوانات ، **فالسنجاب وأغلبية الحيوانات الصغيرة** تقضي فترة الشتاء في **بيات شتوي** حيث تتوقف كل نشاطاتها وتنام في حفرة عميقة تحت الأرض ، ثم فجأة عند حلول الربيع تشعر هذه الحيوانات بقدومه وتخرج من بياتها الشتوي لمزاولة نشاطها !!

أما **الطيور** فإنها حقاً قديرة في قياس الزمن **فقبل حلول الشتاء تبدأ الطيور في الاستعداد لرحلة الهجرة** ، وتزيد من كمية الطعام المخزون في الجسم ، ثم تهاجر بعيداً عن موطنها الأصلي ، وعند انتهاء الشتاء تشعر الطيور بذلك وتبدأ في الطيران رجوعاً إلى موطنها الأصلي !!

كيف تعمل الساعات البيولوجية

لم يعرف حتى الآن **ماهية الساعات البيولوجية** ولكن يبدو أن



★ الدب يأتي إلى الأنهار مع وصول أسماك السالمون التي تأتي من البحار للتكاثر في الأنهار ★

لها علاقة وثيقة بالجهاز العصبي في الكائن الحي، وهي من أنواع السلوك الغريزي عند الحيوانات. فقد أجرى أحد العلماء تجربة طريفة بأن فقس بيض بعض الزواحف تحت ظروف معملية تتباين فيها دورة الليل والنهار، إذ وضع البعض في **دورة ٩ ساعات نور و ٩ ساعات ظلام و ١٨ ساعة نور و ١٨ ساعة ظلام و ١٢ ساعة نور و ١٢ ساعة ظلام**، واتضح أن كل الزواحف تحت ظروف الدورات المختلفة **لم يختلف نشاطها العام**، وإنما كان نشاطها منظماً على دورة ١٢ ساعة نور و ١٢ ساعة ظلام، أي تنام نهاراً أو ليلاً وتنشط ليلاً أو نهاراً!!

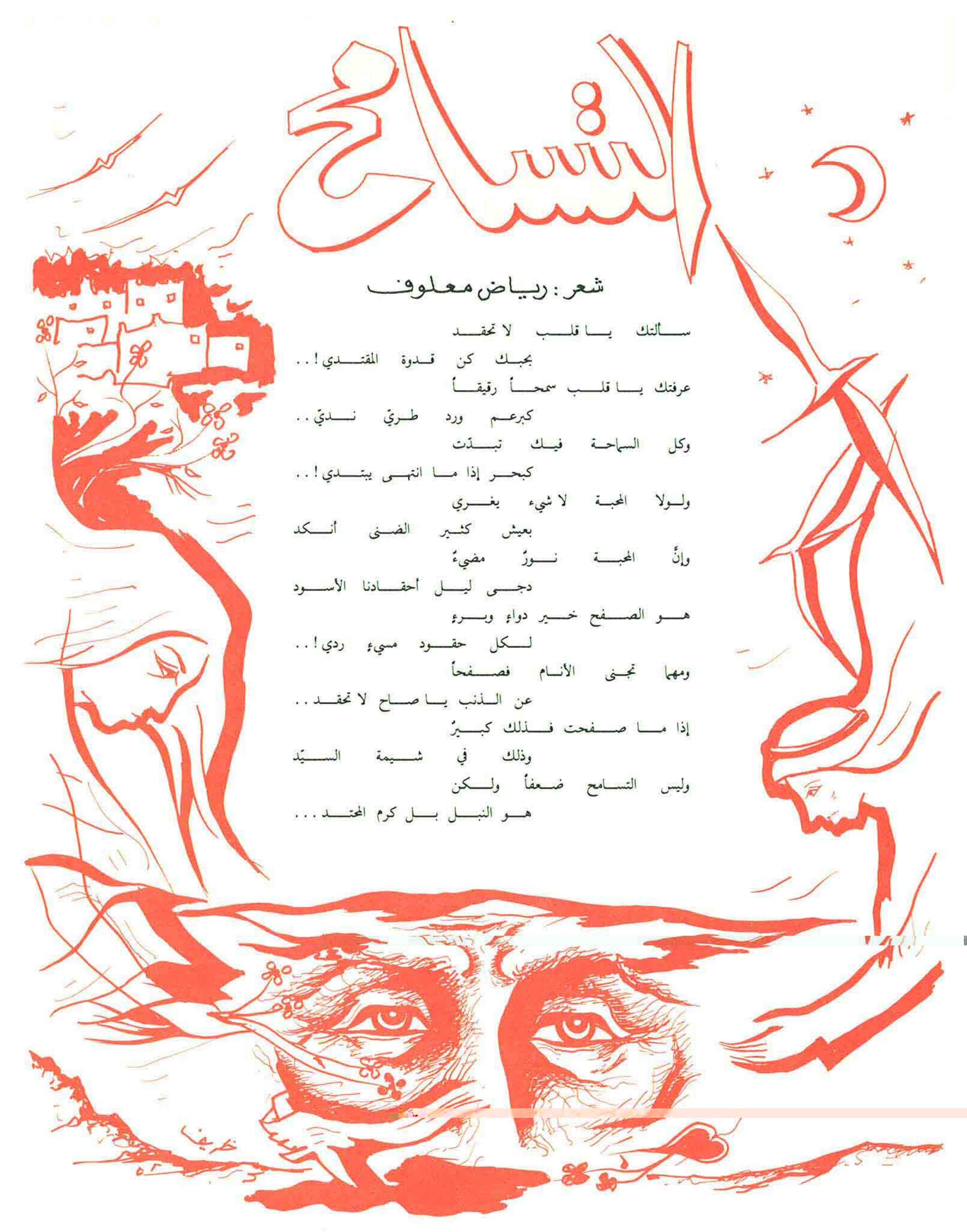
ولو وضع الكائن الحي تحت ظروف معملية ثابتة فإن هذه الساعات البيولوجية لا تزال تعمل وقد تؤخر أو تقدم قليلاً، ففي إحدى التجارب عزل إنسان في غرفة مظلمة حيث لا يستطيع أن يقيس الزمن بأي ساعات زمنية وسُجل نشاطه واتضح أنه حتى بعد سبعة عشر يوماً كان هذا الإنسان ينشط أثناء ساعات النهار، وينام أثناء ساعات الليل وهذا شبيه بسلوكه الذي ألف عليه تحت الظروف العادية ولم يؤثر عليه العزل إلا قليلاً! فهذه الملكة لقياس الظروف الطبيعية المختلفة موجودة عند كل الكائنات الحية وهي هبة من الله الخالق العظيم لكي ييسر معيشتها!!

المراجع REFEENCES

(1) Bates, M. (1963). **Animal Worlds.** Thomas Nelson & Sons., London.

(2) Milne, L. and Russell, F. (1975). **The Secret Life of Animals.** Weindenfeld and Nicolson, London.


SEIKO
QUARTZ
سيكو
تقدم
مجموعه ساعات سيكو "الأسد"
مجموعة سيكو "الأسد" الجديدة الحديثة جداً
مصممة بعناية فائقة وفريدة تجمع بين
التكنولوجيا الأكثر تطوراً واحساس
سيكو الهندسي . سيكو كوارتز
الوكيل العام
الحسيني
جده ـ الرياض ـ الدمام
مكة ـ المدينة المنوره ـ أبها :
SEIKO



التسامح

شعر: رياض معلوف

سألتك يا قلب لا تحقد
بحبك كن قدوة المقتدي !..

عرفتك يا قلب سمحاً رقيقاً
كبرعم ورد طريّ نديّ ..

وكل السماحة فيك تبدّت
كبحر إذا ما انتهى يبتدي !..

ولولا المحبة لا شيء يغري
بعيش كثير الضنى أنكد

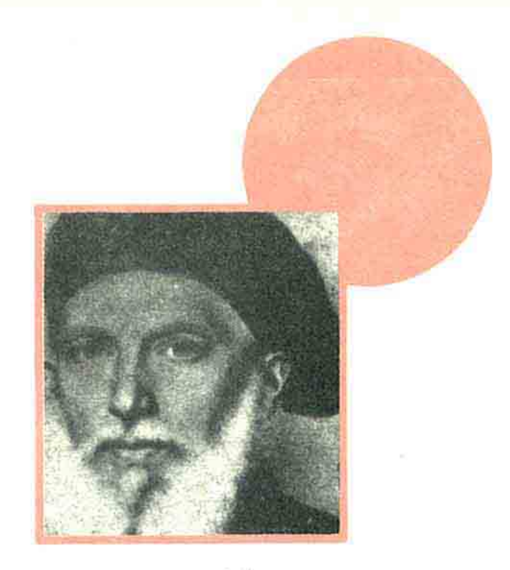
وإنّ المحبة نورٌ مضيءٌ
دجى ليل أحقادنا الأسود

هو الصفح خير دواء وبرء
لكل حقود مسيء ردي !..

ومهما تجنى الأنام فصفحاً
عن الذنب يا صاح لا تحقد ..

إذا ما صفحت فذلك كبيرٌ
وذلك في شيمة السيّد

وليس التسامح ضعفاً ولكن
هو النبل بل كرم المحتد ...



★ إبراهيم باشا ★

أهدافها . وكانت بريطانيا على رأس هذه القوى التي استغلت والي مصر إياه لتحقيق مآربها الاستعمارية ، وسياستها المتعلقة بمنافسة القوى الأخرى في المنطقة من تركية إلى روسية إلى فرنسية . فبالنسبة إلى حملة محمد علي باشا (حملة إبراهيم باشا) للدولة السعودية الأولى ، يرى الكاتب بحق أن الدولة السعودية الأولى « شكلت تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية في منطقة الخليج والبحر الأحمر ، فوجب اتخاذ القرار لتدميرها من قبل السلطان العثماني ، لا استجابة للمصالح العليا للدولة ، بقدر ما هو حماية للمصالح البريطانية . ولم يكن الباشا الألباني في مصر يجهل هذه الحقيقة فهو يدرك جيداً أن أي قرار يصدره السلطان وله مساس بالمصالح البريطانية يجب أن ينال مباركة هذه الدولة أو على الأقل عدم معارضتها » (صفحة ٤١) .

أما بالنسبة لحملة محمد علي باشا على **السودان** ، فهو يخرج علينا بنفس النتيجة في خدمة تلك الحملة للمصالح البريطانية قائلاً : « على الرغم من أن غزو السودان لم يكن يتوقع أن يثير حساسيات دول كبرى ، فإننا لا نعتقد بأن بريطانيا على وجه الخصوص كانت بريئة من المشاركة بإسداء النصح لمحمد علي باشا إن لم تكن هي مصدر الإيحاء الرئيسي » (صفحة ٤٩) .

ويسير الكاتب في إعطاء نفس هذا التفسير فيما يخص حملتي محمد علي باشا على كل من اليونان وبلاد الشام حيث يراها وسائل استغلتها بريطانيا لتحقيق مآربها السياسية آنذاك .

وهكذا يؤكد الدكتور الغنام على هذه النظرة للأمور ويسير قدماً في هذه التفسيرات الجديدة لسياسة محمد علي باشا الخارجية على أساس أنها من أدوات السياسة الاستعمارية البريطانية في لعبة الصراع الاستعماري في الشرق الأوسط في الأربعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر . وهو يؤكد على هذه النقاط في كل مناسبة في تفسيره لسياسة محمد علي باشا الخارجية في حملاته العسكرية . . وحتى في تلك الحالات التي كان محمد علي باشا يأتمر فيها بأمر السلطان العثماني ، فإن هذا التمثل للأوامر إنما كان منطلقاً من الحقيقة القائلة بأن السلطان العثماني نفسه كان يسير في فلك بريطانيا ويسعى لتحقيق سياستها .

لم يقم الكاتب في هذا المؤلف بالتطرق فقط لمجريات السياسة البريطانية المصرية – العثمانية بخصوص هذه الحملات ، وإنما نجده يحلل وبجدية مواقف وصراعات القوى الأوروبية المختلفة الكبرى آنذاك بشأن **تركيا والبحر الأبيض المتوسط**، علاوة على مشاكل **اليونان** في تلك الفترة الدقيقة التي أحاطت بثورتها وحصولها على الاستقلال من الدولة العثمانية . وكانت **روسيا وفرنسا والنمسا** القوى الكبرى الأساسية الأخرى التي يتعرض لها الكاتب بالتحليل في سياستها حيال منطقة البحر الأبيض المتوسط التي مستها حملات محمد علي باشا .

ويوضح الدكتور الغنام في النهاية فشل محمد علي باشا في تحقيق أي من أهدافه . فقد فشل في الاحتفاظ بالأراضي التي اكتسبها في حملاته ، كما فشل حتى في تحقيق الأهداف الإصلاحية الداخلية التي تغنى بها طويلاً .

ولقد أورد الكاتب نقطة هامة في كتابه تجدر الإشارة إليها خاصة رأيه المتضمن مطالبة الأساتذة والمختصين في أرجاء الوطن العربي ، بإعادة كتابة التاريخ العربي بعيداً عن التفسيرات الغربية للعديد في جوانبه وزواياه . وهذه النقطة الهامة بالذات هي قضية إضفاء صيغة القرصنة على **قبائل القواسم** التي كانت تهاجم السفن البريطانية في مياه الخليج في مطلع القرن الماضي حيث يحلو للكتّاب الغربيين وحتى عدد كبير من الكتّاب العرب – وليس السعوديين فقط كما يذكر الدكتور الغنام ، متأسفاً – أن يضفوا على تلك القبائل صفة القرصنة . فقد جاء الكاتب هنا مصححاً لتلك التفاسير موضحاً بأن القواسم لم تكن بالقراصنة بالقدر الذي كانت فيه مدفوعة بمشاعرها الدينية إثر احتكاكها بالدعوة الوهابية .

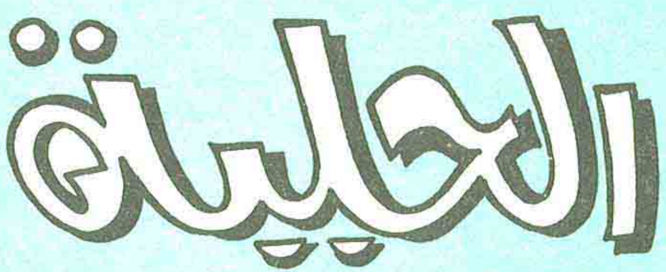
« فقد وجدت دعوة ابن عبد الوهاب قبولا عاماً لدى السكان وانضوت تحت لواء الوهابية ونتيجة لهذا الانضواء ، فقد أصبحت قوة القواسم امتداداً عفوياً للدول السعودية وتضاعف نشاط القواسم البحري واصطبغ بصبغة الجهاد في سبيل الله . هذا الجهاد الذي أصبح بنظر الإنجليز (قرصنة) » (صفحة ٣٤) .

والكتاب يتمتع علاوة عن كل ما فات بأسلوب لغوي متين ، وندرت فيه الأخطاء المطبعية ، كما اعتمد الكاتب على عدد من المصادر الجيدة وحتى بعض الوثائق العثمانية .

ومؤلف هذا الكتاب الدكتور سليمان بن محمد الغنام هو أحد الأكاديميين السعوديين الشباب ، وهو رئيس قسم التاريخ في جامعة الملك عبد العزيز بجدة سابقاً ، وأستاذ مشارك في ذلك القسم حالياً ، وهو متخصص بدراسة تاريخ الجزيرة العربية والخليج العربي .

قصة قصيرة

بقلم: د. نعيم عطية



استيقظ مبكراً، قرر أن يتريَّض مشياً على قدميه. دخل الحمام. نظر إلى المرآة. لاحظ حاجته إلى الحلاقة. رفض أن يضع الصابون على وجهه. طالعته المرآة بالتجاعيد وبنظرته المنطفئة. اغتسل، وعاد حافي القدمين إلى الغرفة. سقط من يده المشط. استيقظت زوجته وتململت. قالت بلهجتها المتأففة:

ـ حتى يوم الإجازة، تزعج نومي؟

دفنت وجهها في الوسادة الحريرية، نظر إلى شعرها المصبوغ باللون الأحمر، وقال:

ـ سأذهب إلى النادي.

تقلبت على سريرها، وقالت:

ـ لا أذهب إلى النادي قبل الظهر.

كان هذا ميعاد استيقاظها حتى في غير أيام الجمع. لا يذكر أنها جهزت له إفطاراً طوال سنوات زواجهما.

قالت:

ـ اترك لي السيارة الكبيرة اليوم. خذ أنت الصغيرة.

سمع أنفاسها ثقيلة رتيبة، وهو يخرج من الغرفة.

اجتاز جسر الجلاء. هبت النسمات من النيل باردة رطبة. خف الثقل بموضع قلبه. قال له الطبيب إن للمرض الذي ظهرت عليه عوارضه أخيراً أسباباً متأصلة في أغوار نفسه. قلق دفين مثلاً. سأله: «**هل أنت غير راض عن حياتك، يا دكتور رمزي؟**» راوغ ولم يجبه. كانت الطرقات خالية من البشر، وعلى الأرض امتدت ظلال شجر تساقطت مع مقدم الخريف أوراقه وذبلت. وشعر وهو يدوسها كأنها أيام حياته تنسحق تحت وطأة زمن معذِّب، كلا ليس الزمن هو الذي يعذب. الزمن وعاء يملأه بعض الناس ماء قذراً. وفي هدوء الطريق انسابت بأعماقه قصتهما. منذ أربعة عشر عاماً بدأت.

عرفها وهو معيد بالكلية. عينان واسعتان وامضتان، وشعر قصير أسود. شدته شخصيتها المرحة غير المكترثة. «**لا شيء يهم. كل ما أريده أحصل عليه**».. هذا ما كانت تقوله. ثم تضيف ضاحكة: «**وما لا أحصل عليه لا أريده أبداً**». لم تكن طالبة مجتهدة. تخفي قلة اطلاعها بحضور بديهتها. ما من رحلة من رحلات الكلية إلا واشتركت فيها. عندما نزلت إلى البحر في «مرسى مطروح» لم تخلع السوار الماسي عن معصمها. قال لها مشرف الرحلة: «**خسارة أن تضيع هذه الحلية**».. أجابت باستخفاف: «**ليس للمال اعتبار في دنياي**» وجرت تقفز خالية البال بين الموج، وتغطس في اللجة.

أحس ذلك الصباح بالشمس تضيء من حولها أضعاف المرات. بدا له كل ذلك ثقة بالنفس، وتفتحاً للحياة، ونعمة. كان بطبعه مهموماً منطوياً منكباً على كتبه، يدفع أسابيع من الكد الشاق لقاء كلمة استحسان من أستاذ. طرفا نقيض هما. تعيش هي حياتها يوماً بيوم. تفيض على من حولها بهجة، وتُفْتَحُ لها الأبواب بلا عناء، أما هو فحذر تأملي. يخطط لمستقبله، والفشل أكبر ما يخشاه. لكنه رأى أنها بحيويتها الدافقة تنتزعه من طويته، وتكمل فيه جانباً ينقصه. هذا الإحساس بالنقص والاكتمال هو ما جذبه إلى «**نرمين شوقي**» الطالبة بالسنة النهائية بقسم اللغة الإنجليزية، التي تأتي إلى الكلية بسيارة أبيها الفاخرة. يفتح السائق لها الباب، وتنزل ترفل في أغلى الثياب، وتبدو بين الطالبات كأميرة تحيطها وصيفات.

دخل النادي . جلس إلى منضدة بركن قصي في الحديقة الفسيحة . عن يمينه شجرة صبّار نحيلة داكنة الخضرة . وعلى النجيل اللدن أمامه قط كوّر جسمه ، وراح في نوم عميق .

قرر أن يتزوجها . سألته : « **متى ستسافر في البعثة ؟** » أجاب : « **يحل دوري بعد ثلاث سنوات** » . قالت بحزم : « **إذن ، نسافر فوراً . أبي سيتحمل النفقات . وهل نضيع كل هذه السنوات ؟** » ، ولم تكترث بدخول الامتحان ، وكان قد بقي عليه شهران . قالت له باستخفاف : « **سأتزوجك ، وتحصل أنت على الشهادات** » . . أكان ذلك عن حب وإحساس بالتوحد ؟

تمرغ القط على النجيل ، وأدار له ظهره . طلب قدحاً من القهوة .

سافرا . أول الأمر ، استمتعا معاً ، وأنجبا « **سارة** » و « **رياض** » حصل هو على الدكتوراه ، واشترت هي فساتين ومجوهرات . لم تعد تفتح كتاباً وتقول « **اثنان يقرآان في بيت واحد ؟ هذا كثير !** » وتضحك . كان يضحك معها . يشاركها اللهو ، ويجاريها في اقتناص المسرات . لكن الطبع يغلب التطبع ، وجاء الوقت الذي بدت فيه الفوارق جسيمة بينهما . استمرت هي تجري ، وأدركه هو اللهاث ، وإلى جوار كتبه تكوم . يصاب أحياناً بالذعر : **هل يبدد حياته منساقاً وراءها** ؟ اشتد انطواءً على نفسه ، وازدادت هي اندماجاً في المجتمعات . تقول لصديقاتها المضمَّخات بالعطور : « **المطبخ ؟ أنا لا أدخله أبداً** » أما **سارة ورياض** فقد تكفلت المربية بشؤونهما ، وتكفل بشؤون البيت خدم يلبسون القفاطين الموشاة . ينحنون ، ويحيون باحترام .

وجد أستاذ الفلسفة الذي أعد أبحاثه الباكرة عن « **فكرة العدم** » ، وجد نفسه ينعم برغد العيش ، ويحيطه الترف والثراء ، يسكن (فيلا) من طابقين ، وتسع غرف عامرة بفاخر الطنافس والتحف والأثاث . كل ذلك بعض ما ورثته **نرمين** عن أبيها الذي لم ينجب غيرها . أصبح يستسيغ هذه الحياة ، بل لم يعد يستغني عنها ، كانت هذه خطيئته ، وربما خطيئته الوحيدة . وعَكَسَ ذلك على إنتاجه ، فتخلص من النزعة الهجومية التي بدأ بها كتاباته ، وصار قليل النقد ، معتدلا محافظاً ، مما أكسبه رضاء الرؤساء ، فمُنِحَ الجوائز والألقاب ، وأُسْنِدَتْ إليه رياسة كثير من اللجان .

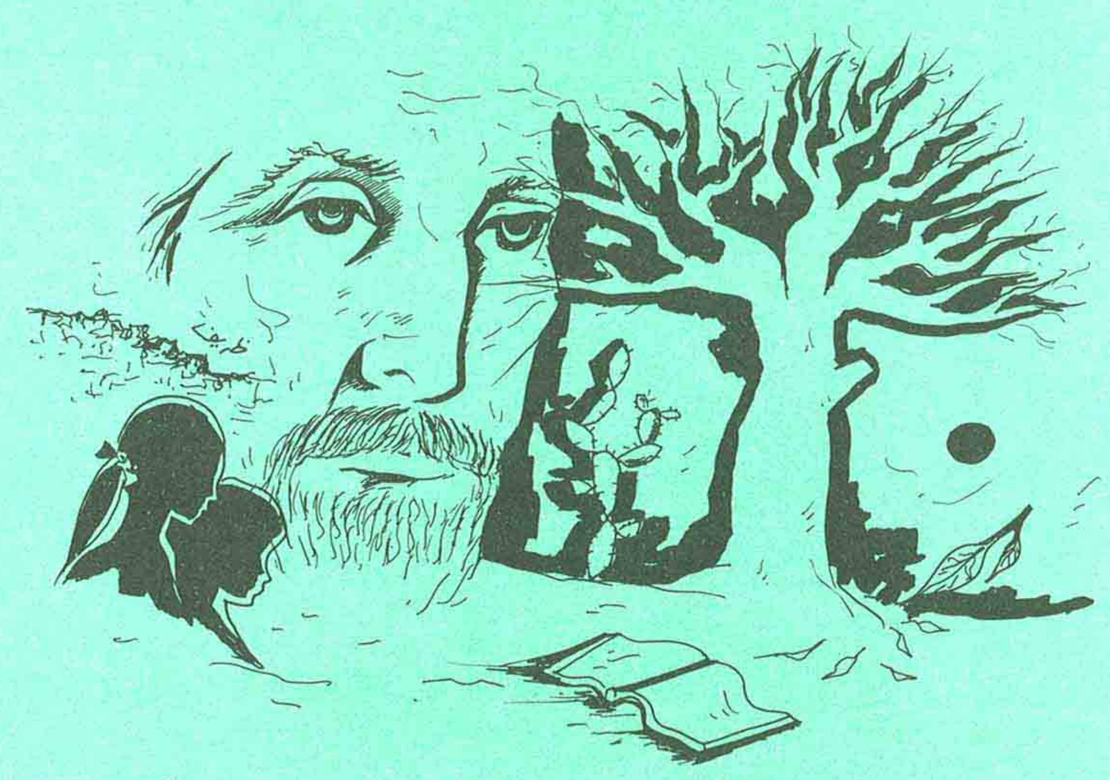
ملأ رئتيه بهواء الحديقة ، ومدد ساقيه في الشمس باسترخاء . هبط غراب على منضدة مجاورة . أمسك بمنقاره كسرة خبز جاف .

أغلب الأيام يتناول غداءه وعشاءه وحيداً على المنضدة الأرو المستطيلة ذات الأثني عشر مقعداً . تطل عليه من الحوائط لوحات تصور حوريات لا وجود لهن ، في فردوس لا يعرف له مكاناً . ألِفَ أن يعود إلى بيت محروم بغيابها من الدفء والضياء ، مما زاده إكباباً على محاضراته ، فألّف ما أكسبه مكانة علمية ممتازة ، لكنه ظل في عزلة ، مُحْبَطاً على الدوام لا يصدق ما يوجه إلى كتبه من ثناء . يحس بأنه مجرد فقاعة . لو انغرس فيها دبوس لانفجرت . وكان يخشى هذا الدبوس ويتحاشاه . **ولكن هل ثمة مفر من أن يلقاه ؟** أحضر الساقي قدح القهوة . تناول رشفة ، وامتلأ فمه بطعمها المر .

تؤوب إلى البيت متعبة من عشاء ، أو حفل موسيقي ، أو افتتاح معرض ، أو زيارة أو سوق خيري أو عرض للأزياء . ليس بها رغبة في حديث . وربما وجهت إلى الخدم من الكلمات أكثر مما توجهه إليه . يسألها كيف أمضت وقتها . لا يَلْقَى منها سوى رد مقتضب . في بعض الأحيان ، تقاطعه بسؤال ، وقبل أن يدلي بإجابة ، تنهض . تسحق سيجارتها في المطفئة ، وتنصرف . تصعد إلى غرفتها . تنبه ألا يزعجها أحد ، وتغلق الباب . أضحى ينام أغلب لياليه في غرفة أخرى مجاورة ، بعد أن يكون قد أفرغ همه في قراءة أو مراجعة . ذات ليلة احتج ، قالت له : « **أعرف أزواجاً كثيرين ينامون في غرف منفصلة ، ولا يتضررون** » . سألها : « **أهم مطلقون ؟** » . أجابته من أعلى السلم : « **تهددني ؟ أنت لا تستطيع أن تتركني** » . سألها : « **واثقة أنت من نفسك ؟** » . أجابت : « **مالي وفير** » أرسلت إليه على أطراف أصابعها قبلة ، وقالت : « **وأنا لا أريد أن أتركك** » . استحال وجهها ذو العينين الواسعتين إلى وجه بومة تطل عليه . أردفت بمنطق من يحصل على كل ما يريد « **أنت رجل مرموق . ما كان سيصبح لثروة أبي قيمة لو لم أتزوجك** » .

توسطت الشمس صفحة السماء . سرت في أوصال القط سخونتها . نهض ، تثاءب وتمطى . لمع فراؤه الأسود ، وهو يمضي مبتعداً ، رشيقاً ، واثق الخطى يتثنى .

فكر في الطلاق ، عاد يقول لنفسه « **ولكن من أجل ماذا ؟** » هل سيعيد بناء حياته ؟ ذبلت مع مقدم الخريف أوراقه . ستكون **نرمين حائلاً** بينه وبين أي امرأة أخرى من بعدها . هل يعلن للآخرين فشله ؟ هل يرضى أن يجد نفسه مطروداً من الغرف التسع والحديقة الفيحاء ؟ عن « **العزلة** » تكلم في كتبه كثيراً دون أن يكابدها . كم هي الآن شديدة الوطأة ، فليجرع كأسها حتى الثمالة . جاهد بصبر كي يبعث الدفء في حبهما . طلب منها أكثر من مرة أن يخرجا ليتريضا سيراً على الأقدام ، سخفت من طلبه ، وقالت : « **هذا كلام من ليس لديهم عربات** » أو أن يجلسا في محل خلوي ، فقالت « **هذا لا يليق بمن كانت زوجة أستاذ كبير . ماذا تقول صديقاتي لو رأيني في محل رخيص مثل ذلك الذي تذكر اسمه ؟** » . . تسخف على الدوام مما يقول ، تمسك بهراوة من الحماقة تهوي بها على كل مبادرة



حُبّ .

راحت تقطع الخيوط التي تربطهما ، وهو يصل ما انقطع . بحسّ الفلاسفة يقول « **لا يلبث المرء أن يزهد متع الحياة يوماً** » وانتظر أن يأتي هذا اليوم بالنسبة **لنرمين** . وإلى ذلك الحين لن يحرم ولديه من البيت المستقر ، ولن يبارح الفيلا ، ولن يتيح لحاسديه ومضمري البغضاء له وراء ابتسامات النفاق أن يشمتوا . هل يدع نفسه يسقط ، فتهوي السكاكين عليه من كل جانب ؟ إن الحياة بالنسبة لمن كان جاداً مثله لا تحتمل لعباً أو خطأ ، فاللعب هلاك ، والخطأ موت . سيدفن نفسه بين كتبه ، وسيواصل تسلق درجات النجاح إلى أسمى المناصب . أما السعادة ، فيا لها من شيء سقيم ، **وهل كان سيبلغ ما بلغه من مكانة لو آبه بها يوماً ؟** .

من شجرة عالية انقض سرب من العصافير ، راح يلتقط في نهم الهوام المتقافز من ثنايا النجيل . رشف آخر قطرة من قهوته ، لاحظ أن شجرة الصبار المجاورة تحمل بين أشواكها زهراً صغيراً أبيض . قلب الفنجان ، فما لبث أن التصق بالطبق . ضحك في قرارة نفسه ، وقال « **إنها إذن تحبني** » ثم ضحك من جديد ، وقال « **أستاذ الفلسفة يعتقد في الخزعبلات** » .

رآها مقبلة ، ترتدي فستاناً ذا حمالتين ، أصفر اللون زاهياً ، يكشف الصدر والذراعين . أضاءت الشمس من حولها ، مثلما أضاءت في مرسى مطروح ذلك اليوم البعيد ، لا زال مشدوداً لذكريات الأمس . عندما اقتربت منه ، نظرت إلى ذقنه ، وقالت مؤنبة :

ـ **ألا تخجل من نفسك ؟ كيف تأتي إلى هذا النادي الراقي بهذا الوجه العكر ؟ كان يجب أن تعرف قدرك .**

ـ ابتسم ببلادة ، قال لها :

ـ **أنت جميلة .**

ـ قالت غير مكترثة بما أفرغه في هاتين الكلمتين من لهفة ورجاء ويأس أيضاً :

ـ **دعك من ذلك الآن .**

طار الغراب ، وحط بأعلى غصن .

أنهضته من كرسيه :

ـ **قم . تعال .**

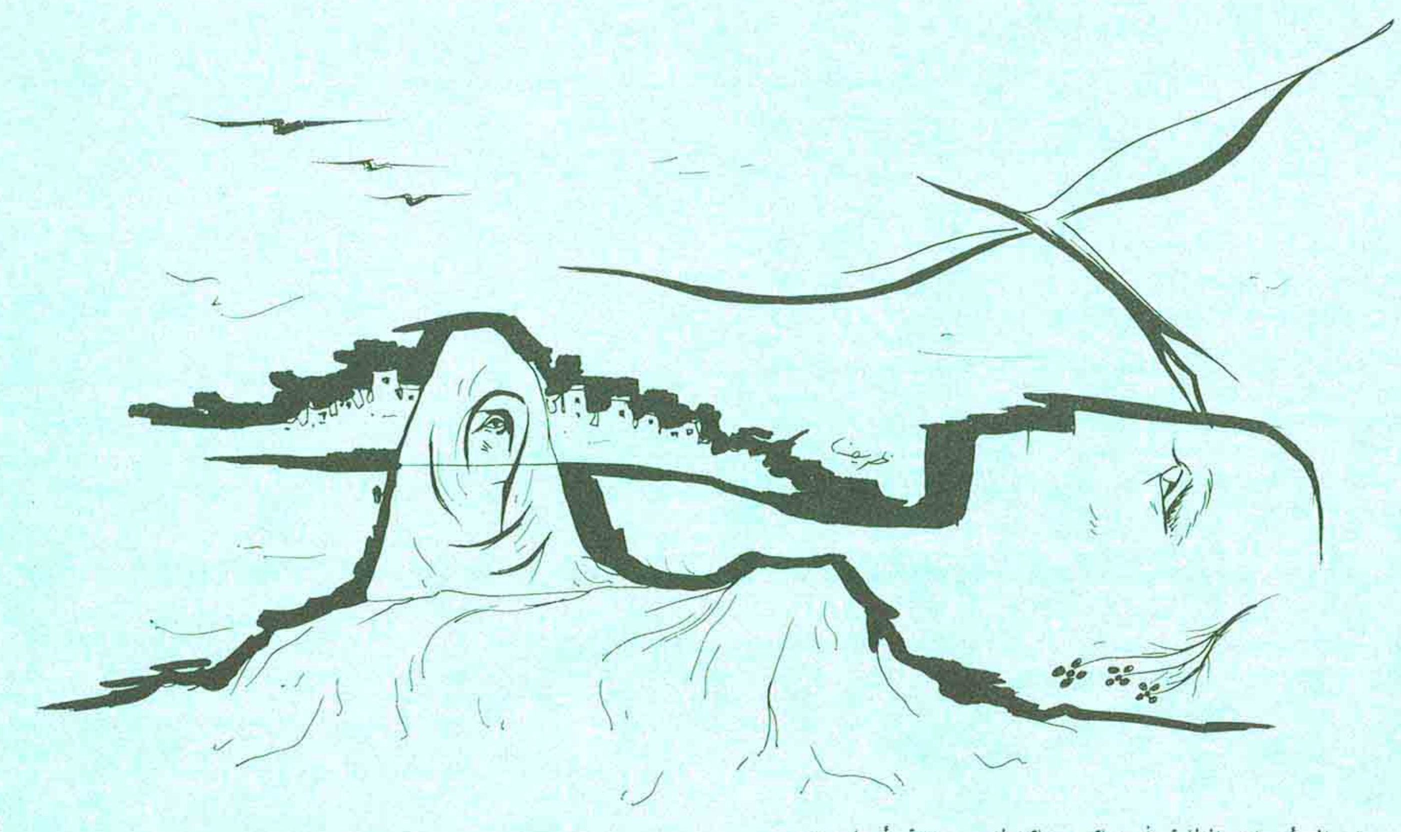
تأبطت ذراعه في دلال ، وقالت :

ـ **دعوت ضيوفاً أجانب على الغداء .**

مضت به إلى مطعم النادي ، وقالت :

ـ **اسمع ، يا رمزي . أريدك أن تبهرهم بثقافتك . فاهم ؟**

أومأ برأسه . استجمع خبرته كمحاضر ، وذهبا إلى الضيوف معاً ، كحبة فول انشقت شطرين .



حوار

تـتوالى أصوات المطارق في تعاقب حاقد لئيم . تـدق أبـواب **ديـر أبو مشعل** وشبابيكها وتـكسِّر كل شيء . . . وتـرافق ضربـات المطـارق أصوات هجينة غريبة تخرج من الأنف ، وتحمـل أقـذر الشـتائم : هيَّـا ،حرجوا . . ارحلوا . . . اغربوا عن وجوهنا . . . هيَّا . . الكابوس يُثقل صدره وهو نائم يتململ . . كان يرى نفسه وهـو يحـاول أن يتصـدَّى للمطارق بيدين عاريتين ، لكن أصابعه كانت أطول من الذراع ، وأظافره أقسى من الحجارة . . كانوا يـواصلون ضربـات المطـارق . . . تـارة على الشبابيك والأبواب وتارة على أصابعه الطويلة وأظـافره . تململ في نـومه المزعج . . ثم نهض وهو يصرخ بصوت عال :

ـ دمروا الأبواب . . . والشبابيك والسيارات . .

وقف مرعوباً فزعاً . . . وأطل من شبَّاك الغرفة وألقى نظرة عجلى على السيارة الواقفة في فناء الدار . . . تناول نفساً عميقاً . . . وعاد يجلس على طرف السَّرير وهو يفرك عينيه ويستعيد وعيه . كل شيء صـامت في هـدأة الليل . . اتكأ بظهره على خشب السَّرير . . وأخذ يحملـق في الفـراغ . . توقفت عيناه على صورة الشهيد المعلَّقة على الجدار . . وصله صوت غير مسموع : « الآتي قريب » .

ملأته العبارة القصيرة بفرح لا حدَّ لـه . . استمر يحملـق بصـورة **أبـي خنفر** المعلَّقة على الجدار ، في حين تـتردَّد العبارة القصيرة كما لـو كانت صوتاً قادماً من مُضخِّم للصوت يلعلع في هدأة الليل وتردِّد صداه الجبال والوديان . . كانت السيارة همَّه الكبير ؛ لمنذ أن داهـم المستوطنون دير أبو مشعل ورام الله والبيرة يحطمون كل شيء في الليل ، وهو يحسُّ بأنَّ دور هذه القرية قادم . . . كان يتخيَّلهم قادمين من المستوطنة الجديدة التي لا تبعد سوى مئات من الأمتار عن القرية . . يتصوَّرهم قـادمين يـدقون الأبواب والشبابيك ويكسِّرون السيارات . .

نهض كمن وخزه رأس سيف . . وهتف :

ـ ماذا تفعل ؟ .

تسمَّرت عيناه في عيني الشهيد اللتين خـالهما تـكادان تقفـزان مـن خلف زجاج الصورة . . . واصل الحملقة في الصورة . . . اتَّسعت حدقتا عين الشهيد . هكذا كان يفعل أبـو خنفـر وهـو حيّ . . لا يتـكلم كثيراً . . . يحتج على المواقف الخاطئة بنـظرة قـوية تـتسع فيهـا حـدقتا



بقلم : ثمر سرحان

مع صورة الشهيد

عينيه .. حتى تكاد العين تقفز من موقعها ... أخذ يخاطب صورة الشهيد دون أن يحرِّك شفتيه :

ـ أعرف رأيك يا أخي ... وأعرف ماذا سأفعل ... وأعرف أنهم قادمون .. اليوم .. أو غداً .. أو بعد غد .. إنهم لا يريدون أن يرونا على هذه الأرض .. لكن .. لا ... هذا ما يريدون، وليس بالضرورة أن يتحقق كل ما يريدون .. فعلوا نفس الشيء بأراضي الثمانية وأربعين .. وظل الناس صامدين كالجدار .. جاعوا وعطشوا وذاقوا مرارة الغربة داخل أرضهم. لا .. ليس بالضرورة أن يتحقق ما يريدون .. ليس ضرورياً .. ألم تقل يا (أبو خنفر) بأنَّ الصمود راية فرح أبدية .. وأنَّ الشجاعة صبر ساعة .. وأنَّ من يسقط يسقط إلى الأبد، ومن يصمد يصمد إلى الأبد أيضاً ... وأنَّ ....

وغفا وهو يواصل مخاطبة صورة الشهيد .. وأحسَّ أنَّه يتململ ... يتحرك ... ينهض .. يمشي .. يمشي ... يمشي .. يتعثَّر في العتمة ... واستطال ذراعاه ... واستطالت أصابعه .. وأفرزت الأصابع أظافر حديدية طويلة .. وأخذ يبارز المطارق التي تكسر كل شيء في شوارع رام الله .. يبارزها في عتمة الليل البهيم .. وكانت عينا الشهيد تبعثان أشعة كاشفة .. يجري هنا .. يقفز هناك ... يضرب هذا ، يكسر مطرقة ذاك ويصيح بهم . وظل طوال الليل يحارب المطارق حتى انبلج الفجر ، وطلعت الشمس ... وعاد إلى القرية .

كانت أم الشهيد تقف إلى جوار السيَّارة ... وكانت منهمكة في تنظيف الزجاج وإزالة الوحل عن العجلات .. كانت المسكينة تحصل على متعة لا حدَّ لها وهي تغسل سيارة أبي خنفر .. فالسيارة يجب أن تظل موجودة حتى ولو لم تتمكَّن من شراء نقطة بنزين تضعها فيها .. ويجب أن تظل السيارة نظيفة تلمع ... تماماً مثل ما كانت على عهدها وهي في حوزة الشهيد .. وكانت عجايز القرية تحيط بأم الشهيد وهي تغسل الفرش الداخلي بإصرار لا حدَّ له .. كانت تصب الماء الدافئ ومسحوق الغسيل بغزارة .. وتفرك الجلد الناصع الزرقة ... هتفت بها عجوز :

ـ ماذا تغسلين يا امرأة؟

ـ دم الشهيد!! ألا ترينه؟ .. إنَّه هنا على الفرش الخلفي للسيارة . آه! . واحسرتاه! . كم غسلت الدم؟ .. شهور طويلة مضت على استشهاد أبو خنفر، وأنا أغسل الدم يوماً بعد يوم . لكن لا فائدة ، فدم الشهيد باق على حاله ... يجف .. يتصلَّب ... يتحجَّر، لكنه لا يزول .. أبداً لا يزول حتى لو استعملنا كل مساحيق العالم ... فهنا كان أبو خنفر في السيارة عندما أطلق المستوطنون عليه النار .. وتركوه ينزف حتى نزل كل دمه على الجلد .. نزل وثبت وتصلَّبَ وتحجَّر .. تماماً مثلما تصلَّب جسده داخل القبر .. نعم ... جسده هناك .. صلب .. ثابت ... باق ... متماسك .. أبو خنفر مات ، لكن جسده باق ... وسيبقى أبد الآبدين .. قوياً ... نظيفاً .. طاهراً ... تنبعث منه رائحة أزكى من رائحة البخور ... ونقط الدم التي تناثرت على ملابسه وفي التابوت .. باقية .. تماماً مثلما هي باقية بقع الدم الكبيرة التي نراها الآن على فرش السيارة .

قالت العجوز لأم الشهيد :

ـ لكنني لا أرى أية بقع دم؟ ..

ـ ألا ترينها؟ .

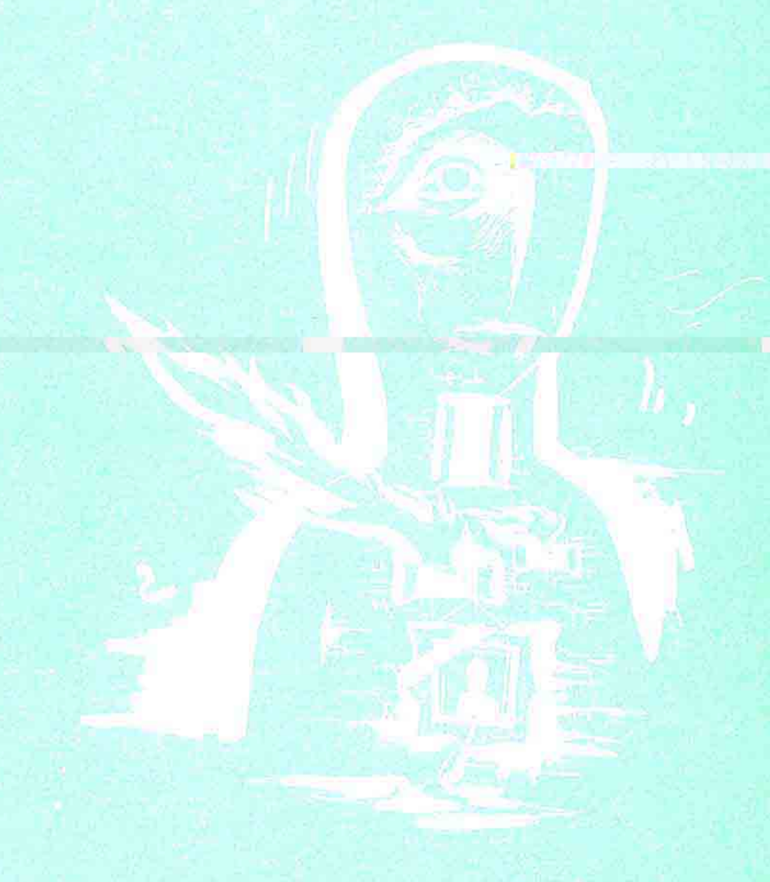
ـ طبعاً لا أراها .. لقد غسلناها منذ اليوم الأول الذي استشهد فيه أبو خنفر ..

ـ أنت لا ترين ... مسكينة ..

ـ ولماذا لا أرى؟ فأنا ما زلت أبصر كل شيء ... وأطرِّز أجل الثياب ... فلماذا تقولين بأنني لا أرى بقع الدم؟ .

ـ لأنك لست أم الشهيد ... انظري .. هذه بقعة ... وتلك أخرى ... وهنا على أرضية السيارة سالت نقط الدم الزائدة لتكوِّن بركة على الجلد والمطاط ... انظري .. فهذا دم شهيد .. لا يجف ولا يتبخر ... يتصلَّب ... يتحجَّر إلى ما شاء الله .. وعندما يبعث جسداً لشهيد يعود الدم سائلاً كما كان ويسري في عروقه دافئاً دافقاً يمور بالقوة والإصرار والرغبة في الانتقام . أنا لا ألومك يا جارتنا .. إذا كنت لا ترين الدم ... حمى الله أبناءك من الغدر .. وأبقاهُمْ سنداً لنا جميعاً ..

وصرخت المرأة العجوز صرخة تردَّدت أصداؤها في جنبات القرية :



ـ يا محمد .. يا محمد ... حرقوا السيارة ..

واستيقظ محمد من نومه فزعاً وقد أرعبه صوت والدته التي أخذت تواصل الصراخ .. وإرسال النداءات لأهل القرية الذين تجمَّعوا على السيارة يمطرونها بالماء والرَّمل لإطفاء الحريق الذي شبَّ فيها .

صاح محمد :

ـ إنهم المستوطنون ..

ردَّ رجل ..

ـ أراهن أنهم هم .. لقد رأيت سيارتهم تغادر المكان رجوعاً رجوعاً وعلى عجل حتى توقفت هناك عند حراس باب المستوطنة . هم . نعم . إنهم هم الذين حرقوها .. أقسم إنهم هم ...

أخذ محمد يقطع مئات الأمتار التي تفصل القرية عن المستوطنة في لمح البصر . صاح الشباب : الحقوه .. لا تدعوه وحده بين أولئك الذئاب .. وفي لحظات كان عشرات الشباب يتجمهرون حول محمد عند باب المستوطنة .. أخذ محمد يصرخ بهستيرية ..

ـ أنتم كلاب .. قتلة .. قتلة .. نعم قتلتم « أبو خنفر » ... أنتم الذين قتلتموه .. ثم جئتم تحرقون سيارته ..

صاح مستوطن :

ـ أخرسوا هذا الولد ...

ـ لماذا أخرس ؟ لماذا ... قتلتموه .. وحرقتم السيارة .

جرَّه ضابط الأمن إلى الداخل .. وأجلسه على كرسي بالرغم منه .. وهو يصرخ ويسبّ دون أن يدرى ما يقول :

ـ اهدأ يا محمد .. نحن لم نقتل أبو خنفر .. أهل بلدك الذين قتلوه .. ومع ذلك عرضنا عليك الدية .. ونحن الآن مستعدون أن ندفع ثمن السيارة رغم أنه لا علاقة لنا بمن حرقها .. أهل البلد هم الذين حرقوا السيارة ... لماذا نحرق السيارة ؟ كن عاقلاً يا محمد .. إنهم أهل بلدك الذين يحاربونك .. عليك أن تكون عاقلاً وأن تفهم مصلحتك ... مصلحتك معنا .. ومكانك معنا .. سنضعك في عيوننا .. سنشتري لك سيارة .. سنحميك منهم .. سنجد لك عملاً جيداً .. لقد قلت لك هذا مراراً .. كن عاقلاً يا ولد .. وقدِّر وضعك .. وافهم أين تقع مصلحتك ..

نهض محمد كمن أصابه مَسٌّ من جنون ، وقد انتشر الزبد على شفتيه وفي كل فمه .. حملق في الضابط بنظرة احتجاج نارية .. أحسَّ أن حدقتي عينيه تتَّسعان ... وتتَّسعان .. وتتَّسعان حتى تكاد العين تقفز من موقعها ... تماماً مثل ما كان يفعل أبو خنفر . لم يقل شيئاً ، بل خرج وصفق الباب صفقة زلزلت المكان .. وأخذ يعدو في ساحة المستوطنة وهو يصرخ :

ـ أنتم كلاب .. قتلة .. قتلة .. نعم .. قتلتم أبو خنفر .. أنتم الذين قتلتموه ... ثم جئتم تحرقون سيارته ..

ورفع يديه وناظريه إلى السماء :

ـ ويريدون ؟!! .

ولم يستطع التلفظ بالكلمات .. ثم أضاف :

ـ لكن لا ... مليون لا .

قصة قصيرة

بقلم: محمود رداوي

غداً سنلعب

— ١ —

اقتربت السيارة من (الفيلا) . توقف الأولاد عن اللعب ، كان كبيرهم يحمل عصاً بيده وصافرة بفمه . انتابهم الخوف . أبعدوا الكرة . توارت السيارة في الحديقة . ما زال الخوف يملأ قلوبهم .

قال كبيرهم مشجعاً وقد أخرج الصافرة من فمه :

— انتظروا ! لا تخافوا . . . سيخرج الحارس .

قال الولد الذكي :

★ الحارس خادم مأمور . . . يأمره سيده ألا نلعب بجوار (الفيلا) .

قال ولد :

— نسيتم ما فعله الحارس بنا البارحة ؟! .

أجاب كبيرهم :

★ لم يفعل شيئاً . . . استطعت أن أسترجع منه الكرة .

قال ولد آخر :

— لو لم نستعطفه ونترجاه جميعاً لما أعاد إلينا الكرة .

قال الولد الذكي :

★ إن أردتم الأمان فتجنبوا ضرب الكرة إلى داخل الحديقة .

قال كبيرهم :

— هذا لا يقينا شر الحارس وتهديده .. يريد أن يظل سيده في هدوء .. إن لعبنا يزعجه .

أقبل الحارس عليهم والشرر يتطاير من عينيه . تململ الأولاد . قال لهم بغضب :

★ انتبهوا ! أحذركم من اللعب في هذا المكان لآخر مرة . . أنا تساهلت معكم البارحة . . وهذا ما يزعج سيدي .

قال كبيرهم :

— لا يهمنا ذلك .. سنلعب .

قال الحارس مهدداً :

★ العبوا ! وسترى ما يحل بك وحدك . . سأجلدك جلدة لا تنساها .

وعاد إلى (الفيلا) حانقاً .

— ٢ —

يعرف كبير الأولاد أن الحارس يعني ما يقول ، وإذا حنق أو غضب لا يرحم أحداً . إن العقوبة ستقع على رأسه وحده . . سيبقى مهدداً من هذا الحارس . كيف تغيرت الأمور ؟ .

أخذ يطيل النظر في (الفيلا) والكرة بين قدميه . تصور بوضوح كيف كانت هذه الأرض ؟ كانت فسحة وساحة لملعبهم في كل الفصول . . كانت تشهد صخبهم ، وتحتوي عبثهم ، وتضم صفوفهم ، وتحتضن فرصهم . كان يحس بالقوة والأمان وهو في الساحة يصول ويجول ، ويحكم مبارياتهم وينظم مسيرهم العسكري الموزون ، فيطرب للصوت الذي يضبط وقع أقدامهم على الأرض . وإنه ليذكر جيداً متى أصبح الأولاد يلعبون في هذا الدرب ؟! منذ أن تحولت تلك الساحة إلى هذه (الفيلا) . كما يعرف تماماً كيف كانت حالته وكيف انتهت ؟! .

بالأمس كان يظهر زعامته وقسوته في تنفيذ عقوباته عليهم جميعاً بما فيهم الولد الذكي . . ولا أحد يعترض على تصرفاته ، إذا ما هدد المخالف أو لسعه بعصاه . إنهم سعداء بقوته وقسوته . بلغت شجاعته الأحياء المجاورة ، وزرعت في قلوب صبيانها الرعب . أما جماعته فقد سُرت بصيت كبيرهم وشهرته . . وراح واحدهم يتسلح بتلك السمعة المروعة ، ويحتمي



بها من شقاوة واعتداء الغرباء .

بالأمس كان يجمع منهم النقود ، ويفرض عليهم المقدار الذي يرغبه ، ويشتري ما يريد ، ولا أحد يحاسبه ؛ أو يجرؤ أن يتهمه بما أخفاه ساعة اشترى الكرة والصافرة والخيزرانة بنصف ما جباه منهم .. وحتى الولد الذكي ـ وما تحلى به من مهارة في الحساب ـ لم يستطع أن يشير ولو بكلمة واحدة إلى سوء أمانته . لقد كان قوياً مطمئناً .. لأنهم قبلوا به قائداً أو حكماً ، وعلى أي شكل كان . أليس في كل ذلك ما يخدم لعبهم ومرحهم ويحقق سعادتهم ؟! أليس هو المدافع عنهم ؟! .

واليوم ضاق ميدانه . أين الساحة وفسحتها وامتدادها وخلاؤها من هذا الدرب الضيق ؟ هذا الدرب الذي يشاركه فيه المارة ، ويضيع فيه الكثير من ملامح شخصيته وقيادته . أخذ يرى الطريق غولا يبتلع عصاه وصافرته وكرته .. ويشل حركة الأولاد . لم تعد جدارتهم في اللعب كما كانت في الساحة .. ولم ينسوا ما كان يربطهم بها .. وأنها مرتع هوهم .

وما زال كبير الأولاد يسبح في ذكرياته وهو على الرصيف والكرة بين قدميه و (الفيلا) أمامه . إنه يذكر بداية الأقاويل ، حين كان الصغار يحملون إليه أخباراً مفادها أن رجلاً غريباً عن الحي سوف يشتري ساحة ملعبهم ويشيد فيها (الفيلا) . لم يصدق .. حتى رأى بعينيه كيف استحالت ساحتهم الحبيبة إلى هذه (الفيلا) المزعجة ؟! وإنه ليعجب من سرعة بنائها ، وكأنه البارحة نهض من نومه ووجدها قائمة بكل شرفاتها ونوافذها .. وحديقتها وأشجارها وأسوارها وحارسها وسيدها .

ـ ٣ ـ

أفاق من شروده وذكرياته .. على صوت أحدهم يقول :

ـ ما العمل ؟! .

وآخر يقول :

★ هل نظل هكذا خائفين ؟! .

وثالث يقول :

ـ هل نترك اللعب ؟! .

ثم صمت الجميع من جديد ، وتحول صمتهم إلى نظرات حزينة التجأوا بها إلى كبيرهم يستدرجونه بكل ما فيها من أمل ورجاء . وأحس أنه ما زال ملاذهم الوحيد والقوة التي يحتمون بها . فوجد نفسه يقول بشجاعة :

ـ هيا إلى اللعب .. لا تخافوا ! .

وأطلق لصافرته العنان . اندفع الأولاد كما كانوا يلعبون . عادت إليه الروح . أخذ يتابع لعبهم من على الرصيف حكماً يقظاً .

وفجأة لم يحس إلا ويد تمسك به من الخلف . التفت ، لقد كان الحارس ، أراد أن يتخلص من قبضته .. فأصمته صفعة حادة على وجهه . وما زال ممسكاً به . تملك الخوف الصغار . فروا متعثرين بالهلع .. تاركين الكرة . قاده إليها .. حملها ، وأخذ منه الصافرة والعصا ، وجره إلى (الفيلا) وأدخله بكل قوته ، وهو يستنجد صارخاً . أغلق الباب عليه .. وراح يشبعه صفعاً بكفه ، ولسعاً بالعصا .. وبكاؤه يتعالى ويسمعه الصغار .

أقبل سيد (الفيلا) متزناً هادئاً ، والبسمة على شفتيه . قال لحارسه :

ـ خذ الكرة والصافرة والعصا .. وضعها في غرفتك على الرف ، واتركنا لوحدنا .

أخذ السيد يربت على كتفه بعطف ، وقد أخرج من جيبه ورقة نقدية كبيرة ودسها في يده قائلاً :

ـ اذهب اغسل وجهك .. واشتر ما يلزمك .. وسأمنحك كل ما تريد .. وعليك أن تمنع الصغار من اللعب .

وخرج من الفيلا يتحسس خديه ، ويتلمس الورقة النقدية في جيبه . استقبله الأولاد . تنحوا به جانباً .. وجلسوا في ركن ظليل من الدرب .. وهو صامت . أخرجه الولد الذكي من صمته قائلاً :

ـ ماذا حصل لك ؟! .

وطال صمته .. حتى لهج متلعثماً :

★ أرى أن ننقل لعبنا إلى مكان آخر .. أي درب .. أي زقاق بعيد عن (الفيلا) .. ونبدأ جمع النقود من جديد .. ونشتري عدة اللعب .

ولم يرد عليه أحد . انفضوا من حوله . وأخذ يشعر شيئاً فشيئاً أنه أصبح ضئيلاً في عين الجماعة التي عرفت على التو أن (الفيلا) أذلته . وعرف الولد الذكي أن كبيرهم باع لَعِبهم .. باع فرحهم .

ـ ٤ ـ

خيَّم الحزن والقهر على أجواء الأولاد . ماذا يعملون ؟ لا يعرفون . يعرفون أن عذابهم يزداد كلما مر واحدهم من أمام (الفيلا) ونظر من نافذة غرفة الحارس .. والعصا والصافرة والكرة ترقد على الرف وكأنها تستدعيهم . وكان الولد الذكي أكثر أصدقائه عذاباً .. يريد حلاً لما أصابهم ولم يستطع أن يبعد عن نفسه صورته وهو يتسلم قيادة الجماعة لذا جمعهم وقال لهم بإصرار :

ـ غداً سنلعب ..

وفرح مؤقت راح يلمع في عيونهم .

رسالة من الشيخ الندوي

في رسالة بعث بها العلامة الإسلامي المعروف **الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي**، الأمين العام لندوة العلماء في الهند، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، إلى **الدكتور عبد الحليم عويس** الكاتب الإسلامي في الرياض، بعد اطلاع الشيخ الندوي على الموضوع الذي نشرته **مجلة «الفيصل»** بعددها (٣٩) الصادر في شهر رمضان ١٤٠٠هـ/ تموز (يوليو) – آب (أغسطس) ١٩٨٠م، تحت عنوان «من رواد جائزة الملك فيصل العالمية – أبو الحسن الندوي... مفكر وداعية» بقلم الدكتور عبد الحليم عويس، قال فيها بعد الديباجة والتحية:

«وبعد، فليس من عادتي أن أتقارض الثناء، وأتبادل المدح والإطراء، وأشكر كاتباً كتب شيئاً في تقريظي، والإشادة بذكري، ولكني لما اطلعت بعد عودتي من جولة في جنوب الهند دامت شهراً على **مجلة «الفيصل» الغراء** عدد (٣٩)، على مقال بعنوان «من رواد جائزة الملك فيصل الأولى، أبو الحسن علي الحسني الندوي، المفكر الداعية» وأعجبت بتحليلكم لشخصيتي المتواضعة، وعناصر التكوين الخلقي والفكري الذي قلما وجدته في بحث كاتب، وتصويركم البارع بريشتكم الفنانة للبيئة التي نشأت فيها وعشت، رأيت من واجبي أن أذكر انطباعي، ولكم تحياتي وإعجابي، وأرجو أن يحقق الله كل ما جاء في مقالكم المخلص الهادئ، وأطال الله حياتكم، ونفع بكتاباتكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. في ١٤٠١/٣/٢٠هـ – ١٩٨١/١/٢٧م».

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ العلامة الندوي قد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للخدمة الإسلامية لعام ١٤٠٠هـ، بالاشتراك مع الدكتور محمد ناصر العضو المؤسس لحزب ماشومي في أندونيسيا، ونائب رئيس المؤتمر العالمي الإسلامي، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية.

الماسونية

أشكركم من كل قلبي على ما تبذلونه من جهد في هذه المجلة القيّمة، وأدعو لكم الله أن يوفقكم في سبيل عطاء أكبر.

لقد قرأت في مجلتكم في **العدد (٤٥)** في زاوية (**في دائرة الضوء**) عن صدور كتاب باسم (**الماسونية**) لمؤلفيه الأستاذ **محمد صفوت السقا والأستاذ سعدي أبو جيب**، وحيث إن معلوماتي جداً بسيطة عن مبدأ هذه الجماعة، وكنت أبحث منذ زمن عن كتاب شامل يعطيني الفكرة الواضحة والشاملة لهؤلاء الجماعة.

وأجدني من خلال الملخص البسيط عن فكرة هذا الكتاب وعن مصادر جمع المعلومات لتكوين هذا الكتاب سوف أجد كل ما أطلب من معلومات.

فرجائي إن أمكن أن تزودوني بنسخة منه مع جزيل شكري سلفاً لكم من هنا من نيويورك داعياً لكم ولمجلتكم بالازدهار والتقدم والعطاء الأكبر لتبقى لنا مجلة نجد فيها كل ما نحتاج من العلم والله الموفق.

أخوكم
المهندس محمد فيصل الفيصل
أمريكا

● **المجلة**: شكراً لمشاعرك الرقيقة ونعتقد أن الكتاب المشار إليه قد يكون موجوداً لدى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.. لهذا بإمكانك طلب النسخة من الشيخ السقا مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

موضوع خاص.. ودائرة المعارف وزيادة السعر

أود أن أعبر لك في هذه الرسالة عن خالص إعجابي وتقديري لما تقدمه **مجلة «الفيصل»** للحياة الثقافية في **المملكة العربية السعودية** وفي البلاد العربية قاطبة.

إن المجلة وهي خير شاهد على ذلك، تزداد كل يوم قوة ودسامة في المادة الفكرية التي تقدمها من بحوث وتحقيقات واستطلاعات، الذي أرجوه أن تستمر على هذه الصورة من حيث الإخراج ومن حيث المادة الثقافية التي تقدمها.

حبذا لو تقوم المجلة في نهاية السنة الخامسة بجمع المادة التي قدمت تحت باب «**موضوع خاص**» ومادة «**دائرة المعارف**» في كتب تصدر باسم المجلة نظراً لدسامة المادتين اللتين قدمتا تحت هذين البابين، وكذلك وضع فهرس مفصل في نهاية السنة الخامسة للمواد التي قدمت في الخمس السنوات الأولى من حياة هذه الموسوعة الثقافية.

وأعتقد أنكم تشاركوني التفكير في إعادة النظر في **سعر المجلة**؟ لكي تضمن سعة انتشارها وتعم الفائدة منها.

أنا لا أبوحكم سراً بأنه نظراً لطبيعة عملي بالجامعة فأنا أحصل عليها بالمجان، وأنتم خير من يعلم بكمية الأعداد التي تطبع وتباع وماذا يرجع منها.

أخيراً أريد أن أشد على أيديكم مع مزيد من التوفيق والتقدم.

وشكراً.

د. عبد الوهاب علي الحكمي
عميد القبول والتسجيل وأستاذ مساعد بقسم اللغة الإنجليزية بالجامعة – بمكة

● **المجلة**: شكراً لمشاعركم، وفكرتكم جيدة، وسوف تلقى الدراسة لتنفيذها.. أما سعر المجلة فهو حقيقة لا يغطي إلا الجزء اليسير من الخسائر الكبيرة.. والمجلة لم تطمح، ولن يكون من مطامحها الربح المادي، وارتفاع الأسعار قضية عالمية شملت كل جوانب الطباعة والورق.

العلوم.. والصيدلة عبر العصور

إخواني الأعزاء، إنني سعيد بالكتابة إليكم بمناسبة **صدور العدد (٤٦) من مجلة «الفيصل»** العظيمة.

كذلك سبق لي أن كتبت إليكم بالعدد (٣٥) الصادر في مارس/ أبريل (آذار/ نيسان)

١٩٨٠ م ، مقترحاً عليكم تخصيص جزء من المجلة الغراء ، لدراسة العلوم ومصطلحاتها التقنية ، والقانون وشكلياته ، وكذا البروتوكولات المخصصة في المناسبات المختلفة والجاري بها العمل على الصعيد الدولي .

والحقيقة أن المجلة تعتبر بدون تحيز ولا مبالغة أفضل مجلة تصدر في الوقت الراهن بالعالم العربي ، والذي نتمناه لها أن لا تقف عند هذا الحد ، بل نتمنى أن تكون موسوعة ومرجعاً يعتمد عليه في كل الميادين التي تهم أمتنا العربية في عصر نتصارع فيه مع الحياة في ميدان الأخذ والعطاء .. هذا وأخبركم أنني سعيد جداً عندما قرأت بالعدد الأخير الموضوع الخاص - **الصيدلة عبر العصور** ، والذي أتمنى أن تكون جميع المواضيع الخاصة بالمجلة تهتم بهذا الموضوع الهام حتى تستوفيه حقه من جميع الجوانب ، كما أتمنى أن يخصص الموضوع الخاص بالمجلة لدراسة موضوع كهذا في حلقات مسلسلة .

هذا وأشير إلى أن موضوع الصيدلة عبر العصور ، هو شبيه بموضوع الجراحة عبر القرون ، الذي سبق لي أن طلبت منكم نشره على صفحات هذه المجلة .

مرة ثانية أشكركم باسم جميع الشباب المهتمين بالاطلاع على مجلة الفيصل . وشكراً .

قائم ليلي المختار
الدار البيضاء - المغرب

المجلة في الباكستان

أنا طالب سعودي أدرس في كليـة الطب في **كراتشي** ، وبصراحة أود أن أشكركم على مجهودكم في إخراج هذه المجلة كل شهر في حلة قشيبة من الصور والطباعة الرائعة والموضوعات الثقافية ، كما أشكركم على حرصكم على تنمية الاطلاع والثقافة لدى القراء بمسابقتكم .

ولي عدة ملاحظات أرجو أن تتقبلوها بصدر رحب .. فمثلاً المجلة في أكثر الأحيان تصل متأخرة حوالي شهر كامل أو أكثر إلى السوق ، وما يصل منها من أعداد قليلة معدودة على الأصابع إلى المكتب الثقافي تتخاطفها الأيدي ويكون محظوظاً من يقرأها عند صديقه ، ولذلك فكثيراً ما تفوتنا فرصة الاشتراك بالمسابقة حيث إن المدة المعطاة للأجوبة هي ٤٥ يوماً وهي مدة قصيرة جداً خصوصاً إذا قيست بموعد نتيجة المسابقة بعد سبعة أشهر ..

ولذلك أقترح أن تزيدوا المدة المحددة إلى شهرين ، أو شهرين ونصف على الأقل وأن تنقصوا موعد النتيجة من سبعة أشهر إلى أربعة أو خمسة أشهر لأن سبعة أشهر مدة طويلة جداً . هذا وأرجو لكم دوام التوفيق والنجاح .

خالد خليفة صالح الوهابي
كراتشي - الباكستان

● **المجلة** : نشكر للأخ خالد اهتمامه بالمجلة ، ونؤكد له أن المجلة توزع في الباكستان ، وترسل إلى شركة التوزيع قبل موعد صدورها بخمسة أيام ، لهذا نستغرب عدم تواجدها ، وفي إمكانكم مراجعة شركة التوزيع بكراتشي .

أما زيادة المدة المحددة لتلقي ردود القراء خلالها فقد أحلنا اقتراحك إلى لجنة المسابقة للنظر فيه . وفيما يتعلق بنتائج المسابقة فأسباب التأخير كثرة الرسائل التي تصل من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي ، وضرورة فرزها ، والاطلاع على كل الأجوبة .

قارئ من العراق

أود أن أكتب لكم هذه الرسالة المعبرة عن أصدق مشاعري القلبية والودية راجياً ومتمنياً لكم النجاح والتوفيق .

لا أصف مدى حبي الكبير **بالفيصل** وارتباطي بها . رغم أنها لم تأت للعراق منذ بداية الحرب .

أقترح أن تخصص مقالة شهرية في كل عدد لرئيس التحرير أسوة بباقي المجلات ، وأن يفسح المجال للشباب المبدعين لنشر قصصهم وشعرهم . وأتمنى أن يستحدث باب جديد أو بالأحرى إعادته هو « أوراق متناثرة » مع حبي .

صديقكم
عبد الكريم جابر عبد الرضا
العراق - محافظة البصرة

● **المجلة** : نشكر للأخ القارئ عبد الكريم مشاعره النبيلة ، ونأمل أن تعود « **الفيصل** » إلى أسواق العراق قريباً بإذن الله . ورئيس التحرير يشكرك على ثقتك ، وهو رغم مشاغله العديدة يأمل أن يحقق رغبتك ، مع أن المجلة للجميع ، وإفساح المجال لغيره من الكتاب مبادرة لا تخضع للقواعد المعتادة في الصحافة ، مع أنه يكتب من حين إلى آخر إذا وجد وقتاً ، وموضوعاً يستحق النشر بحيث يعود بالفائدة على القارئ .

أما إعادة زاوية « أوراق متناثرة » فقد اختفت لأن المجلة تحرص أن تقدم أبواباً جديدة في كل عام .. ولك تحيات أسرة تحرير المجلة .

طلب كتب اشتراك

يسرني فائق السرور أن أبعث إلى سعادتكم بأطيب تحية وأصدق تمنيات سائلاً الله تعالى أن يجعلكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أرجو أن تسجلوا اسمي في مجلة « **الفيصل** » الثقافية ، كما يسرني أن أطلب منكم بعض المخطوطات التي قرأت عنها في مجلتكم ، وكذلك أرجو أن تذكروا لي إذا كان لكم حساب بريد في المملكة المغربية . ونحن على استعداد لدفع أثمانها . ونحن في انتظار جوابكم والسلام .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ولكم الشكر .

عبد العليم الجوهري
دوار القنيطرة - المغرب

● **المجلة** : الكتب التي طلبتها لا توجد لدينا ونأسف لعدم تمكننا من تحقيق رغبتك .. أما قيمة الاشتراك في المجلة فهو موضح في المجلة . تحياتنا .



معوقون .. مشهورون



أديسون ، توماس :

(١٧٩٣ ــ ١٨٦٠ م) طبيب إنجليزي ، **أصيب بداء الصمم** ، وتمكن من قهر هذا المرض والتغلب عليه ، بحيث لا يعوقه عن تحقيق إنجازاته الكبرى في الطب وفي الحياة ، ومن أهمها وصفه **اضطرابات الكظرين** أو الأدرناليتين ، وبخاصة المرض الذي عرف بمرض أديسون . ويرجع في العادة إلى تلف لحاء الغدتين الأدرناليتين بعدوى درنية ، وصفه أديسون لأول مرة في بحث عنوانه « في الآثار الموضعية والجسمانية لمرض المحافظ فوق الكلوتين » ١٨٥٥ م .



بيتهوفن ، لودفيج فان :

(١٧٧٠ ــ ١٨٣٧ م) يلقبونه بالأستاذ ، وكان قد **أكب على دراسة الموسيق منذ الخامسة من عمره** ، فأتقن العمل بآلات الكمان والبيانو والأرغن ، ولما بلغ الرابعة عشرة كان **رئيس بلاط أمير كولونيا** ، يسند إليه قيادة الفرقة عند غيابه ، وفي عام ١٧٩٨ م ، بدأ يعاني مرضاً في أذنيه ، واشتد عليه المرض حتى أفقده حاسة السمع ، لكنه قاوم مرضه ومضى في مسيرته الموسيقية إلى أن تمكن من **وضع ٩ سيمفونيات** ، وعدداً كبيراً من مقطوعات البيانو والكونشرتو ، فضلاً عن أوبراه الوحيدة .



تشرشل ، سير ونستون :

(١٨٧٤ ــ ١٩٧٠ م) سياسي وجندي ومؤلف بريطاني ، تعلم في **كلية ساندهرست الحربية** ، وعيّن ضابطاً للفرسان بالهند ، وشهد **معركة أم درمان** (١٨٩٨ م) مراقباً حربياً ، وكتب « **حرب النهر** » يصف فيها الحملة المصرية الإنجليزية لاسترجاع السودان (١٨٩٦ ــ ١٨٩٨ م) ، **أصيب بعجز في النطق** ، لكن هذه الآفة لم تعقه عن مواصلة كفاحه ، ولم تخذله في تولي المناصب العليا ، وبعضها كان يحتاج إلى الخطيب المفوه ، فقد **انتخب عضواً محافظاً بمجلس العموم** (١٩٠٠ م) لكنه انضم إلى **حزب الأحرار** (١٩٠٤ م) **وعيّن وزيراً للتجارة** ، ثم **وزيراً للداخلية** ، ثم **وزيراً للبحرية** ، وحين أعلنت الحرب العالمية الثانية عيّن وزيراً للبحرية (١٩٣٩ م) ، ثم ألف الوزارة وظل رئيسها حتى انتهاء الحرب (١٩٤٠ ــ ١٩٤٥ م) . وبقي في نظر مواطنيه رمز النصر وبطل الجهاد . **ومنح جائزة نوبل** للآداب عام (١٩٥٣ م) .



ثابت ، حسان بن :

(٥٦٣ ــ ٦٧٤ م) شاعر مخضرم ، ولد ومات بالمدينة المنورة ، ودافع عن قومه **الخزرج** بالجاهلية ، ودافع عن **النبي صلى الله عليه وسلم** وعن المسلمين ، وهجا قريشاً وشعراءها أثناء النضال بين الرسول وبين قريش ، وأعجب به الرسول فاتخذه شاعره ، وكان **مصاباً بعجز في يده اليمنى** ، كما **أصيب بالعمى في نهاية عمره** ، وله ديوان مطبوع . أروع شعره ما كان في الفخر والمدح والهجاء .



الجاحظ ، عمرو بن بحر :

(٧٧٥ ــ ٨٦٨ م) كاتب ولد ومات بالبصرة ، واشتق اسمه من مرض **جحوظ العينين** الذي لازمه طوال حياته ، ولم يعقه عن مواصلة التعلم في الكتاب والمسجد والحلقات والاطلاع على كل ما تقع عليه يداه ، حتى أنه لم يترك موضوعاً اجتماعياً أو ثقافياً أو أدبياً إلا وكتب فيه ، **فألف أكثر من ٣٥٠ كتاباً** ، وصوّر جميع مظاهر النشاط في المجتمع الإسلامي ، وبلغ مكانة لم تنتقص منها الأيام ، وأشهر كتبه « **الحيوان** » و « **البيان والتبيين** » و « **البخلاء** » و « **المحاسن والأضداد** » وله كتاب عن المعوقين يعد الأول من نوعه ، عنوانه « **البرصان والعرجان والعميان والحولان** » .



الحارث ، ابن حلزة اليشكري :

توفي عام ٥٧٠ م ، وهو **شاعر جاهلي** ، عاش في بادية العراق ، **وأصيب بداء البرص** ، فعاش عمره أبرصاً ، وكان مقلّاً في شعره ، فجعله **ابن سلام** في الطبقة السادسة من الشعراء ، وصلنا منه مفضلية في الفخر ، ومعلقة قال في نزاع نشب بين قومه بكر وتغلب .



خيمنيت ، خوان رامون :

(١٨٨١ ــ ١٩٥٨ م) شاعر غنائي **إسباني** ، درس في **جامعة إشبيلية** ، وتأثر في شبابه بشعر الرمزيين ، **أصيب بمرض السل أو داء الصدر** ، ولكنه ظل يقاوم المرض دون أن يقعده أو ينال منه ، كتب بأسلوبه الخاص الذي يتميّز ببساطة العبارة ، وعمق المعنى ، كما يتضح من ديوانه « **مذكرات شاعر تزوج حديثاً** » ١٩١٧ م ، ترك إسبانيا عام ١٩٣٦ م ، بعد أن اشتد عليه الداء ، وعاش في **بورتريكو وكوبا** ، ثم في **الولايات المتحدة** ، نال **جائزة نوبل للآداب** عام ١٩٥٦ م ، وهو صاحب الديوان الشهير « **حماري وأنا** » .



دستويفسكي ، تيودور :

(١٨٢١ ــ ١٨٨١ م) روائي روسي ومؤلف قصص قصيرة . **أصيب بداء الصرع** وظل يعاني منه طوال حياته ، أتم روايته الأولى **المساكين** ١٨٤٥ م ، قبض عليه عام ١٨٤٩ م ، وحكم عليه بالموت رمياً بالرصاص ، ومر بمحنة انتظار الموت أمام بنادق الجند المصوبة إليه ، لكنه نجا من الموت في آخر لحظة ، حين أعلن القيصر تخفيف الحكم عليه من الموت إلى السجن مع الأشغال الشاقة في **سيبيريا** ، قضى ثلاث سنوات في البؤس والعذاب مما جعله يتحول إلى الدين ، وكان لهذه الفترة أثر كبير في رواياته وأشهرها « **الجريمة والعقاب** » و « **الإخوة كارامازوف** » و « **بيت الموتى** » و « **العبيط** » .



ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي :

(٦٩٦ ــ ٧٣٥ م) شاعر عربي ، ولد بالدهناء ببادية اليمامة ، ومات بها أو بأصبهان أو بالبصرة ، **كان دميماً شديد القصر** ، وكان لدمامته وقصره أثر كبير في عدم حب حبيبته له ، فكتب فيها شعراً كثيراً ، حيث تغزل بمية وخرقاء ، فقيل هما امرأة واحدة ، وقيل اثنتان . وله ديوان مطبوع ، تظهر فيه براعته في التشبيه ووصف البادية .



روزفلت ، فرانكلين ديلانو :

(١٨٨٢ ــ ١٩٤٥ م) **الرئيس ٣١ للولايات المتحدة الأميركية ، ووكيل وزارة البحرية** (١٩١٣ ــ ١٩٢٠ م) رشح عام ١٩٢٠ م ، نائباً لرئيس **الحزب الديمقراطي** ، أصيب عام ١٩٢١ م ، بمرض **شلل الأطفال** ، لكنه استعاد استخدام قدميه ، وأقام في « وارم سبرنجز » بولاية جورجيا مؤسسة لمعالجة ضحايا هذا المرض ، عمل على سيادة السلام الدائم بوساطة **الأمم المتحدة** ، مات فجأة ودفن بهايدبارك .



زرياب ، أبو الحسن علي بن نافع :

توفي حوالي ٨٥٢ م ، وهو مولى المهدي ، كان أسود اللون ، ولشدة سواد لونه لقب بزرياب ، تشبيهاً له بطائر مغرد اسمه الزرياب ، أخذ الغناء في أول أمره على إبراهيم الموصلي ، ثم على ابنه إسحق ، وهو ركن من أركان الغناء العربي بالأندلس ، وأول من أدخل غناء المشارقة إلى المغرب ، والألحان المعروفة بالموشحات الأندلسية ترجع إلى عهد زرياب المغني .



سلمى ، لاجرلوف :

(١٨٥٨ ــ ١٩٤٠ م) ، روائية سويدية ، **كانت عرجاء** ، لكنها استطاعت أن تتغلب على عاهة العرج ، وأن تحقق ذاتها في الأدب وفي الحياة ، فقد **حصلت على جائزة نوبل للآداب** عام ١٩٠٩ م ، وكانت أول امرأة تنتخب في **الأكاديمية السويدية** ١٩١٤ م ، ذاعت رواياتها في العالم كله ، ومنها « قصة جوستا برلنج » ١٨٩٤ م ، و « بيت المقدس » ١٩٠١ م ، و « طريد المجتمع » ١٩١٨ م ، و « مغامرات نيلس المدهشة » التي أصبحت من أروع كتب الأطفال .



شوبان ، فردريك :

(١٨٠٩ ــ ١٨٤٩ م) يلقب بشاعر الموسيقى ، ولد في قرية بجوار

وارسو، من أب فرنسي الأصل، وشب في جو من الثقافة الارستقراطية، **أصيب بداء السل** الذي لازمه طوال حياته إلى أن مات متأثراً به، لكن الداء لم يمنعه من أن يصبح من أمهر عازفي البيانو في العالم، ومن أن تتجلى مواهبه الموسيقية فيضع عدداً كبيراً من المؤلفات لآلة البيانو.



صودي، فريدريك:

(١٨٧٧ ـ ١٩٥٦م) كيماوي إنجليزي، عمل مع **روزر فورد** ثم **وليم رامزي** بجامعة لندن، صار أستاذاً للكيمياء بجامعة **اكسفورد**، نال عام ١٩٢١م، **جائزة نوبل** في الكيمياء لاكتشافه مع آخرين العلاقة بين العناصر ذات النشاط الإشعاعي والمركب الأب، مما أدى إلى اكتشاف نظرية النظائر، **أصيب بداء السل**، ومات متأثراً به، بعد أن صارع الداء فترة طويلة من عمره.



طه حسين:

(١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) هو الكاتب والباحث والأديب، الذي **لقب بعميد الأدب العربي**، ولد في إحدى قرى «**مغاغة**» بصعيد مصر، **وفقد بصره طفلاً** فوجه إلى الكتاب ثم إلى **الأزهر**، حيث تلقى توجيهه الأدبي الأول من **الشيخ سيد المرصفي**، ولم تقعده العاهة عن مواصلة العلم والدرس، فانتظم في **الجامعة الأهلية**، وسافر في بعثة إلى فرنسا فدرس الآداب القديمة والفلسفة، واطلع على الأدب الفرنسي المعاصر، له العديد من الكتب والدراسات من بينها سيرته الذاتية التي ترجم فيها لمأساة عماه وهي «**الأيام**» في ثلاثة أجزاء. ومن أهم كتبه «**حديث الأربعاء**» و«**ألوان**» و«**على هامش السيرة**» و«**دعاء الكروان**» و«**شجرة البؤس**».



الظاهر، الملك:

(١١٦٧ ـ ١٢١٥م) ثاني أبناء **السلطان صلاح الدين الأيوبي**، صاحب حلب، من حدود مملكته إلى تخوم **إرمينية** شمالا، **ومنبج** شرقاً، **وحماة** جنوباً، قاتل الصليبيين في معارك شتى بسورية، أصيب **بمرض النقرس**، ومات بداء المرض.



عبد الرحمن بن عوف:

(٥٨٠ ـ ٦٥٢م) صحابي من السباقين إلى الإسلام، أحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، كان من الأجواد الحكماء الشجعان، وكان اسمه في الجاهلية «**عبد الكعبة**» وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، أسلم وشهد بدراً وأحد، وجرح فيها ٢١ جرحاً، **وكان مصاباً بالعرج**، ولم يمنعه هذا الداء من الدخول في الحروب مع المسلمين، إلى أن توفي بالمدينة المنورة.



الغالب بالله، علي بن سعد:

توفي عام ١٤٨٥م، وهو أحد **ملوك بني الأحمر** بالأندلس، نشبت بينه وبين الإسبان معارك كثيرة ثم **أصيب بداء الصرع**، لازمه الداء وحاول أن يتغلب عليه مستمراً في حروبه ومعاركه، إلى أن اشتدت عليه نوبات الصرع وكثرت، فعزل عن الملك.

فتز جيرالد، سكوت:

(١٨٩٦ ـ ١٩٤٠م) روائي أميركي، وصف المجتمع في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن قصصه لم تنل التقدير والشهرة إلا مؤخراً، **فقد عاش مصدوراً**، يعاني الكثير من آلام مرض الصدر، لكنه قاوم المرض، واستمر في إنتاجه الروائي. من أشهر رواياته «**هذا الجانب من الفردوس**» ١٩٢٠م، و«**جاتسبي العظيم**» ١٩٢٥م، و«**المساء الحنون**» ١٩٣٤م، كما برع في كتابة القصة القصيرة.



قراقوش، بهاء الدين:

توفي عام ١٢٠١م، وهو حاكم نشأ في خدمة صلاح الدين الأيوبي، وناب عنه في بعض الأحيان، وخاض معه المعارك، بنى سور القاهرة وقلعة الجبل وقناطر الجيزة، ولي عكا بعد أن أخذها صلاح الدين من الإفرنج، تنسب إليه أحكاماً جائرة ومتعسفة، وقد اشتهر بالقسوة والجور، بسبب **إصابته بمرض المازوخية أو الرغبة في إيلام الغير، حتى إن اسم قراقوش باللغة التركية يعني العقاب أو النسر الأسود.**



كيلر ، هيلين :

كاتبة أميريكية ولدت عام ١٨٨٠ م ، وأصيبت بالعمى والصمم منذ صغرها ، وقد عهد بأمرها إلى المربية الأميريكية **آن سولثيان** ، التي كانت قد تعرضت عيناها إلى الخطر ، ودخلت وهي في الرابعة عشرة ، معهد بركنس للمكفوفين حيث تعلمت لغة يدوية لمسية للتفاهم مع الأطفال الصم البكم العمي ، وقد برهنت على منتهى التضحية في عنايتها بتعليم كيلر ، حتى استطاعت أن تتخرج في **كلية رادكليف ١٩٠٤** م ، وتتولى التعليم ، وتؤلف كتباً عديدة نالت شهرة عالمية منها « **قصة حياتي** » .



لوتريك ، تولوز :

(١٨٦٤ ــ ١٩٠١ م) فنان تشكيلي فرنسي ، ابن أحد النبلاء الأغنياء ، عرف بإنتاجه الغزير مصوراً ورساماً للإعلانات ، واشتهر بدراساته الساحرة لصالات الفن والسيرك في باريس ، **أصيب بتشويه في طفولته ، وبالعرج** ، لكنه تغلب على عاهته ، وأكد فنه في الرسم والتصوير .



المعري ، أبو العلاء أحمد :

(٩٧٣ ــ ١٠٥٧ م) شاعر وكاتب عربي شهير ، ولد بمعرة النعمان قرب حلب ، أصابه الجدري في طفولته **فأفقده البصر** ، لكنه استطاع أن يواصل الدرس والتعليم رغم اعتزاله الناس بمنزله ، وتسميته نفسه « **رهين المحبسين** » عزلته وعماه ، نظم شعراً في « **اللزوميات** » التزم فيها أن يقيد نفسه بقواعد في الصياغة والقوافي غير ضرورية ، فسميت « **لزوم ما لا يلزم** » أو اللزوميات ، ألّف عدة كتب أشهرها « **رسالة الغفران** » و « **الفصول والغايات** » .



نصير ، موسى بن :

(٦٤٠ ــ ٧١٥ م) فاتح وحاكم عربي ، ولد بالشام وتقلب في عدة وظائف ، **وأصيب بالعرج** ، لكنه قاوم مرضه ، واستمر في فتوحاته وغزواته ، فقد **فتح غزوان والقيروان** عام ٦٩٨ م ، وأخضع كثيراً من قبائل البربر ، أتم فتح الشمال الإفريقي إلا **سبتة** فصالح حاكمها **جوليان** ، على أن يكون تابعاً له ، أبحر إلى **الأندلس** لتكملة الفتح فاستولى على **إشبيلية** ، **وماردة** ، وثغر برشلونة ، وجميع مدن الوادي الكبير ، ثم انضم إليه جيش **طارق بن زياد** بطليطلة فافتتح **سرقسطة** وشيد بها مسجداً ، وقد توفي موسى بن نصير أثناء تأدية فريضة الحج .



هوميروس :

أعظم شعراء اليونان ، وباعث نهضتهم ، **أصيب بالعمى** ، لكنه قاوم عماه ، وانتصر على كل معوقات الحياة ، حتى تمكن من نظم **الإلياذة والأوديسا** ، وهما ملحمتان رائعتان من الشعر ، وصفتا بأنهما البداية والنهاية ، بالنسبة إلى الإغريق القدامى ، وكان هوميروس قد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد بآسيا الصغرى ، وادعت كثير من المدن أنه كان منها ، أشهرها : أثينا ، وأزمير ، وخيوس ، وكولوفون .



وولف ، فرجينيا :

(١٨٨٢ ــ ١٩٤١ م) روائية إنجليزية شهيرة ، ومن كتّاب المقالات ، وهي تعد من كتّاب الرواية التأثيرية ، وهي صاحبة المنهج المعروف بمجرى الوعي أو **تيار الشعور** كما في قصصها « **غرفة يعقوب** » ١٩٢٢ م ، و « **إلى المنارة** » ١٩٢٧ م ، و « **الموجات** » ١٩٣١ م ، اشتغلت بالنقد ومن كتبها النقدية « **القارئ العادي** » ١٩٢٥ م ، و « موت الفراشة ومقالات أخرى » ١٩٤٢ م ، كتبت ترجمة لحياة « **روجر فراي** » ١٩٤٠ م ، وكتبت القصة القصيرة ، **وكانت مصابة بمرض الخبل العقلي ، أو الذهان** ، وظلت تقاومه طوال حياتها ، إلى أن انتحرت غرقاً مخافة أن يصيبها الجنون .



ياكومو ، ليوباردي :

(١٧٩٨ ــ ١٨٣٧ م) شاعر إيطالي ، **قضى حياته قعيد البيت** لضعف بنيته الذي أصيب به منذ طفولته ، لم يعطف عليه أبواه ولم يمداه بأي عون ، لكنه قاوم كل هذه العقبات والمعوقات لكي يجعل من نفسه واحداً من أكبر شعراء إيطاليا المعاصرين ، حتى لقد نظم وهو في سن العشرين بعض القصائد منها « **اقتراب من الموت** » ١٨١٦ م ، و « **أغنيات لإيطاليا** » ١٨٢٠ م ، كان شعره يعبّر عن وطنية متدفقة ، وشعور نبيل سام ، وأكثر في آخر أيام حياته من نظم الشعر الوطني .

مناقشات و تعليقات

ندوة جامعة الرياض لدراسات تاريخ الجزيرة العربية

لا شك أن عدداً كبيراً من الأساتذة الأفاضل المهتمين بدراسات الجزيرة العربية، يعرفون الندوة العالمية التي تعقدها جامعة الرياض كل سنتين، لدراسة المواضيع المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية. ولكنني لاحظت أنه لا يزال هناك عدد غير قليل من الباحثين لا يعرفون شيئاً عنها، ولا سيما عن ندوتها الثانية التي لم يشارك فيها سوى أهل الاختصاص بالآثار والتاريخ القديم. لذلك رأيت من المفيد التعريف بها، فأقول:

منذ حوالي أربع سنوات اختمرت لدى المعنيين في **قسم التاريخ والآثار بجامعة الرياض**، وعلى رأسهم **الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري**، رئيس القسم آنذاك، فكرة كانت تطرح نفسها باستمرار، لكن الظروف وكثرة الأعباء كانت تحول دون تحقيقها، ألا وهي عقد ندوات علمية عالمية تتناول دراسات تاريخ الجزيرة العربية، يشارك فيها أرباب الاختصاص من مختلف أنحاء العالم. وقد أذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تتبلور هذه الفكرة، وتخرج إلى حيز الوجود. فشمّر عدد من أعضاء القسم عن ساعد الجد، ووضعوا البذرة الأولى لتلك الندوات، واتفقوا على أن تعقد أولاها في الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٧٧ هـ، وتستمر حتى العاشر منه (٢٢ ـ ٢٦ نيسان «أبريل» ١٩٧٧ م)، وجعل موضوعها «**مصادر تاريخ الجزيرة العربية**».

وقد وجهت الدعوة إلى عدد كبير من الجامعات والمعاهد العلمية، فضلاً عن الشخصيات المعروفة باهتمامها بهذا الموضوع. وكانت الاستجابة كبيرة إلى الحد الذي لم يكن يتوقعه حتى أكثر الناس تفاؤلاً من منظمي الندوة، **فحضرها حوالي مائة باحث**، توزعت أبحاثهم على مواضيع يمكن تصنيفها على الوجه الآتي:

(أ) مؤرخو الجزيرة العربية.

(ب) الجزيرة العربية في كتب الرحالة المسلمين.

(جـ) الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين.

(د) الجزيرة العربية في الآثار والكتب القديمة.

(هـ) الجزيرة العربية في الوثائق.

(و) الجزيرة العربية في كتب التراث.

ولقد كانت حصيلة هذه البحوث حوالي ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير تم الآن طباعتها في مجلدين ضخمين يتوقع إنجازهما في وقت قريب إن شاء الله. كذلك أسفرت هذه الندوة عن عدد من التوصيات، أكدت في مجموعها على ضرورة العناية بمصادر تاريخ الجزيرة، ولا سيما الآثار والمخطوطات، وتشجيع العاملين على تجميعها وتحقيقها ونشرها. ولكن أهم تلك التوصيات هي عقد الندوة العالمية الثانية في شهر نيسان (أبريل) عام ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، وتخصيصها لتاريخ الجزيرة قبل الإسلام.

ولقد كان الدافع لاختيار هذا الموضوع، هو ما لاحظه المعنيون بتاريخ الجزيرة من وجود صعوبات تواجه كل من يتصدى لدراسة تاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام، وتأتي في مقدمة تلك الصعوبات:

● **أولا**: عدم إكمال المسح الآثاري[1] لأقطار الجزيرة حتى الآن، وإن كان قد بدئ به، ولا سيما في **المملكة العربية السعودية**، إلا أن ذلك يستغرق أعواماً طويلة.

● **ثانياً**: عدم القيام بحفريات وتنقيبات واسعة في مختلف أقطار الجزيرة، إلا أن الحفريات قد بدأت في عدد من المواقع ولا سيما في **اليمن والمملكة العربية السعودية وعمان وبعض بلدان الخليج**. وهنا أيضاً يحتاج الأمر إلى جهود كبيرة.

● **ثالثاً**: إن ما جمع من **النقوش** (أي الكتابات) على كثرته، فهو قليل جداً بالنسبة لما يتوقع العثور عليه، ثم إن أكثر ما كشف منها، كان من اليمن. ولذا ينبغي العمل على تتبع النقوش الموجودة في بقية أنحاء الجزيرة وفك رموزها ونشرها.

● **رابعاً**: عدم وجود عدد كاف من المتاحف والمكتبات المتخصصة بآثار الجزيرة قبل الإسلام. والحقيقة أن المتاحف هي بمثابة المختبرات التي لا غنى للمؤرخ عنها.

● **خامساً**: قلة الإقبال على دراسة الآثار والتاريخ القديم، وبالتالي قلة المتخصصين بهذه العلوم، ولا سيما العلوم المتعلقة باللغات القديمة. إن قسم الآثار في جامعة الرياض ـ وهي أقدم جامعات المملكة العربية السعودية ـ لم يفتتح كقسم مستقل إلا في السنة الدراسية (١٣٩٨/ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨/ ١٩٧٩ م)!!.

هذه الصعوبات كانت هي الدافع الأول وراء تخصيص الندوة الثانية لتاريخ الجزيرة قبل الإسلام. وقد تم بالفعل ـ والحمد لله ـ عقد تلك الندوة في الرياض بين ١٦ ـ ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (١٣ ـ ٢٠ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٧٩ م). ولقد انتفع منظموها من الخبرة التي اكتسبوها في ندوتهم الأولى، فعمدوا هذه المرة إلى تصنيف موضوعات الندوة في اثني عشر باباً، كلفوا بكتابة مواضيعها الأساسية أشخاصاً معروفين باهتمامهم الواسع بالدراسات القديمة الخاصة بجزيرة العرب، وبالبروز والتقدم في مجالات اختصاصاتهم، كما كلفوا أشخاصاً آخرين بكتابة بحوث فرعية ذات علاقة

مناقشات

و تعليقات

مباشرة بتلك المواضيع الأساسية ، سواء كانت مؤيدة لما هو وارد في البحث الأساسي ، أو معارضة له . وتقرر أن يلقى البحث الأساسي والبحوث الفرعية المتعلقة به في جلسة واحدة تستغرق ساعتين ، تعقبها مناقشة لتلك الأبحاث كلها ، وتستغرق ساعتين أيضاً . والحق أننا لمسنا بالفعل الفوائد العظيمة التي أسفر عنها التنظيم الجديد .

أما المواضيع التي تناولتها هذه الندوة ، فهي :

١ ـ **التسلسل الزمني للتاريخ العربي القديم** ؛ قواعده ومميزاته وصعوباته ، نظرة فاحصة في القوائم التاريخية المعروفة ، اقتراحات لتعديلها وتطويرها .

٢ ـ **الآثار** ، وتتناول هذه المادة الجزيرة العربية كميدان للعمل الآثاري ، ومشكلات هذا العمل في الماضي والحاضر والمستقبل ، ودراسة وسائل حلها .

٣ ـ **النقوش** ، وهذه المادة تتناول عرض النقوش المعروفة حتى الوقت الحاضر وتقويمها ؛ موضوعها وتوزيعها جغرافياً ؛ اللهجات والخطوط التي كانت سائدة ومواد الكتابة وجهود العلماء في فهم اللهجات العربية القديمة ، تطور اللهجات والخطوط ، الأماكن التي تحتاج إلى مزيد من الاهتمام للكشف عن نقوش جديدة ، انتشار اللهجات العربية وامتزاجها بغيرها من اللغات داخل الجزيرة وخارجها .

٤ ـ **عصور ما قبل التاريخ** ، ويتناول عرضاً عاماً للعصور والمواقع الآثارية ؛ صلات الجزيرة العربية بحضارات ما قبل التاريخ والمظاهر الحضارية .

٥ ـ **العصور التاريخية السابقة على الميلاد** ، ويشمل استعراضاً عاماً للوضع السياسي ودراسة العوامل المؤثرة في تكوين الدولة وأنظمة الحكم والنتائج المترتبة عليها .

٦ ـ **العصور التاريخية الواقعة بين الميلاد وظهور الإسلام** ، وفيها نتناول الجوانب التي تناولناها في الفقرة السابقة .

٧ ـ **المعتقدات الدينية قبل الإسلام** ، وتشمل الحنيفية واليهودية والمسيحية والوثنية وغيرها ، كما تشمل دراسة المعبودات والنصوص الدينية ، بما في ذلك الأناشيد والأغاني والتراتيل ، علاوة على مراكز العبادة وسبل انتشارها .

٨ ـ **المجتمع** ، ويندرج تحته مكانة الإنسان وأثر البيئة على حياته ، ونظام الأسرة وتكوينها ، القبيلة والقبلية ، مظاهر الوحدة والتنافر ، الأنساب ، العرف والأخلاق وأثرهما في حفظ السلام ، الفضائل القديمة التي أقرها الإسلام .

٩ ـ **التجارة والنظام المالي** ، ويندرج تحتها جغرافية الجزيرة العربية وأثرها في التكوين الاقتصادي ، النظام المالي والأسواق والسلع ومراكز التعامل التجاري ، الموانئ والطرق التجارية ، التعامل التجاري وكيفيته ، الجزيرة العربية والتجارة العالمية .

١٠ ـ **الصناعة والزراعة والري** ، وتناولنا فيه المقومات الاقتصادية ومدى الاكتفاء أو الاعتماد على الغير ، الصناعات والحرف والحرفيون ، الزراعة ووسائلها ونظم الري والأمطار والحياة الرعوية والجفاف .

١١ ـ **التعبير عن النفس** ، ويندرج تحته الفنون التصويرية عموماً من نحت ورسم وكتابة (كعنصر زخرفي) ، توزيعها مكانياً وزمانياً ، ثم الفن الحركي من شعر ونثر وأمثال ، وقصص ، وأخيراً العمارة وما يتصل بها من الزخرفة .

١٢ ـ **وأخيراً ، علاقات الجزيرة العربية بالبلاد المجاورة** ، وتندرج تحتها الصلات السياسية والحضارية وما إليها .

وقد **بلغ عدد الأبحاث المقدمة (٦٤) بحثاً** شارك فيها باحثون بارزون من مختلف أنحاء العالم ، فجاء بعضهم من **أمريكا** ، وجاء آخرون من **أوروبا** ، هذا علاوة على **البلاد العربية والإسلامية** ، وعلاوة على **الباحثين السعوديين** أنفسهم وبعض الأساتذة المقيمين في المملكة العربية السعودية . وقد تم طبع خلاصات لهذه البحوث باللغتين العربية والإنكليزية في كتاب استغرق حوالي (٢٥٠) صفحة ، كما تم طبع برنامج الندوة باللغتين المذكورتين في كتيب بلغت صفحاته (٣٢) صفحة من القطع الكبير ، وهو تقليد سرنا عليه في ندوتنا الأولى .

لقد جرت المناقشات في جو علمي رائع ساعد على التوصل إلى نتائج مهمة ، كما ساعد على تتويج أعمال هذه الندوة **بتوصيات قيمة** ، **أهمها** :

● **أولا** : عقد حلقات علمية متوالية كل عام تكون أكثر تخصصاً في مجال تاريخ الجزيرة قبل الإسلام وآثارها ، وذلك بالنظر لسرعة ظهور معلومات جديدة كنتيجة للاكتشافات الآثارية ، وتقديم التسهيلات للباحثين من داخل المملكة وخارجها .

● **ثانياً** : إصدار نشرة دورية باللغتين العربية والإنكليزية (NEWS LETTER) تشتمل على آخر المعلومات والاكتشافات ، يتم توزيعها على الجهات المعنية وأصحاب الاختصاص .

● **ثالثاً** : توصية جامعة الرياض بإعداد قاموس حضاري يهتم بتطور معاني الكلمات في اللغات السامية المختلفة ، ليكون مرجعاً يساعد الباحثين في دراسة كتابات الجزيرة العربية .

● **رابعاً** : العمل على توحيد تهجئة أسماء الأماكن والقبائل ، ووضع أطلس تاريخي وآثاري لجزيرة العرب يمثل مختلف العصور .

● **خامساً** : دعم الدراسات الآثارية الممثلة في **قسم الآثاري بجامعة الرياض وإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية** ، وتنسيق التعاون بينهما ، وتشجيع العمل العلمي المشترك بين علماء الآثار في

مناقشات

و تعليقات

البلاد العربية بما يخدم أهداف الندوة .

● **سادساً** : ترجمة الكتب المتخصصة في حقل التاريخ والآثار المتعلقة بجزيرة العرب ، وتشجيع الباحثين على تأليف كتب تهتم بحضارات الجزيرة تكون مرجعاً للدارسين وطلاب الدراسات العليا ، ووضع جائزة مالية قيّمة تقدم كل عام لأحسن كتاب مؤلف أو مترجم عن تراث الجزيرة وتاريخها .

● **سابعاً** : عقد الندوة العالمية الثالثة في موعدها المحدد ، بعد عامين من الآن إن شاء الله .

هذا علاوة على توصيات أخرى لم أوردها خشية الإطالة ، ولكن الذي أوردته منها يكفي لإعطاء القارئ الكريم فكرة عن عظم المهام التي أخذت الندوة على عاتقها أمر تحقيقها ، وهي مهام جسام تتطلب تضافر الجهود ، وتعاون العاملين في حقل التاريخ والآثار ، لكي يترجموها إلى واقع محسوس يكون له دوره في تقدم المعارف الإنسانية .

فالجزيرة العربية ـ كما هو معروف ـ تتمتع بأهمية كبيرة ، سواء في تاريخها الماضي العريق أو في حاضرها الزاهر ، بل إنها تشكل سراً يتوقف على حل رموزه تفسير الحضارات الغابرة ، ولا سيما تلك نشأت في **الهلال الخصيب** ـ وهي أعرق حضارات العالم على الإطلاق ـ . ومن هنا نشأ اهتمام العلماء والباحثين بهذه الندوة وحرصهم على المشاركة فيها ، وذلك من أجل الفوز بشرف المساهمة في عمليات البحث والتنقيب ، تلك العمليات التي تستهدف الوصول إلى كنه سر تلك الحضارات وإبرازه للعالم بكل دقة ، وعرضه وفقاً لما تقتضيه الأمانة العلمية . وهكذا **يمكننا القول بأن ندوتنا أصبحت ـ والحمد لله ـ مؤسسة علمية دائمة لها أمانتها المنظمة ومنهاجها الواضح ، وصار بإمكان الباحثين الانتفاع مما في خزائنها من بحوث قيمة ومقالات نافعة .**

والحق أن أبحاث الندوة الأولى ـ على الرغم من عدم اكمال نشرها حتى الآن ـ صارت مراجع يعود إليها الباحثون ، ويأخذ عنها المؤلفون . ولقد لمست بنفسي ، عندما حضرت حلقة دراسات الجزيرة العربية (ARABIAN SEMINAR) التي انعقدت في تموز (يوليو) ١٩٧٧ م ، **بجامعة اكسفورد** ، وفي الشهر نفسه من العام الماضي **بجامعة لندن** ، أقول لمست بنفسي اهتمام المشاركين في تلك الحلقة ـ وهم من أبرز المختصين بتاريخ الجزيرة ـ بندوتنا العالمية ، فكثيراً ما كانوا يستشهدون بما ورد في البحوث التي ألقيت فيها باعتبارها مراجع ذات وزن ثقيل ينبغي للباحث أن يأخذها بنظر الاعتبار إذا ما أراد لبحوثه أن تفوز بالتقدير والاحترام . ولا شك عندي أن بحوث ندوتنا الثانية سوف تحظى ـ بإذن الله ـ بمثل هذا الاهتمام ، وربما بأكثر منه ، لأنها بحوث تخصصية عالجت مواضيع شائكة من التاريخ القديم لم يكن من السهل على الباحثين معالجتها . ولذلك فإنهم كانوا حريصين جداً على أن يتم نشرها بأقرب وقت ممكن ، ليكون في ميسور الدارسين الانتفاع بها ، والاستفادة من الآراء القيّمة والمعلومات الثمينة الواردة فيها .

أكتفي بهذا القدر ، وأترك للمعنيين من أهل الاختصاص معالجة بحوث الندوة موضوعياً ، وتقويم مستواها ، إذ كان غرضي فقط هو تسليط الأضواء على ندوتنا وإبراز أهميتها ـ كمؤسسة عالمية ـ في ميدان البحث العلمي ، وذلك خدمة للباحثين ، لكنني قبل أن أختم هذه النبذة ، أرى من واجبي أن أنبّه إلى اهتمام العلماء المسلمين بالآثار وإدراكهم لقيمتها التاريخية واستعانتهم بها . وليس هذا غريباً عن المسلمين فقد حثّهم دينهم الحنيف على السير في الأرض والنظر فيما فيها من آثار ، كما وجّه أنظارهم إلى الأمم البائدة التي عمرت الأرض ، وإلى الأقوام الذين شادوا القصور ونحتوا من الجبال بيوتاً . وقد ورد في **القرآن الكريم** آيات كثيرة[٢] تناولت هذه الأمور نقتطف منها الآيات :

﴿ **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ (سورة الروم ، الآية ٩) .

﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ (سورة غافر ، الآية ٨٢) .

﴿ **وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين** ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية ٣٨) .

﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ (سورة الأعراف ، الآية ٧٤) .

﴿ **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين** ﴾ (سورة الحجر ، الآية ٨٢) .

هذه الآيات الكريمة وغيرها كانت سبباً في توعية المسلمين وخاصة علماءهم ليتدبروا آثار الأمم الغابرة ويتخذوها عبرة لهم في حياتهم . وصار البعض منهم يتناولها وسيلة للتعرف على أوجه النشاط الذي مارسته الأمم البائدة . ولذلك نجد عدداً من المؤرخين المسلمين قد أبدوا اهتماماً كبيراً بتلك الآثار ، ومن هؤلاء **المسعودي** في كتابه « **مروج الذهب ومعادن الجوهر** » ، **والبيُروني** فيما ألفه عن الهند ، **والهمداني** في كتابه « **الإكليل** » بل إن بعضهم خصص كتباً لدراسة الآثار مثل **عبد اللطيف البغدادي** ـ وهو من أهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ـ الذي صنف كتاباً بعنوان « الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة

مناقشات

و تعليقات

والحوادث المعاينة بأرض مصر»، والمقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»[3]. وهناك كثير من المؤرخين أدركوا أهمية الآثار فانتفعوا بها في تصانيفهم مما هو مشاهد في مقدمة «تاريخ بغداد» **للخطيب البغدادي** ومقدمة «تاريخ دمشق» **لابن عساكر**، إلا أن خير من فعل ذلك هو **المؤرخ المكي تقي الدين الفاسي** المتوفي سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، في كتابيه «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» وكلاهما في تاريخ مكة. وقد اقتصر اهتمامه ــ بطبيعة الحال ــ على الآثار الإسلامية. إلا أن هناك من وسع هذا الاهتمام وزاد عليه فجعله عاماً يشمل آثار ما قبل الإسلام، وأعني بذلك العالم والطبيب العراقي المشهور عبد اللطيف البغدادي آنف الذكر، فقد تناول بكتابه الذي أسلفنا ذكره أهمية الآثار والعناية بها، فقال:

«وما زالت الملوك تراعي بقاء الآثار وتمنع العيش فيها والعبث بها، **وإن كانوا أعداء لأربابها**. وكانوا يفعلون ذلك لمصالح: منها لتبقى تاريخاً يتنبّه به على الأحقاب.... ومنها أنها تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك. وهذا كله مما تشتاق النفس إلى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه»[4].

ولا شك أن المتأمل لهذه العبارة يظنها قد كتبت في العصر الحديث يوم بلغ علم الآثار القمة من الاهتمام، ولا يدري أن صاحبها كتبها في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وهل هناك دليل أقوى من هذا عن سبق المسلمين في هذا الميدان مثل سبقهم في الميادين العلمية الأخرى؟ وهكذا فإن اهتمامنا بالآثار ليس بجديد، ولسنا فيه مقلدين لأحد، وإنما هو نابع من مفهومنا الحضاري لقيمة تلك الآثار. والله ولي التوفيق.

د. سامي الصقار

من أساتذة التاريخ الإسلامي

بكلية الآداب ــ جامعة الرياض

الحواشي

(١) نقول «الآثاري» وليس «الأثري» لأن الأثري ــ بفتح الألف ــ كما يقول أبو سعد السمعاني في كتاب «الأنساب» (طبعة مكتبة المثنى، ١٩٧٠م، ص١٩) «هذه النسبة إلى الأثر يعني الحديث، طلبه واتباعه»، أي الحديث النبوي الشريف. لذلك وجب التمييز بين من ينسب إلى الحديث ومن هو منسوب إلى «الآثار».

أما قول البعض بأن النسبة إلى الجمع لا تجوز، فهذا القول هنا مردود، لأن النسبة ــ في هذه الحالة ــ هي إلى «علم الآثار» وهو اسم علَم، كالنسبة إلى «المدائن»، فيقال «المدائني» نسبة لمدينة المدائن المعروفة بطيسفون جنوبي بغداد. وكالنسبة لحرفة بيع الكتب التي يسمى صاحبها «الكتبي» وليس «الكتابي»، وممن اشتهر بهذه النسبة محمد بن شاكر الكتبي المتوفي سنة ٧٦٤هـ، وهو مصنف «فوات الوفيات»، وهناك كثيرون غيره عرفوا بهذه النسبة (راجع «معجم المؤلفين» لكحالة ج ٩/١٢ ــ ٣٩ وج ١٠/٦٠).

(٢) انظر سورة طه ــ ١٢٠، والقصص ــ ٥٨، والسجدة ــ ٢٦، وغافر ــ ٢١، وفاطر ــ ٤٤، والشعراء ــ ١٤٩، وهناك آيات كثيرة غيرها تضمنت معاني مماثلة.

(٣) انظر «معجم المؤلفين» لكحالة، ج ٦/١٥ ــ ١٦.

(٤) انظر: «مصادر التاريخ الإسلامي» للدكتورة سيدة الكاشف، ص ٧٢. هذا ولم أستطع الرجوع إلى كتاب البغدادي نفسه لعدم وجوده في مكتبة كليتنا.

المسلمون في الصين

اطلعت على مقال «**المسلمون في الصين**» **للدكتور محمد التونجي** في مجلتكم الغراء في عددها الصادر في شهر رمضان المبارك والذي يحمل رقم (٣٩)، وقد استوقفتني بعض النقاط:

١ ــ يقول الكاتب: [ويقال إنهم شيّدوا مسجداً بمدينة كانتون أطلقوا عليه «جامع الذكرى» وذلك عام ٦٢٠م]. إن هذا الكلام لغريب وأكثر منه غرابة أن يقوله أستاذ جامعي نشأ في بلاد العرب مركز انطلاقة المسلمين، إذ من المعلوم **أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عام ٦٢٢م**، أي أن بناء مسجد الذكري في كانتون كان قبل الهجرة بعامين، والمسلمون الأوائل لا يزالون في **مكة المكرمة** لا يجدون لهم ملجأ إلا الله، أما إخوانهم الذين لا نعرف كيف ذهبوا إلى الصين؟ ومتى خرجوا من مكة؟ فيشيدون المساجد هناك، ويعطون الحرية التامة فلو كان ذلك، لخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم إثرهم ليجد الأرض التي يقيم عليها دولته وينشرّ دعوته، فقد أرسل أصحابه من قبل إلى **الحبشة**، ولكن لم يجد تلك الأرض صالحة لذلك للخلاف بين **النجاشي والبطارقة**، واتجه إلى **الطائف** ولكنه رُدّ، وبدأ يعرض نفسه على القبائل ليجد لنفسه ولأصحابه الحماية ليتمكن من تبليغ الرسالة، وليجد في ديار تلك القبائل الأرض التي يقيم عليها الدولة الإسلامية الأولى.

علينا أن نتنبه عند كتابة التاريخ في الاقتصار على التقويم الذي سُجّلت فيه أحداث أمتنا، وكانت متميزةً فيه، وعندما خرج المسلمون إلى البلاد التي تستعمل **التقويم الشمسي** بسبب الحياة الزراعية التي تحياها، تميز المسلمون

مناقشات و تعليقات

باتخاذ **البروج** التي تنزلها الشمس مدة اثني عشر عاماً ، والتي لا تزال معروفة حتى الآن ، وذلك ليبقى المسلمون متميزون عن غيرهم . وعلينا أن نتنبه عند تسجيل تقويم آخر حتى لا يقع خطأ ، فلو قلنا إن مسجداً بني في الصين قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلّم لما صدق ذلك أحد ، ولكان هذا الكلام سخرية من المستمعين ، ولكن عندما نقول إن ذلك المسجد بني عام ٦٢٠م لم يدرك هذا الخطأ إلا قليل لعدم معرفتهم تلك الأحداث بالتقويم النصراني ، وإنما يعرفونه بالتقويم الهجري .

ابتلي المسلمون في التاريخ المعاصر بموضوع التقويم ، إذ سجّل أسلافهم تاريخهم والأحداث التي مرت عليهم بالتقويم الهجري وتركوا ما سواه إذ كانت هم شخصيتهم المتميزة ، وكل شيء من حياتهم له طريقة خاصة به ، ومن جملة ذلك التقويم ، واستمر ذلك التسجيل حتى سقطت **بغداد** بيد **المغول** عام ٦٥٦هـ ، ثم ضعف شأن المسلمين بعد ذلك وبصورة خاصة بعد **سقوط الأندلس بيد النصارى الإسبان عام ٨٩٧هـ** ، وقوي أعداؤهم وكانت الحرب الصليبية التي حملت صفة الاقتصاد والتي عرفت باسم الاستعمار والتي استمرت حتى يومنا هذا ، وضعف المسلمون وذابت شخصيتهم في بوتقة الشخصية العالمية تحت تأثير أعدائهم المسيطرين عليهم فبدأوا يسجلون بالتقويم النصراني (المسيحي) الذي أطلقوا عليه **التقويم الميلادي** ، وهكذا أصبح المؤرخون والكتّاب يسجلون التاريخ **بالتقويم الهجري** منذ بدء الدعوة الإسلامية على يد محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام وحتى سقوط [illegible] التقويم النصراني سجلاً للأحداث وكتابة التاريخ ، وهذا أمر يحتاج إلى إعادة نظر والاعتماد على تقويم واحد حتى لا يصيع طلاب العلم في الخلاف بين التقويمين .

ومن المفروض أن تعود لنا شخصيتنا المتميزة ، ويكون لنا تقويمنا الخاص بنا ، وهو التقويم الهجري الذي سُجّل به تاريخنا أيام حضارتنا ومجد أمتنا . ومن الملاحظ أن الأمم التي تريد استعادة مجدها تحرص على التميز ، فالفرس يسجلون تاريخهم بالتقويم الفارسي ولا شك أن هذا عندما كانوا يعتمدون في سياستهم على الفكرة القومية ، ولكن عندما يدعون للإسلام فلا شك أن عليهم أن يتخذوا التقويم الهجري ، واليهود يسجلون تاريخهم بالتقويم العبري ، والأقباط يحرصون على المحافظة باستعمال التقويم القبطي .

٢ ـ يقول الكاتب : [اختلفت الآراء في شخص أول من دخل الصين سلماً أو حرباً ، ولكنهم اتفقوا على أن : **سعد بن أبي وقاص** ـ ابن حمزة ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلّم ـ سعيد بن عثمان بن عفان ـ قتيبة الباهلي ، هم أول من دخل البلاد] .

غريب أن نقول : هناك رجل اسمه ابن حمزة ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلّم ، لم يسمع بهذا أحد ، ولم يقل به أحد من أهل العلم ، وأبناء حمزة ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلّم هما ، يعلى ، وعمارة ، كانا صغيرين ، ولم يسمع عنهما شيئاً ، ولم يخرجا من الحجاز .

ولكن المسلمين في البلاد البعيدة عن الأمصار العربية يحبون العرب حباً جماً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلّم منهم ، ولأن القرآن الكريم أنزل بلغتهم ، ولأنه لا تصح صلاة أحد إلا بقراءة القرآن كما أنزل ، لذا كان عليهم أن يتعلموا العربية ، وهنا جاءت محبة العرب إضافة إلى أن العرب هم الذين حملوا رسالة الإسلام وأوصلوها إلى الأمم الأخرى وأنقذوهم بذلك من الظلمات إلى النور . ومن هذه المحبة فقد اتخذ كثير من المسلمين أنساباً تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلّم أو إلى عمومته أو إلى أصحابه أو إلى العرب في الأمصار غير العربية ، ومع الزمن تصبح هذه الأنساب كأنها حقيقة ، وقد نسبت بعض الجماعات نفسها إلى رجل يدعى ابن حمزة وقالت إنه ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلّم ، ولعدم معرفة المسلمين في تلك الجهات بالسيرة معرفة جيدة لجهلهم بالعربية ، وعدم إحاطتهم بالتاريخ الإسلامي إحاطة تامة ، لذا قد يقبل مثل هذا الموضوع ، ولكنه غريب أن يقبل في بلاد العرب ويسجل بين ظهراني العرب ، وفي البلاد التي كانت مركز الانطلاقة الأولى للإسلام ، ومهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام ، وغريب أيضاً فعوضاً أن نصحح لهم هذه المعلومات ونبين الحقيقة بالرجوع إلى المصادر إن كنا نجهل ذلك ، عوضاً أن نفعل ذلك نؤكد هذه المعلومات وننشرها .

٣ ـ يقول صاحب المقال : [ابن حمزة : عثر أسقف روسي يدعى « **بالاديوس** » عام ١٨٧٨م ، ببكين على مرسوم صيني مترجم عن أصل عربي نشره **العلامة الإنكليزي « مورغان » Morgan في مجلة « ذي فونيكس » The Fonix** وفيه أن ابن حمزة قدم الصين بحدود عام ٦٣٢م ، ومعه نسخة من القرآن الكريم ، وبصحبته عدد من الرجال فأحسن الإمبراطور وفادته وسمح له ببناء مسجد يؤدي فيه المسلمون صلاتهم ، وتتابعت بعده أفواج المسلمين القادمة من الشرق] .

ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى في ١٢ / ٣ عام ١١هـ ، وهو ما يوافق منتصف عام ٦٣٢م ، فإن يكن ذهاب ما أسماه ابن حمزة في النصف الثاني من هذا العام فإن القرآن الكريم لم يكن قد جمع بعد ، وإن كان ذهابه في النصف الأول من العام المذكور فإن القرآن الكريم لم يكن قد انتهى نزوله بعد ، وفي كلا الأمرين فإنه من المستحيل وجود نسخ من كتاب الله ، فكيف أخذ هذا الرجل المزعوم نسخة معه ؟ . إن هذا الكلام غير صحيح ، وكله من كتابة مسلمي تلك الجهات من غير معرفة ولا علم ، رغبة منهم في ربط صلتهم برسول الله صلى الله عليه وسلّم وبالعرب المسلمين ، ومحاولة منهم في إظهار رسوخ قدم

مناقشات و تعليقات

الإسلام في بلادهم .

٤ ـ يقول صاحب المقال : [نحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أرسل بعوثاً تحمل رسائل إلى بعض ملوك العالم يحثّهم فيها على الدخول في الإسلام ، وقد اتفق المؤرخون على أسماء بعض الرسل ، ولكنهم اختلفوا على اسم الرسول إلى فارس ، ولم تذكر الآخرين ، وإن اختلفت الآراء في شخصية الذاهب إلى الصين فإنها لم تختلف بالتأكيد على ذهاب أحد الصحابة إلى الصين وإلا من أين جاءت هذه التأكيدات الصينية والغربية والعربية ؟] .

سمح الكاتب هنا لقلمه أن يخطّ ما يشاء دون أن يبذل أي عناء بالرجوع إلى مصدر من المصادر الكثيرة ، فقال : [فإنها لم تختلف بالتأكيد على ذهاب أحد الصحابة إلى الصين] . ولم ندر من أين جاء هذا التأكيد ولم يرجع إلى كتاب في السيرة ؟ والواقع أنها لم تختلف أبداً لأنه لم يذكر أحد ذهاب صحابي إلى الصين رسولا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم .

أما من أين جاءت التأكيدات الصينية والغربية والعربية ؟ لقد جاءت من كتابات مسلمي الصين الذين ذكرنا أنهم رغبوا في وصل نسبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أو إلى الصحابة الكرام ، كما رغبوا في محاولة إظهار قدم رسوخ الإسلام في الصين فبالغوا في هذا ، وذكروا وصول الصحابة إلى الصين في وقت مبكر فوقع هذا الخطأ ، ونقله عنهم أناس لم يحققوا في الأمر بقصد أو من غير قصد وانتقل الموضوع إلى الكتابات الغربية والعربية ـ كما فعل صاحب المقال ـ ولكن العلم يقتضي أن ينقل المرء خبراً أو يكتب موضوعاً دون إخضاعه للتعليل والتحليل والعودة إلى المراجع الرئيسية ومقارنة التقاويم المختلفة التي سجلت بها الأحداث .

٥ ـ يذكر الكاتب تحت عنوان « العرب في الصين قبل الإسلام » : [لما مات « **ناشر بن ينعم الملك** » تسلّم الحكم بعده « **شمر أبو كرب** » فسار بجيشه شرقاً لا يصده صاد حتى أطراف الصين ، وحاصر إحدى المدن هناك ثم أمر بهدمها فسميت « **شمر كند** » أي هدمها شمر ثم حولت إلى سمرقند] .

يفهم القارئ من هذا الكلام أن مدينة سمرقند من مدن الصين ، وهي في الواقع بعيدة جداً عن الصين بأكثر من ألف كم ، وهي تقع في بلاد تركستان الغربية ، ولم تكن في يوم من الأيام تحت سيطرة الصين ، وكذلك فإن تركستان الشرقية التي تخضع اليوم للصين هي ليست من أجزاء الصين ، وإنما ضمتها إليها ، وأطلقت عليها اسم « سينكيانغ » أي المقاطعة الجديدة ، والكاتب يعدّ هذه المناطق كلها من أجزاء الصين وهي ليست منها .

٦ ـ يذكر الكاتب تحت عنوان « التوزع الإسلامي في الصين » فيقول : [ففي الصين خمس وخمسون من القوميات ، عشر منها إسلامية هي : هوي ـ ويغور ـ قازاق ـ أوزبك ـ غرغز ـ تتار ـ تاجيك ـ سالا ـ رونغ ـ شيانغ ـ باوان موزعة في كل أنحاء الصين تقريباً] .

نقول : إن هذه المجموعات التي يسميها الكاتب قوميات ما هي إلا مجموعات قبلية يعود أكثرها إلى أصل تركي ، وهي باصطلاح أصحاب القوميات قومية واحدة ، هذا بالإضافة إلى أن الإسلام لا يعترف بالقومية ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « دعوها فإنها منتنة » .

وأظن أنه يقصد (غرغز) الفيرغيز .

كما أن (ويغور) هم التتار .

وأن (هوي) هم الذين يدعون أنهم يعودون إلى أصل عربي ، وأنهم ممن بقي هناك من العرب ، وقد ذهبوا تجاراً ومجاهدين .

٧ ـ يذكر الكاتب في المقال عدد المسلمين فيقول : [يزيد عدد المسلمين في هذه القوميات على ثلاثين مليون نسمة حتماً] . والواقع أن المسلمين في الصين يشكلون ٩٪ أو ١٠٪ على أقل تقدير من السكان ، وبذا يكون عددهم أكثر من ثمانين مليون نسمة ، إلا أن إحصاءات الصين تحاول أن تقلل من عدد المسلمين شأنهم في ذلك شأن كثير من المناطق التي يعيش فيها المسلمون أقلية أو يحكمهم نصارى كما هي الحال في المناطق التي كانت مستعمرة ، وعندما خرج المستعمر سلم الحكم للأقلية النصرانية الموجودة في البلاد .

٨ ـ كما أن الكاتب كان عليه أن يذكر تغيير أسماء المدن الإسلامية المشهورة حرصاً على قطع صلتها بالماضي الإسلامي والتاريخ الإسلامي فمدينة (**كاشغر**) المدينة الإسلامية المعروفة في التاريخ والتي فتحها القائد الإسلامي (**قتيبة بن مسلم الباهلي**) والذي ذكرها الكاتب أصبح اسمها اليوم (**شوفو**) ، و (**أوروبجي**) أصبح اسمها (**تيهوا**) ، و (**يارقند**) أصبح اسمها (**سوجي**) وهكذا كل المدن وخاصة الإسلامية منها .

أرجو التنبيه إلى ذلك ولكم خالص الشكر .

محمود شاكر

الرياض

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

خاتم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . . من أي المعادن صنع . . وماذا كان مكتوباً عليه ؟

السؤال الثاني :

متى دخل التنقيط على الخط العربي ؟

السؤال الثالث :

قائد عربي مسلم . . ولد في مكة المكرمة . . خرج إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر الصديق . . شهد معركة اليرموك . . دخل دمشق مع أبي عبيدة الذي ولاه انطاكية . . توغل في إرمينيا أيام الخليفة عمر بن الخطاب . . تعددت غزواته في إرمينيا . . والقوقاز . . وأذربيجان . . ناط به الخليفة عثمان بن عفان غزو ثغور سورية . . توفي بإرمينيا . . ما اسمه ؟

السؤال الرابع :

قاعدة « أرخميدس » للأجسام المغمورة . . وقاعدة « دالامبير » في الميكانيكا . . ماذا تعرف عنهما في سطور قليلة جداً ؟

السؤال الخامس :

عنصر فلزي أبيض . . رخو نسبياً . . نشيط كيماوياً . . رمزه (كا) . . يتفاعل مع الماء وعناصر عديدة فيكون مركبات كثيرة . . يوجد في الطبيعة . . أحد العناصر الداخلة في تركيب أغلب المواد الحيوانية والنباتية ، والعنصر الأساسي لتكوين العظام والأسنان . . له أثره في انتظام ضربات القلب وتجلط الدم . . ما اسم هذا العنصر من بين هذه العناصر : (ايدروجين ـــ بوتاسيوم ـــ كلسيوم ـــ صوديوم) .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٥٦)

الإســم : ------------------------------

المهنـة : ------------------------------

العنـوان : ------------------------------

نتائج مسابقة العدد ٤٩

حسب ما أوضحنا عند الإعلان عن هذه المسابقة في العدد (٤٩) وذلك بتوزيع قيمة الجائزة وقدرها عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) ريال سعودي على عشرين من الفائزين بحيث يحصل كل فائز على خمسمائة (٥٠٠) ريال سعودي، وهذا التوزيع خاص بالعدد الأول من كل سنة جديدة.. وفيما يلي أسماء الفائزين:

● الأخ **مجدي محمود فرج عبده**، ٥٠ شارع أبو الفضل، مدينة السعادة، شبرا الخيمة — **مصر**.

● الأخت **جنات المخينيني**، مساكن — **تونس**.

● الأخ **أحمد محمد أحمد آل محمود**، طيران الخليج، ص. ب (٥٢٤٦) — **البحرين**.

● الأخت **أمل حامد سالم قاسم**، عمان — **الأردن**.

● الأخ **أحمد محمد علي العليمي**، العديلية قطعة رقم (٣) شارع الاتحاد منزل رقم (١٠) — **الكويت**.

● الأخت **عائدة علي جفال**، بيروت — **لبنان**.

● الأخ **عبد الرحمن خاتم الزايدي**، كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة الرياض.

● الأخت **سامية بابكر عبد الله يوسف**، أم درمان — **السودان**.

● الأخ **زبير أحمد بن عبد الوهاب**، ٤٢ حومة البلاغمة فاس الجديدة فاس — **المغرب**.

● الأخت **نهاد حاتم سلايمة**، دمشق — **سورية**.

● الأخ **زيدان الأخضر**، ZIDANE LAKHDAR, CITE DES 10 LOGEMENTS, SIDI-OKBA, W DE BISKRA-ALGERIE.

● الأخت **نورة أحمد سعيد العامري**، الإمارات العربية المتحدة.

● الأخ **باسم توفيق عبد الله الرفاعي**، ص. ب. (٢٢٣٨) الدوحة — **قطر**.

● الأخ **محمد علي أكتع**، حلب سوق الجوخ محل أكتع وتمال — **سورية**.

● الأخت **بدرية إبراهيم الدسوقي**، المنصورة — **مصر**.

● الأخ **عبد الله محمد عبد الله القرني**، معهد أبها العلمي.

● الأخ **مصطفى أنور عبد الستار**، الطيران المدني ص. ب. (١١٨٣) صنعاء — **اليمن**.

● الأخ **ناموس المصطفى**، الرحبة القديمة درب أعرجان رقم (١) مراكش — **المغرب**.

● الأخ **سعيد محمد سعيد الهاشمي**، ولاية الكامل والوافي، الكامل — **سلطنة عمان**.

● الأخ **المنصف بن مصطفى الحنفي**، (٢٢٢) مكرر حي التحرير — **تونس** العاصمة.

أجوبة مسابقة العدد ٤٩

ج١ «**مدينة وتاريخ**» أحد أبواب مجلة الفيصل، وقدمت خلال هذا الباب (من العدد ٣٧ — ٤٨) المدن الآتية: **دمشق، تونس، صنعاء، سامراء، المنصورة، الرقة، شقراء، طرابلس، أم درمان، معرة النعمان، طنطا، صور**.

ج٢ «**موضوع خاص**» استطلاعات ملونة متعددة الاهتمامات نشرتها المجلة في أعدادها (من ٣٧ — ٤٨) وهي: **سد مأرب، الحياة في المحيطات، المسلمون في الصين، قصة الخلق، الحشرات السامة، المصحف الشريف، الطيور الطنانة، الطاقة النووية، الدماغ البشري، الصيدلة عبر العصور، التزلج على الجليد، حيوانات الجبال**.

ج٣ «**لقاء مع**» باب شهري ثابت قدمت المجلة من خلاله لقاءات مع عدد من أعلام المفكرين والأدباء والعلماء وهم: **د. محمد بن سعد بن حسين، د. يوسف عز الدين، الشيخ عبد الله العلايلي، رجاء النقاش، الشيخ عبد القدوس الأنصاري، عبد الرزاق نوفل، أنطونين مايبه، حسن اللوزي، د. أحمد كمال زكي، د. عبد القادر القط، د. أحمد عكاشة، الشاعر عبد الله البردوني**.

ج٤ «**لوحة وفنان**» أحد أبواب المجلة الثابتة وفيما يلي أسماء الفنانين وأسماء لوحاتهم: **رمسيس يونان** (تجريد)، **ألوريه دوميه** (دون كيشوت)، **وليام تيرنر** (عاصفة ثلجية)، **ليوناردو دافنشي** (موناليزا)، **ممدوح قشلان** (استغاثة اللاجئين)، **أيوب حسين** (سخيب سحيب)، **خليل حسن خليل** (الواقع الآخر)، **محمود الرضوان** (أنغام)، **فيلاسكيز** (مشهد لمطبخ)، **يوسف غراب** (الآفاق)، **د. حسن طافش** (وجه من تهامة)، **هاشم عبده المهنا** (من الطبيعة).

ج٥ اعتادت المجلة أن تقدم من خلال باب (**رحلة في كتاب**) الشهري عرضاً لأحد الكتب وفيما يلي عناوين هذه الكتب وأسماء مؤلفيها: (عصر الطاقة الشمسية القادم) تأليف **د. س. هالاسي**، (فن كتابة المقالات إلى المجلات الحديثة) تأليف **ماكس جنشر**، (رحالة في جزيرة العرب) تأليف **ويليام ساروبان**، (الفلسفة النقدية للتاريخ) تأليف **ريمون آرون**، (الملف السرّي لإسرائيل) الإرهاب تأليف **فنسان مونتاي**، (حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور) تأليف المهندس **د. أحمد سوسة**، (أكثر من حياة واحدة) تأليف **جيفري ايفرسون**، (الغد.. لم يأت بعد!) تأليف **ميشيل يونياتوسكي**، (التخطيط التربوي وتنمية الموارد البشرية) تأليف **فريدريك هاربسن**، (الأخلاق) تأليف **أ. س. أيوينج**، (القصص العلمية.. الأساطير الحديثة) أعده للنشر **باترشيا واريك ومارتن جرينبرغ وجوزف أولاندر**، (الربع الخالي) تأليف **عبد الله فيلبي**.



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض